

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إسماعيل عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الأول

دار طائر

بيروت

کتاب الاعجازی

1

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخريبه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهرومستانية ، أو أنسرطة ممعطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستساح الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-ʿAḤĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

1 - أبو الفرج :

1 - توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكرم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فكان إسحاق - وصنعتة التي عرف بها هي الغناء - ينظر أهل الكلام ، ويتكلم في الفقه ، فإذا تحول الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوق على محاوريه في كل موضوع . كان عصره يفسح المجال للمثقف الطموح أن يتعمق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتغاله بالتخصص في اتجاه واحد . ومن عرف مؤلفات إسحاق الموصلي الكثيرة¹ استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحدي ، فيه نشأ أبو حيان التوحيدي وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الوراقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127-128) قد عدّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تداخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشي وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 - متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

1 من هذه المؤلفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبرج . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأحوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أخرى كثيرة ، مما يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلفات أخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أن الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخرون نسبياً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعياني التوصل إليه . أما تاريخ وفاته . فسأحدث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 - النسبة إلى إصيهان

يقول الثعالبي (اليتيمة 3 : 114-118 ط . القاهرة) ، «الأصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أن أكثر من ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعدّوه أصفهاني المولد . غير أن بعض الباحثين المعاصرين يشك في أن تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربما لأن ابن النديم سمّاه «أبو الفرج ابن الأصفهاني» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أن أباه كان يعرف بالأصفهاني ، فلما اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخففاً من قولهم ابن الأصفهاني) .

4 - تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أمية ، فقد كان شيعياً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشيعه مجارة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحب أن يعرفه الناس «مخادماً» ، فلا هو أموي ولا هو عباسي ، وإنما هو علوي الهوى ، يتشيع لعلي وآله ، ويؤلف في أخبار من قتل منهم كتاباً كاملاً سمّاه «مقاتل الطالبين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاً من الأمويين والعباسيين على حدّ سواء ، بل إنه يُبرز أن من قتل منهم على أيدي العباسيين كان أكثر بكثير ممن قتل في أيام الأمويين .

5 - المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكننا نستطيع أن نقدر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنها كعبة العلم والفن والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج¹ الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل من لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصيهاني الناشئ عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949م .

والأخبار والآثار والأسباب ، بل إنه لم يقف عند هذا الحد إذ رأى أن الثقافة التي تحوّل إليها لا بدّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّ «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي أتجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحاكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهتئ نفسه ليكون نديماً يسلي منادميه ، أيّا كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيا له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له الثعالبيّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبيّ الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المذدع ، حتى في هجاء المهلبيّ صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتقونّه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذ الوزير المهلبيّ نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتتوق في شؤون الشرب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال النظف في ملبسه وغيره ، وافقاره إلى آداب المائدة .

وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسية تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكلواً نهماً ، فإذا أحسّ بثقل الطعام في معدته تناول كمية قليلة من الفلفل المدقوق كأنّه يعتقد أن ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أن أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهيّ وأنه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظّنه ياقوت أبا الفرج الأصفهانيّ . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزراء» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهُو والحانات والمتنزّهات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملاحين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيهه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلائل على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنَّ أبا الفرج كان يحبَّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنه لم يكن يغادر بغداد إلا ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيِّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34-36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزّهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبت من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : المديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرَ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيّض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضعة ليال ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «موت» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجوّاب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار منادياته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءاً كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحد لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوع بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعتراضية لدى أبي الفرج قد تدفع متتبع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانب عنها المواضع الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمّ شواذ من السلوك .

6 - وفاة أبي الفرج

توفي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنّه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنّه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عما قاله مؤلف الفهرست .

وقد استوقف هذا التاريخ ياقوتاً الحموي الذي أطلع على «أدب الغرباء» ونقل النصّ منه ، وقدّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمل ، ونقل الصفديّ النصّ بكامله عن ياقوت . وحين أطلع محقّق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنّي أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرّع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدّد باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يتدع ابن أبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أبي الفوارس هذا متابعاً لأخبار أبي الفرج ، فهو الذي أخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أبي الفرج لحادثة تمت سنة 362 لا يستبعد انتماءه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكرنا أن أدب الغرباء كان آخر ما ألف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معز الدولة وتولي ابنه بختيار ، فإن معز الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفي أبو الفرج بعده بخوالي ستة أشهر ، وأبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أتردد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتانين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعيّ في كتابه «أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

- 1 - مجرد (أبو تجريد) الأغاني .
- 2 - أخبار لحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .
- 3 - أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .
- 4 - أخبار الإمام الشواغر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أشعار الإمام» وطبع بالاسم الأول مرة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .
- 5 - كتاب المماليك الشعراء .
- 6 - كتاب الأخبار والنوادر .
- 7 - كتاب أدب السماع .
- 8 - كتاب مجموع الأخبار والآثار .
- 9 - كتاب الغلمان المغنين .

10 - كتاب أخبار الطفيليين .

11 - أيام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 - كتب في الأنساب

1 - كتاب مناجيب الخصيان ألفه للوزير المهلب في حصين كانا له .

2 - كتاب جمهرة النسب .

3 - كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 - أربعة كتب في أنساب أربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 - مؤلفات في مجالات أخرى :

1 - كتاب دعوة التجار .

2 - كتاب تفضيل ذي الحجة .

3 - كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 - مقاتل الطالبين (وقد مرّ ذكره فيما تقدّم) .

5 - كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 - دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحري ، ديوان أبي تمام .

5 - كتاب الأغاني الكبير :

1 - مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنّه كان في نحو خمسة آلاف ورقة ، ولكنه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أبو الفرج عن المدة التي أمضاها قال إنه ألفه في خمسين عاماً أي أنّه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرئ هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدهكّي (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلفه بعد أن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّ لضخامته ، وذكر أنّ أبا الفرج لم يكتب منه إلّا نسخة واحدة (وهذا معناه إلّا «مببضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأجازته بألف دينار . وحين

بلغ الخبير صاحب بن عبّاد استقلّ المبلغ ، أمّا مسوّد الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور وبخطّ التعليق فاشترها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهى والصاحب بن عبّاد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أعمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلمّا حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظلّم وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّهُ ليوجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتير أن يخصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهديب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجردّه ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868-1869) وبعدها طبعة الساسيّ (1905) ثم توالى الطبعات بعد استقراره محققاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16-25 ، مع فهراس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالى الطبعات البيروتية .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنّفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولما كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمداً الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «المفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها مما يعز على الحصر .

2 - منهج أبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشد هي الحجر الذي ألقي في بحر معرفة أبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أبو الفرج أنَّ الأصوات التي غناها ثلاثة هم : إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضم إليها ما غناه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غناه الخلفاء وأبناء الخلفاء وأن يذكر مع كل أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فنذكر ترجمته ونسبه والأخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أياماً من أيام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كله لا ينفرد أبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكل ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذكرة قوية ، تنقذ صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعبه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأبي الفرج ، فهو لم يعفه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أبي العتاهية : «وقد طالبت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتية في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت ، ولم يتقدم بشيء ، إلى أشباه ذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظن إلا أنَّ الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إنَّ هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدِّ البحث ، والهزل النحت ؛ وقد تأملتُ هذا الكتاب وعنيت به وطالعت مراراً . . . » .

3 - موثوقية أبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كل قبّيح ومنكر». لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشييعه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم « كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات » (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلا أن ذلك كلّه يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسي وابن أبي خميص وأبي خليفة بن الحباب الجمحي ، ولكنه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطأ التي انتحها كانت مفتوحة على مصراعها لنقل الأخبار ، ويجب أن نتذكر أن ليس كلّ ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقدي والهيثم بن عدي والطبري ، إذ لا بدّ أن نتذكر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهناك باب آخر ندخل منه إلى مدى الوثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختي أن أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربما تكون أهمية هذه الرواية في أن أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : « وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد » ، إلا أن ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارئ ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أن شخصية أبي الفرج تمثل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أمية وعصرهم وجدته لا يفتقر كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أوّهما أن أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أمية لم يكونوا يفتنون في ترفهم عن بني العباس في ذروة تطوّرهم ، وأنه هو نفسه غير ملموم في أن يغرق إلى أذنيه في

الملذات ، لأنه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إنّ الأغاني يصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المؤلف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيالات يجعلونها أفعلة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارئ فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكاديميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقة .

4 - هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً ببني وبين محقّقي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشيع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتصلان بنا لا بالأغاني : أولهما أننا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونيل) وفقهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 - كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المادة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكتفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنّها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورفقاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .
أما النسخة الثانية فهي نسخة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينية حيث تأكدنا أنّها الأرجح وأمدتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات ببسط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطتنا أن نقرأ الأغاني مقارنة بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكننا لم نستطع أن نحقق ذلك إلّا بصورة جزئية ، لكثرة تلك المصادر .
إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعزّ تعدّ كتباً موجزة جداً فقيرة إذا قورنت به .

إنّ نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربي ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزباني ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهماً آخر ، في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدّد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنّه سمیعّ مجیب .

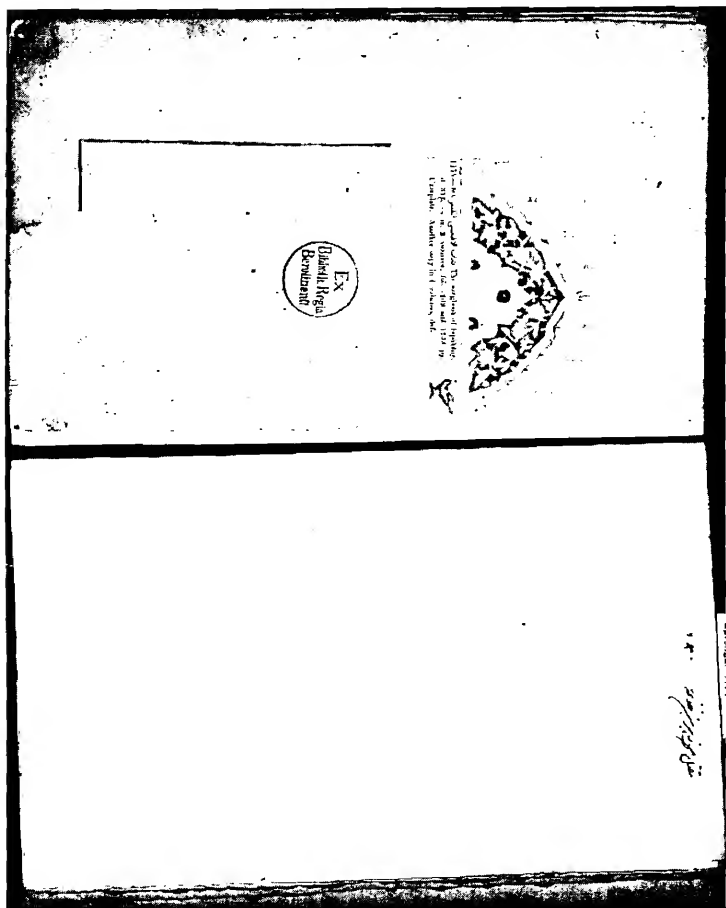
المصادر والمراجع

1 - المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

- 1 - ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 م .
- 2 - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
- 3 - أبو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
- 4 - أبو نعيم : تاريخ أصفهان ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
- 5 - ابن الجوزي : المنتظم ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
- 6 - جمال الدين القفطي : انباه الرواة ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
- 7 - ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي - بيروت) .
- 8 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
- 9 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 3 : 207 (بيروت) .
- 10 - خليل بن أليك الصفدي : الوافي بالوفيات ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993 م) .
- 11 - الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، 2 : 305 (الكويت 1960 م) .
- 12 - الحافظ الذهبي : ميزان الاعتدال ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
- 13 - الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
- 14 - اليافعي : مرآة الجنان ، 2 : 159 .
- 15 - ابن كثير : البداية والنهاية ، 11 : 263 (بيروت - الرياض) .
- 16 - ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلمي - بيروت) .
- 17 - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
- 18 - ابن العماد : شذرات الذهب ، 3 : 19 .

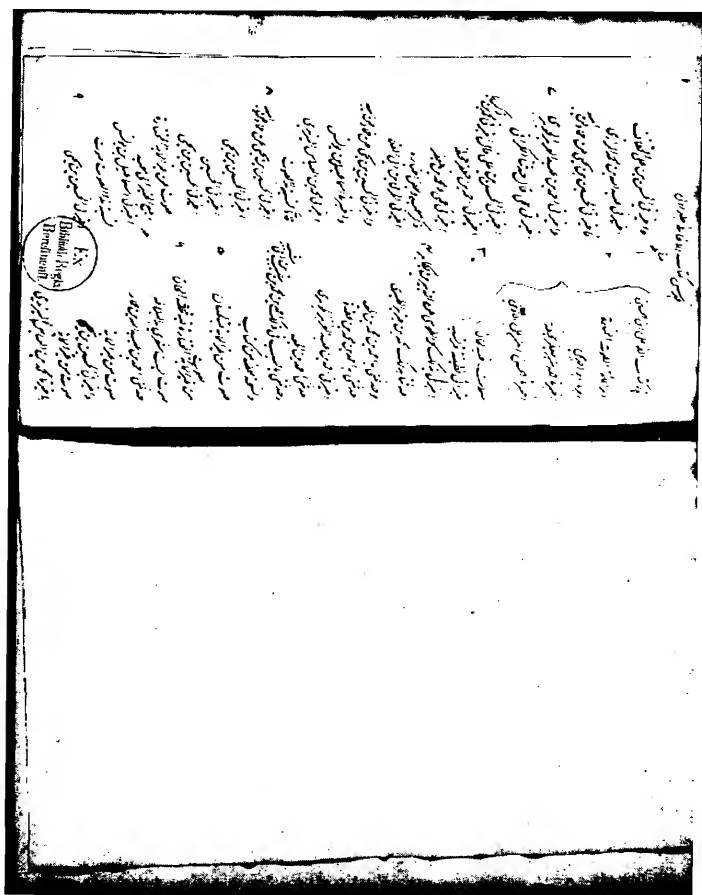
المراجع الحديثة

- 19 - M. Nallino, in EI2, p. 118 .
- 20 - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) GAL, Brockelmann .
- 21 - فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، 2 : F. Sezgin, GAS .
- 22 - عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج وكتابه ، (القاهرة ، 1956) .
- 23 - عبد الجواد الأصمعي : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
- 24 - خلف الله محمد أحمد : صاحب الأغاني أبو الفرج ... (دار الكتاب العربي 1968) .
- 25 - محمد أبو الفضل إبراهيم : مقدمة المحقق ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
- 26 - أحمد طالع : أبو الفرج الأصفهاني و . . . مقارنة ببلوغرافية (بحث في مجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد) السنة الخامسة (17) أيار/ مايو 1997 .
- 27 - مقدمة الدكتور صلاح المنجد محقق « أدب الغريب » (ص 5-17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزيداً من الدراسات الكلاسيكية والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أن هناك بحثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .



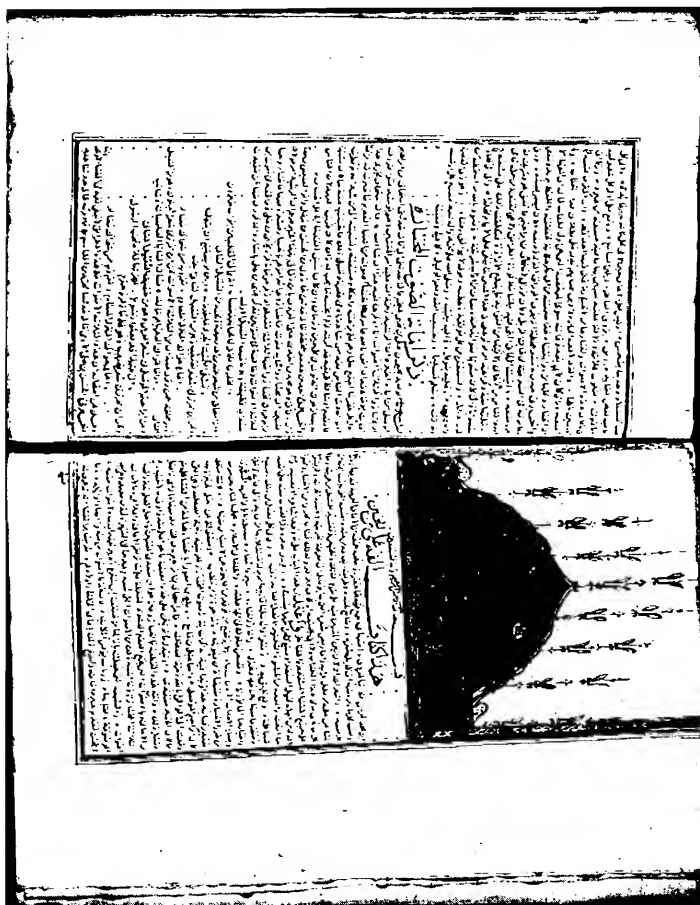
ورقة الغلاف من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



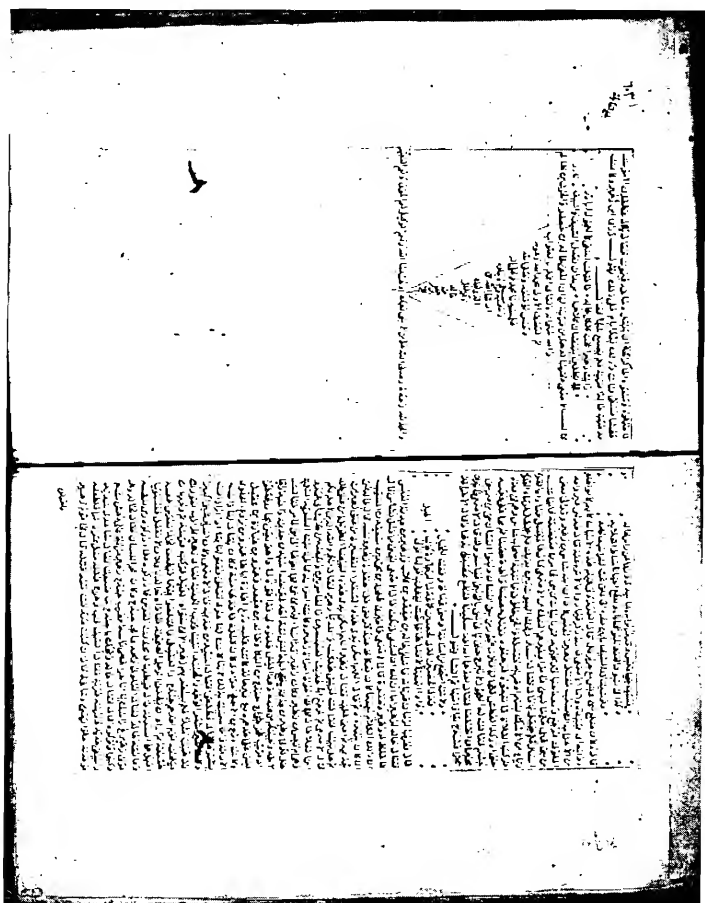
الورقة الأولى من فهرس المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



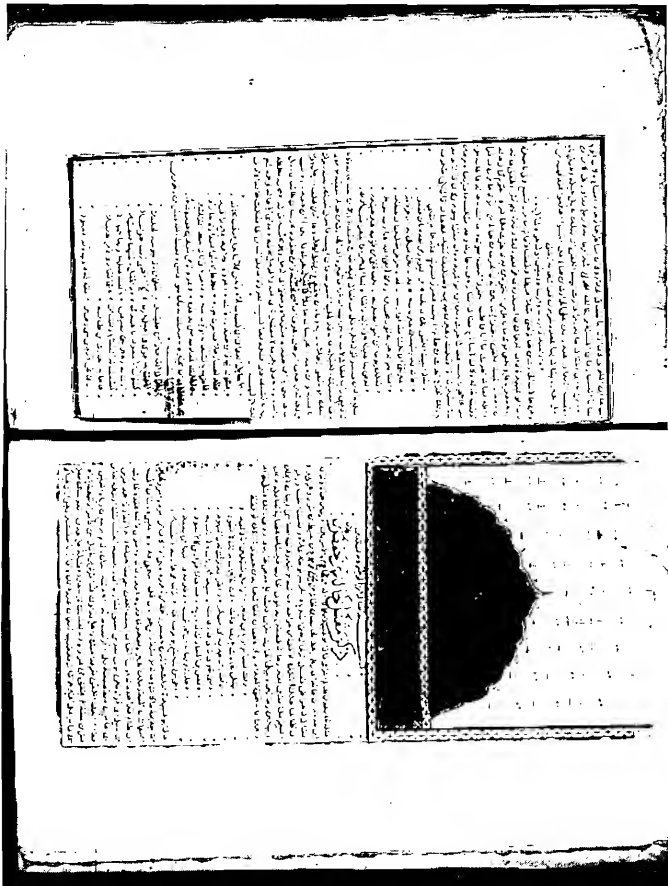
الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : 7395 Ahlwardt



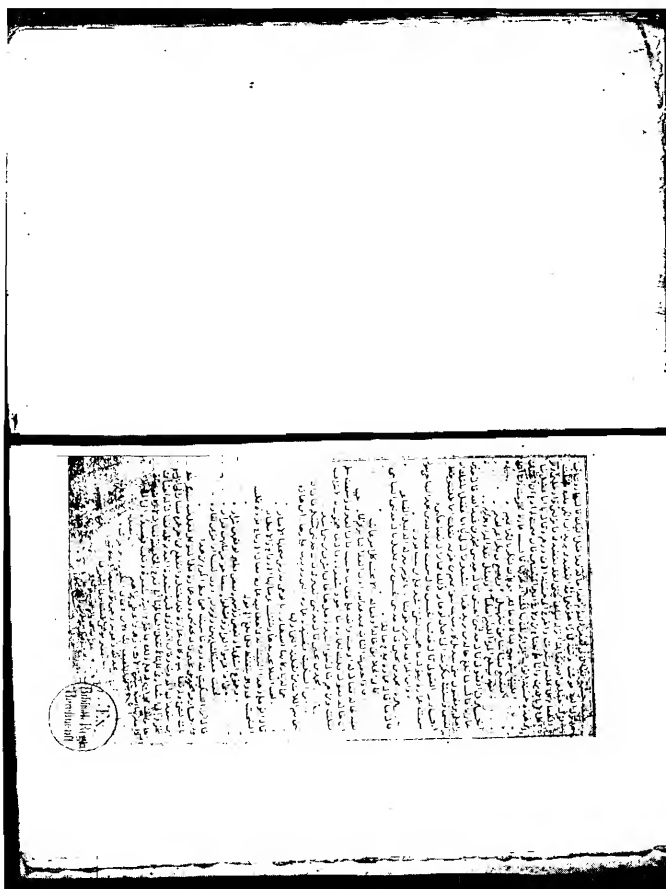
الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : 7395 Ahlwardt



الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة المؤلف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصفهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشترك إن كان بين المغنين فيه ، على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعراض شعره التي بها يوصل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألقانه .

ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعة ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبراً يُستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه ، على أقصر ما أمكنه وأبعده من الحشو والتكثير بما ثقل الفائدة فيه . وأتى في كل فصل من ذلك بتنفٍ تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرفاً منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالمتأدبين معرفتها ويحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُتخلة من غرر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأُمير المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوزاء باختيارها له من الغناء كله ؛ ثم وقعت إلى الواصل بالله ، رحمة الله عليه ، فأمر إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان اختيار متقدماً ، أو يُبدل ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى¹ منه وأولى

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتبع هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدمي المغنين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النغم العشر المشتملة على سائر نغم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدم غيرها في الشهرة كمدن مبد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جعلت بإزائها من صنة ابن سريج وخير بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة¹ بألقابها وزيايب² يونس³ الكاتب ؛ فإن هذه الأصوات من صدور الغناء وأوائله وما لا يحسن تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصة تستفاد وحديثاً يستحسن ؛ إذ ليس لكل الأغاني خير ، ولا في كل ما له خير فائدة ، ولا لكل² ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع .

ووقع على أول كل شعر فيه غناء «صوت» لتكون علامة ودلالة عليه يتيين بها ما فيه صنة من غيره . وربما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعار³ قيلت في تلك المعاني وغنى بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتبة ، فلا يوجد من ذكرها معها ؛ لأنها إذا أفردت عنها كانت إما منقطعة الأخبار غير مشاكلة لنظائرها أو معادة أخبارها ؛ وفي كلتا الحالتين خلاف لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيء الذي تطول أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لئلا تنقطع الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائر له يضاف إليها ، غير قاطع اتساق غيره منها ولا مفرد للقرائن بتوسطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل وأليق .

أ ترتيب الكتاب |

قال مؤلف هذا الكتاب : ولعل بعض من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غنى به من شعر شاعر . والمناع من ذلك والباعث على ما نخوانه علل :

منها : أننا لما جعلنا ابتداء الثلاثة الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأولهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المحدثين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبي ربيعة ، ثم نصيب . فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ، ألحق آخره

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعِلَ على حسب ما حضر ذكره . وكذلك سائر المائة الصوت المختارة ؛ فإنها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات ، وإنما المغزى فيه ما ضُمَّهُ من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا مما يضرُّ بها .
ومنها : أن الأغاني قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أن ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يخلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن تأتي بكل ما أتى به المصنفون والرواة منها على كثرة حشوه وقلة فائده ، وفي هذا نقض ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن تأتي ببعض ذلك فينسب الكتاب إلى قصور عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبار الشعراء . فلو أتينا بما غني به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نفرغ منه ، لجرى هذا المجزئ ، وكانت للنفس عنه نبوة ، وللقلب منه ملّة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجد . وكلُّ منتقلٍ إليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه ، والمتنظرُ أغلب على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبار قديمة إلى محدثة ، ومليك إلى سوقة ، وجيد إلى هزل ، أنشط لقراءته وأشهى لتصفحه فنونه ، لا سيما والذي ضَمَّنَّا إياه أحسن جنسه ، وصَفَّوْا ما ألف في بابه ، ولَبَّابُ ما جُمع في معناه .

وكل ما ذكرنا فيه من نسب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيم بن المهدي ومُخَارِق وعُلوِيه وعمرو بن بانه ومحمد بن الحارث بن بُسْخَر ومن وافقهم ؛ فإنهم يسمون الثقيل الأول وخفيفه الثاني وخفيفه ، ويسمون الثقيل الثاني وخفيفه الأول ، وقد أطرح ما قالوه الآن وترك ، وأخذ الناس بقول إسحاق .
[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلف هذا الكتاب : والذي بعثني على تأليفه أن رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه له ، وعرفني أنه بلغه أن الكتاب¹ المنسوب إلى إسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليل الفائدة ، وأنه شاك في نسبه ؛ لأن أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأن ابنه حماداً أعظم الناس إنكاراً لذلك . وقد لعمري صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما أَلَفَ أبي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنَّ أكثرَ أشعاره المنسوبة التي جُمِعتَ فيه إلى ما ذُكرَ معها من الأخبار ما غَنَى فيه أحدُ قطُّ ، وأنَّ أكثرَ نسبه إلى المغنِّين خطأ ؛ والذي أَلَفَ أبي من دواوين الغناء يدلُّ على بطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وَضَعَهُ ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُّخصة¹ التي هي أوّلُ الكتاب ؛ فإنَّ أبي أَلَفَها ؛ إلّا أنَّ أخبارها كلّها من روايتنا . هذا ما سمعته من أبي بكر حكايةً فحفظته واللفظ يزيد وينقص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظَةُ أنَّه يعرف الورّاقَ الذي وَضَعَهُ ، وكان يسمّى بسندٍ الورّاق ، وحنوته في الشرقية في خان الزبل² ، وكان يُورِّقُ لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورة الطرائق ، ولا هي بمقتنعة من جملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغ الإرادة ؛ فتكلّفت ذلك له على مشقّة احتملتها منه ، وكرهته أن يؤثر عني في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلّداً ، وإليّ على تطاولها منسوباً ، وإن كان مشوباً بفوائد جمّة ومعانٍ من الآداب شريفة . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلّ مُوبقةٍ وخَطِيئَةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصمة والتوفيق ، وعليه تتوكّل وإليه نُنِيب . وصلى الله على محمد وآله عند مُفتتح كلِّ قول وخاتمته وسلّم تسليمًا . وحسبنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعِينًا .

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءاً لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شك فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] - ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد ، رحمه الله عليه ، أمر المغنين ، وهم يومئذ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شدا به ، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه ، فذكرته ولم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان ، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان .

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العباس بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختروها ، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحنٌ معبد في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقل الأول : [من البسيط]

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون
ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، ولحنه من الثقل الثاني : [من الطويل]
تشكى الكميئ الجري لما جهذته وبين لو يستطيع أن يتكلما
ولحن ابن مخرز في شعر نصيب ، وهو من الثقل الثاني أيضاً : [من الطويل]
أهاج هواك المنزل المتقادم ؟ نعم ، وبه ممن شجاك معالم
وذكر جحظة عن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن مخرز في شعر المجنون ، وهو من الثقل الثاني :

إذا ما طواك الدهر يا أم مالك فشان المنايا القاضيات وشانينا

ولحن إبراهيم¹ الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقل الثاني : [من الوافر]
إلى جَيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُحْزِنَهَا ، فَلَا صُحْبَ الرَّسُولِ
ولحن ابن محرز في شعر نُصَيْب ، وهو على ما ذكر ، هَزَج : [من المخرج]
أهَّاجُ هَوَاكُ الْمَنْزَلِ الْمُتَقَادِمُ ؟ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ
وحكى عن أصحابه أَنَّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نعمةً في الغناء إلّا
وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأديمي² قال حَدَّثَنَا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حَدَّثَنَا عبد الله بن
أبي سعد الوراق قال حَدَّثَنِي أَبُو تَوْبَةَ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الْمَغْنِيّ قَالَ
حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ : أَنَّ الرَّشِيدَ أَمَرَ الْمَغْنِينَ أَنْ يَخْتَارُوا لَهُ أَحْسَنَ صَوْتٍ غَنَّى فِيهِ ،
فَاخْتَارُوا لَهُ لَحْنَ ابْنِ مُحَرَّزٍ فِي شِعْرِ نُصَيْب :

أهَّاجُ هَوَاكُ الْمَنْزَلِ الْمُتَقَادِمُ ؟

قال : وفيه دَوْرٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أَصَحُّ عِنْدِي .
ويدلّ على ذلك تباين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخرى في جُودَةِ الصَّنْعَةِ وإِتْقَانِهَا
وإِحْكَامِ مَبَادِيهَا وَمَقَاطِعِهَا وما فيها من العمل ، وَأَنَّ الأَخْرَ لَيْسَتْ مِثْلَهَا وَلَا قَرِيبَةً مِنْهَا . وأخرى
هي أَنَّ جَحْظَةَ حَكْيِ عَمَّنْ رَوَى عَنْهُ أَنَّ فِيهَا صَوْتًا لِإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، وهو أحد من كان اختار
هذه الأصوات للرشد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيْجُ [بن العوراء] ، وليس
أحدٌ منهما دونهُ إِنْ لَمْ يَفْقَهُ ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهُمَا سَاعَدَا إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيَّ عَلَى اخْتِيَارِ
لَحْنٍ مِنْ صَنَعَتِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَصْوَاتٍ اخْتِيرَتْ مِنْ سَائِرِ الْأَغَانِي وَفُضِّلَتْ عَلَيْهَا ؟ أَلَمْ يَكُونَا لَوْ فَعَلَا
ذَلِكَ قَدْ حَكَمَا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالتَّقَدُّمِ وَالْحَذَقِ وَالرَّيَاسَةِ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ عِنْدَهُمَا ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم عن حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّهُ أَتَى أَبَاهُ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَيْمُونٍ يَوْمًا مُسَلِّمًا ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَلَغَ مِنْ بَرٍّ وَلَدُهُ مَا بَلَغَتْهُ
مِنْ بَرِّكَ ، وَإِنِّي لَأَسْتَقِلُّ ذَلِكَ لَكَ ، فَهَلْ مِنْ حَاجَةٍ أَصِيرُ فِيهَا إِلَى مَحَبَّتِكَ ؟ قُلْتُ : قَدْ كَانَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ ، كُلُّ مَا ذَكَرْتَ فَاطَالَ اللَّهُ لِي بِقَاكَ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ وَاحِدَةً : يَمُوتُ هَذَا
الشَّيْخُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ وَلَمْ أَسْمَعْهُ ، فَيَقُولُ النَّاسُ لِي مَاذَا وَأَنَا أُحِلُّ مِنْكَ هَذَا الْمَحَلَّ ؟ قَالَ لِي :
وَمَنْ هُوَ ؟ قُلْتُ : ابْنُ جَامِعٍ . قَالَ : صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ ، أَسْرَجُوا لَنَا . فَجِئْنَا ابْنَ جَامِعٍ ، فَدَخَلَ

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من بيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتُك في حاجة ، فإن شئتَ فاشتمني ، وإن شئتَ فاقذفني ، غيرَ أَنَّهُ لا بدَّ لك من قضائها . هذا عبدك وابنُ أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبتُ معه أسألكُ أن تُسَعِّفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمكما مَشْوشَةً وَقَلِيَّةً وَأَسْقِيكما من نَبِيذِ التمرِ وَأَغْنِيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مضيناً إليه والّا أَقْمنا يومنا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمرَ بالدوابِ فَرُدَّتْ . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقليَّة ونبيذه التمرِ فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فغَنَّا ، فنظرتُ إلى أبي يَقُلُ في عيني ويعظُمُ ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلمَّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركبنا وركبتُ معهما . فلمَّا كنَّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيتَ ابنَ جامع يا بني ؟ قلتُ له : أو تُعَفِّنِي جُعِلْتُ فداك ! قال : لستُ أعفِّيك فقل . فقلتُ له : رأيتُك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صَغُرْتُ عندي في الغناء معه [حتى صرتُ كلا شيء] . ثم مضياً إلى الرشيد ، وانصرفتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنِّي لم أَكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلمَّا أصبحتُ أرسلُ إليَّ أبي فقال : يا بني ، هذا الشتاء قد هَجَمَ عليك وأنتَ تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه ، فاصرفِ هذا المالَ في حوائجك . فقمْتُ فقبَلْتُ يده ورأسه ، وأمرتُ بحملِ المالِ واتَّبَعته ، فصَوَّتَ بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتَدْرِي لِمَ وهبْتُ لك هذا المالَ ؟ قلتُ : نعم ، جُعِلْتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدْقِي فِيك وفي ابنِ جامع . قال : صدقتَ يا بني ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُستغنى بما ذكرها هنا عنها . فإبراهيمُ يُجَلِّ ابنَ جامع هذا المخلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقَدِّم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدِّماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُليح عليه ؟! هذا خطأ لا يَتَخَيَّلُ . وعلى ما به فإنَّا نذكر الصوتين اللذين رويهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نتبعهما باقي الاختيار . فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى .

[2 - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالْجَمَاءُ بَيْنَهُمَا أَشْهَى إِلَى الْقَلْبِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونَ
إِلَى الْبَلَاطِ فَمَا حَازَتْ قَرَائِنُهُ دُورٌ نَزَحْنَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْهُونِ
قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَاراً فَأَعْلَمُهَا وَلَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِي

عَرُوضُهُ مِنْ أَوَّلِ الْبَسِيطِ . الْقَصْرُ الَّذِي عَنْهُ هَاهُنَا : قَصْرُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِالْعَرَصَةِ¹ .
وَالنَّخْلُ الَّذِي عَنْهُ : نَخْلٌ كَانَ لِسَعِيدٍ هُنَاكَ بَيْنَ قَصْرِهِ وَبَيْنَ الْجَمَاءِ ، وَهِيَ أَرْضٌ كَانَتْ لَهُ ،
فَصَارَ جَمِيعُ ذَلِكَ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بَعْدَ وَفَاةِ سَعِيدٍ ، ابْتِغَاءً مِنْ ابْنِهِ عَمْرٍو بِاحْتِمَالِ دَيْنِهِ عَنْهُ ؛
وَلِذَلِكَ خَبِرَ يُذَكَّرُ بَعْدُ . وَأَبْوَابُ جَيْرُونَ بِدِمَشْقَ . وَيُرْوَى : « حَازَتْ قَرَائِنُهُ » مِنْ الْمَحَازَاةِ .
وَالْقَرَائِنُ : دُورٌ كَانَتْ لِبَنِي سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مُتَلَاصِقَةً ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاقْتِرَانِهَا . وَنَزَحْنَ :
بَعُدْنَ ، وَالنَّازِحُ : الْبَعِيدُ ؛ يُقَالُ : نَزَحَ نَزُوحاً . وَالْهُونُ : الْهَوَانُ . قَالَ الرَّاجِزُ : [مِنَ الرَّجَزِ]

لَمْ يُتَنَذَلْ مِثْلُ مَكْنُونٍ أَيْضَ مَاضٍ كَالسَّنَانِ الْمُسْنُونِ

كَانَ يُوقِي نَفْسَهُ مِنَ الْهُونِ

وَالْمَكْنُونُ : الْمُسْتَوْرُ الْخَفِيُّ ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِينِ . الشَّعْرُ لِأَبِي قَطِيفَةَ الْمُعِيطِيِّ ، وَالْغَنَاءُ
لِمَعْبُدٍ ، وَلَهُ فِي لِحْنَانٍ : أَحَدُهُمَا خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ وَهُوَ
اللِّحْنُ الْمُخْتَارُ ، وَالْآخَرُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوُسْطَى عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ مِنْ رِوَايَةِ عَمْرٍو بْنِ يَاقَانَ .

[3] - خبر أبي قطيفة ونسبه¹

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط . واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . هذا الذي عليه النسابون .

وذكر الهيثم بن عدي في «كتاب المثالب» أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه . وذكر أن دغلاً النسابة دخل على معاوية فقال له : من رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمياً بن عبد شمس . فقال : صِفْهُمَا لِي . فقال : كان عبد المطلب أبيض مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوة وعز الملك ، يُطِيفُ به عشرة من بنيهم أسد غاب . قال : فصِفْ أُمِيّة . قال : رأيت شيخاً قصيراً نحيف الجسم ضريراً يقوده عبده ذكوان . فقال : مه ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتُموه بعدُ وأحدثُموه ، وأما الذي عرفتُ فهو الذي أخبرتك به .

ثم نعود إلى سياقة النسب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . والنضر عند أكثر النسابين أصل قريش ، فمن ولد النضر عدّ منهم . ومن لم يلدّه فليس منهم . وقال بعض نسائي قريش : بل فهر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يلدّه فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وولد إلياس يقال لهم خندف ، سُمُوا بأُمهم خندف وهو لقبها ، واسمها لبلب بنت خلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهي أُم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهمسع بن يشجب ، وقيل : أشجب ، بن نبت بن قidar بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسابو العرب وروى عن بن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسابين ممن أخذ ، فيما يزعم ، عن دغلي وغيره : معد بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عذر بن سريج بن حنبل بن العوام بن المحتمل بن رائمة بن العقيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر² بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن ددع بن محمود بن

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67-68 (تحقيق عبد الستار فراج) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقر .

الرائد بن بدوان بن أمامة بن دُوس بن حُصَيْن بن النَّزَال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صَيْفِي بن نَبْت بن قَيْدَار بن إِسْمَاعِيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صَلَّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليمًا . ثم أجمعوا أنّ إبراهيم بنُ أَرْزَر وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه ، وهو في التوراة بالعبرانية تَارَح بن ناحور ، وقيل : النَّاحِر بن الشَّارِع وهو شَارُوع بن أَرْغُو وهو الراجح بن فالغ ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها ، بن عابر بن شالغ بن أَرْفَحْشَد وهو الرافد بن سام بن نوح صَلَّى الله عليه وسلّم ابن لأمك وهو في لغة العرب ملكان بن المتوخلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قَيْنان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شِيث وهو هبة الله ويقال له أيضًا : شاث بن آدم أبي البشر صَلَّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلّم تسليمًا . هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبي ﷺ تكذيبٌ للنسابين ودفعٌ لهم . وروى أيضًا خلافًا لأسماء بعض الآباء . [وقد شرحت ذلك في « كتاب النسب » شرحاً يُستغنى به عن غيره] .

[العنابس والأعياص من بني أمية]

وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية . وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكرًا ، كل واحد منهم يُكنى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويس لا كنى له . فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حرميُّ بن أبي العلاء ، واسمه أحمد بن محمد بن اسحاق ، والطوسي ، واسمه أحمد بن سليمان ، قالوا : حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الضحّاك الحزامي عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويس . ومنهم العنابس¹ وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . وإنما سُموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيههم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها العنابس ، واحدها عَنَبَسَة . وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي :

مِن الأعياصِ أو من آل حربٍ أَغَرَّ كَغَرَّةِ الفرسِ الجَوَادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شُبَّه ، وحدثنا محمد بن العباس اليربدي قال : حدثنا أحمد بن الحارث الحرّازي ، قال : حدثنا المدائني

وابن غزالة ، قالوا : أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير ، فقال له : نَفِدْتُ نَفَقَتِي وَنَقَبْتُ رَاحِلَتِي . قال : أَحْضِرْهَا ، فَأَحْضِرْهَا . فقال : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدْبِرْ بِهَا ، ففعل . فقال : اِرْقَعْهَا بِسَيْتٍ وَاحْصِفْهَا بِهَلْبٍ وَأُنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ خُفُّهَا وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ تَصَحُّ¹ . فقال ابن فضالة : إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا وَلَمْ أَتِكَ مُسَوِّفًا ، فَلَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ! قال ابن الزبير : إِنْ وَرَاكُمَا . فانصرف عنه ابن فضالة وقال² : [من الوافر]

أقول لعلمتي شدوا ركابي أجاوز بطن مكة في سواد
فما لي حين أقطع ذات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد³
سيبئد بيننا نص المطايا وتعلق الأداوي والمزاد⁴
وكل معبد قد أعلمته مناسمهن طلاع النجاد⁵
أرى الحاجات عند أبي حبيب نكدن ولا أمية بالبلاد⁶
من الأغياص أو من آل حرب أغر كفرة الفرس الجواد

أبو حبيب : عبد الله بن الزبير ، كان يكنى أبا بكر . وحبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يكنيه به إلا من ذمه ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : علم أنها شر أمهاتي فغيرني بها وهي خير عمات . قال البيهقي : «إن» هاهنا بمعنى نعم ، كأنه إقرار بما قال . ومثله قول ابن قيس الرقيات :

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقد كَبِرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
وَأُمُّ أَبِي مُعِيْطٍ أَمَنَةُ بِنْتِ أَبَانَ بْنِ كُلَيْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعَصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ

1 نقب البعير : رقت أخفافه . السبت : جلود البقر المدبوعة بالقرظ تُحْدَى منها العال السبتية . والخصف : أن يُضَاهَر الجُلْدَيْنِ بعضهما إلى بعض ويُخْرَزُهُمَا ؛ ولذلك قيل لِلخُرْزِ المخصف . والهلْب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي يخرب به ، وأُنْجِد : إذا أخذ في بلاد نجد ؛ والبردان : الغداة والعشي .

2 نسب البغدادي 4 : 65-66 . هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي . وأورد الأصبهاني عن ابن حبيب أن هذا الشعر لفضالة بن شريك وأوله في أبيات :

شكوت إليه أن تعبت قلوبني فرد جواب مشدود الصفاد

3 ذات عرق مُهْلٌ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة (ياقوت) . والكاهلية : زهراء بنت خثراء امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أم خويلد بن أسد بن عبد العزى .

4 نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوي : جمع إداوة وهي وعاء الماء . والمزاد : جمع مزادة وهي الراوية يحمل فيها الماء .

5 المعبد : الطريق المذل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها .

6 يقال : نكده حاجته إذا منعه إياها ولم يقضها .

هَوَازَنَ ، ولها يقول نابغة بن جعدة :

وشاركننا قريشاً في ثقاها وفي أنسابها شريك العنان¹
 بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان
 وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس ، فولدت له العاص وأبا العاص وأبا العيص
 والمؤيص وصفية وتوبة وأروى بني أمية . فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان
 أهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا مغيط ، فكان بنو
 أمية من أمة إحوة أبي مغيط وعمومته ؛ أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار .
 قال الزبير : وحدثني عمي مصعب قال : زعموا أن ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا
 عمرو ، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] :
 ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
 سَبِيلًا﴾ فسمي نكاح المقت .

[مقتل عقبة بن أبي مغيط والنضر بن الحارث]

وأسير عقبة بن أبي مغيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدثنا بذلك محمد بن
 جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن
 إسحاق في خبر ذكره طويل ، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن
 إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري ، قالوا
 جميعاً² : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أنا خاصة من
 قريش ؟ قال نعم . قال : فمن للصبيّة بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسمى بنو أبي مغيط صبيّة النار . واختلف في قاتله ، فقيل : إن علي بن أبي طالب ،
 صلوات الله عليه ، تولى قتله . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدثني به أحمد ابن محمد بن
 سعيد بن عقدة قال : أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عباد قال حدثني عبد
 العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جده عن
 علي بن أبي طالب عليهم السلام : أن النبي ﷺ أمر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي
 مغيط والنضر بن الحارث . وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري
 قتله ، وأن الذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام النضر ابن الحارث بن كلدة .

1 شرك العنان وشركة العنان : اشترك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف

3 : 1/4

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه¹ ، قالوا : قتل رسول الله ﷺ يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبياً : أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان «بالصفراء»² قتل النضر بن الحارث بن كلفة أحد بني عبد الدار ، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنقه . قال عمر بن شبة في حديثه : «الأثيل»³ ؛ فقالت أخته قتيلة بنت الحارث ترثيه⁴ :

[من الكامل]

يا ركباً إن الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن تحية	ما إن ترأل بها النجائب تخفق
ميتي إليك وغبرة مسفوحة	جادت بدرتها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر إن نادية	إن كان يسمع هالك لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشقق
صبراً يقاد إلى المنيّة متعباً	رسف المقيّد وهو عانٍ موثق
أُمحمّد ولأنت نسل نجية	في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرّك لو مننت وربما	منّ الفتى وهو المعيط المحنق
أو كنت قابل فدية فلنأتين	بأعزّ ما يغلو لديك وينفق
والنضر أقرب من أخذت بزلة	وأحقهم إن كان عتق يعتق

فبلغنا أن النبي ﷺ قال : «لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته» . فيقال : إن شعرها أكرم شعر مؤثورة وأعفه وأكفه وأحلّمه .

قال ابن إسحاق⁵ : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ لما كان بعرق الظبية⁶ قتل عقبة بن أبي معيط . قال حين أمر به أن يقتل : فمن للصبية يا محمد ؟

1 سيرة ابن هشام 2 : 644 .

2 الصفراء : واد قريب من بدر .

3 الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .

4 أنساب الأشراف 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة 3 : 14-15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .

5 السيرة 2 : 744 .

6 عرق الظبية : موضع من الرّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدَّثنا الوليد بن مسلم قال حدَّثني الأوزاعي قال حدَّثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدَّثني عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشدَّ شيء صنعهُ المشركون برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ] وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أروى بنت عامر بن كُرَيْز ، وأمها أم حَكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله ﷺ تَوَأمَان . وكان عُقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد وخالدًا وعُمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه . وولى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لُقِّبَ به . وأمهُ بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة .

[نفي بني أمية عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة ، مع نظائر له تشوقاً إليها .

حدَّثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبه البزار ، قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدَّثني أبي قال حدَّثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى «كتاب الأزارقة» ، ونسخت بعضه من كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدي . واللفظ للمدائني في الخبر ما اتسق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبتُ الخلاف إلى راويه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عباس عن مُجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لما سار إلى العراق ، شمّر ابن

الزبير للأمر الذي أَرَادَهُ وليس المعافري^١ وشَبَرَ بطنه وقال : إِنَّمَا بَطْنِي شَبِيرٌ ، وما عسى أَن يَسْعَ الشَّيْرُ ! وجعل يُظْهِرُ عَيْبَ بَنِي أُمَيَّةَ ويدعو إلى خِلافِهِمْ . فَأَمْهَلَهُ يَزِيدُ سَنَةً ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ عَشْرَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمُ النِّعَمَانُ بْنُ بَشِيرٍ . وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَسْمُونُ أَوَّلَئِكَ الْعَشْرَةَ النَّفَرِ الرَّكْبَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهُ الْأَشْعَرِيُّ ، وَرَوْحُ بْنُ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيُّ ، وَسَعْدُ بْنُ حِمْزَةَ الْهَمْدَانِيُّ ، وَمَالِكُ بْنُ هَبِيرَةَ السُّكُونِيُّ ، وَأَبُو كَيْشَةَ السُّكْسُكِيُّ ، وَزَمْلُ بْنُ عَمْرِو الْعُدْرِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقَيْلُ بْنُ ابْنِ مَسْعُودٍ الْفَزَارِيُّ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْهَمْدَانِيُّ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ ، النِّعَمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ النِّعَمَانُ يَخْلُو بِهِ فِي الْحِجْرِ كَثِيرًا . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهُ يَوْمًا : يَا ابْنَ الزَّبِيرِ ، إِنَّ هَذَا الْأَنْصَارِيَّ وَاللَّهِ مَا أَمْرٌ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْنَا بِمِثْلِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ عَلَيْنَا ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : يَا ابْنَ عِضَاهُ ، مَا لِي وَلَكَ ! إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، أَفَكُنْتُ قَاتِلًا حَمَامًا مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمَا حَرَمَةُ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ يَا غُلَامُ ، ائْتِنِي بِقَوْسِي وَأَسْهُمِي ، فَأَتَاهَا بِقَوْسِهِ وَأَسْهَمِهِ ، فَأَخَذَ سَهْمًا فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ سَدَّه نَحْوَ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ : يَا حَمَامَةُ ، أَتُخْلَعِينَ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ وَتُفَارِقِينَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتُقِيمِينَ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يُسْتَحْلَلَ بِكَ ؟ وَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتُ لِأَرْمِينِكَ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : وَيْحَكَ ! أَوْ يَتَكَلَّمُ الطَّاغُوتُ ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنَّكَ يَا ابْنَ الزَّبِيرِ تَتَكَلَّمُ . أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُبَايَعُنَّ طَائِعًا أَوْ مُكْرَهًا أَوْ لَتَعْرِفَنَّ رَايَةَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِي هَذِهِ الْبَطْلَحَاءِ ، ثُمَّ لَا أُعْظِمُ مِنْ حَقِّهَا مَا تُعْظِمُ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : أَوْ تَسْتَحْلِلُ الْحَرَمَ ! قَالَ : إِنَّمَا يُسْتَحْلَلُ مِنَ الْخُدِّ فِيهِ . فَجَبَسَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى شَيْءٍ . وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَجَدِ : وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ، وَاسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فُرُوحٍ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَشَبَرَ ابْنَ الزَّبِيرِ بَطْنَهُ :

ما زال في سورة الأعراف يدرسها حتى بدا لي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شيراً قد شَبِعَتْ وَقَدْ أَفْضَلْتُ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثُمَّ إِنَّ ابْنَ الزَّبِيرِ مَضَى إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ زَوْجَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ مِنْ أَثَرَةِ مَعَاوِيَةَ وَابْنِهِ [وَأَهْلِهِ] بِالْفِيءِ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَتَهُ أَنْ يَبَايِعَهُ . فَلَمَّا قَدِمَتْ لَهُ عِشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزَّبِيرِ

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلّا إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القول في ذلك . فقال لها : أمّا رأيت بَعَلَاتٍ معاوية اللواتي كان يُخجّ عليهنّ الشَّهْبُ ، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد وماله على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطِيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزوميّ : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إنّي لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله سيكبر خمير . وقال آخر : خلعته كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعته كما خلعت ثوبي . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خُفّي ، حتى كثرت العمامُ والنعال والخفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؛ وكان هذا أول ما هاج الشرّ بينه وبين ابن الزبير .

| وقعة الحرّة |

قال المدائني : واجتمع أهل المدينة لإخراج بني أميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش ، وأنّ يرُدّوهم عنهم ؛ فإنّ لم يقدرُوا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتاكم وتطوؤكم ، وأعذر لكم ألاّ تخرجوا أميركم ؛ إنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أسرّ شأنِي وأقدركم على إخراجي ! وما أقول هذا إلّا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم . فشتّموه وشتّموا يزيد ، وقالوا : لا نبداً إلّا بك ، ثمّ نخرجهم بعدك . فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضمّ عائلنا . فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثمّ أتى عليّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضمّ أهله وثقله ففعل ، ووجههم وأمراته أمّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابنه : عبد الله ومحمد . فعرض حُرَيْثُ رَقَاصَة وهو موالي لبني بهز من سليم كان بعض عمّال المدينة قطع رجله ، فكان إذا مشى كأنه يرقص ، فسُمّي رَقَاصَة ، لثقل مروان وفيه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعضاً فكادت تدقّ عنقه ، فولّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أميّة . فحسّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رَقَاصَة ، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يصلي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلي بأهله فليصل ، فصلّى بهم ومضى . فمّر مروان بعبد الرحمن بن أضر الزهريّ ، فقال له : هلُمّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يصلّ إليك مكروّة ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتك رَجَمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أعرضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لما أخرجوا ونَدِمَ على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظَلِمُوا وبُغِيَ عليهم . فقال ابنه سالم : لو كَلَّمْتُ هؤلاء القوم ! فقال : يا بني ، لا ينزع هؤلاء القوم عما هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغَيِّرَ غيرَ . قال : فمضوا إلى ذي خُشْبٍ¹ ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأتبعهم العبيد والصبيان والسَّقَلَة يرمونهم . ثم رجع خُرَيْث رَقَاصَة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أمية بذي خُشْبٍ عشرة أيام ، وسَرَّحُوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه العَوث . وبلغ أهل المدينة أنَّهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رَقَاصَة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها ، فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخَّر عنها وزجرها وقال : اعلي واسلمي . فلما كانوا بالسويداء² عرض لهم مولى لمروان ، فقال : جُعِلْتُ فُداك ! لو نزلت فأرحت وتغذيت ! فالغداء حاضر كثير قد أدرك . فقال : لا يدعني رَقَاصَة وأشباهه ، وعسى أن يمكِّن الله منه فُتْقَطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشْبٍ فقال : لا مال إلا ما أحرزته العيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلاً³ أو وادي القرى ؛ وفي ذلك يقول الأحوص :

لا تَرْتَيْنَ الحَزْمِيَّ رَأَيْتَ به ضَرْباً ولو سَقَطَ الحَزْمِيُّ في النارِ
الناخِسِينَ بِمِروانٍ بذي خُشْبٍ والمُقَحِّمِينَ على عثمانٍ في الدارِ

قال المدايني : فدخل حبيب بن كُرة على يزيد ، وهو واضعُ رجله في طستٍ لوجع كان يجده ، بكتاب بني أمية وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثَّره الناس ولم تكن لهم بهم طاقة . فندَّب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجهم القيني ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسَرِّفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلا قَصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إنِّي رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلتُ نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدركْ ثارك أهل المدينة قتلَ عثمان . فخرج مسلم وكان من قصَّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

1 ذو خشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .

2 السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

3 حقيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشويق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فكيفِ بذي وَجْدٍ من القومِ الْفَرِّ
 مِنْ أَجْلِ أَبِي بَكْرٍ جَلَّتْ عَنْ بِلَادِهَا أُمِّيَّةٌ ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَصَارِفِ
 عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . والغناء لسائب خائِرٍ ، خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى ،
 ذَكَرَ ذَلِكَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يُعْرِفُ صَاحِبُهُ . قَالَ الْهَيْثَمُ فِي
 خَبَرِهِ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى فِي ذَلِكَ :

[من الطويل]

قَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْبَلَاطِ مُجَوِّعٌ وَدَارُ أَبِي الْعَاصِ التَّمِيمِيِّ حَتِّفٌ¹
 فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْخَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا وَلَا مِثْلَنَا عَنْ مِثْلِهِمْ يَتَنَكَّفُ

وَقَالَ أَبُو قَطِيفَةَ أَيْضًا :

[من الطويل]

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَسَلَّعَ فِدَارُ الْمَالِ أَمَسَتْ تَصَدَّعُ
 وَبِالشَّامِ إِخْوَانِي وَجُلُّ عَشِيرَتِي فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي إِلَيْهِمْ تَطَّلَعُ
 عَرُوضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَّى فِيهِ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِإِطْلَاقِ الْوَتْرِ فِي مَجْرَى
 الْبَنْصَرِ مِنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لَمَعْدُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى مِنْ رِوَايَةِ حَبِشَ . وَذَكَرَ إِسْحَاقُ
 أَنَّ فِيهِ لَحْنًا فِي خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ مَجْهُولِ الصَّانِعِ . وَقَالَ أَبُو
 قَطِيفَةَ أَيْضًا :

[من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

لَيْتَ شِعْرِي: هَلْ الْبَلَاطُ كَعَهْدِي وَالْمُصَلَّى إِلَى قُصُورِ الْعَقِيقِ ؟
 لَا مَنَسِي فِي هَوَاكَ يَا أُمَّ يَحْيَى مِنْ مُبِينٍ بَعِثْتَهُ أَوْ صَدِيقِ
 عَرُوضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . غَنَّاهُ مَعْبِدُ وَيْقَالُ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَا يُعْرِفُ صَاحِبَهُ .
 حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ : كَانَ ابْنُ

1 البلاط : موضع بالمدينة . هو الحنف بن السجف بن سعد بن عوف كان ديناً شريفاً ، المعارف لابن قتيبة

الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشام ؛ فلما طال مقامه بها قال :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا
وهل برحت بطحاء قبر محمد
لهم منتهى حبي وصفو مودتي
قال وقال أيضاً :

صوت من غير المائة المختارة

ليت شعري وأين مني ليت
أم كعدي العقيق أم غيرته
وبأهلي بئلت عكاً ولخماً
وتبدلت من مساكن قومي
كل قصر مشيد ذي أواس
إفر مني السلام إن جئت قومي
أعلى العهد يلبن فبرام
بعدي الحادثات والأيام ؟
وجداماً ، وأين مني جذام !
والقصور التي بها الآطام ،
يتغنى على ذراه الحمام
وقليل لهم لذي السلام

عروضه من الخفيف ، غناه معبد ، ولحنه ثقیل أول بالخصر في مجرى البصر .
«يلبن» و«برام» : موضعان . والآطام : جمع أطم ، وهي القصور والحصون . وقال
الأصمعي : الآطام : الدور المسطحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أواس»
بالشين معجمة ؛ كانه أراد به أن هذه القصور موشية أي منقوشة . ورواه إسحاق :
«أواس» بالسين غير معجمة ، وقال : واحداً آسي ، وهو الأصل . قال ويقال : فلان في
آسيه ، أي في أصله . والآسي والأساس واحد . وذرى كل شيء : أعاليه ، وهو جمع ،
واحدته ذروة . ويروى : «أبلغن السلام إن جئت قومي» .

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها :

أقطع الليل كله باكتاب
نحو قومي إذ فرقنا بيننا الدا
خشية أن يصيبهم عنت الدهر
فلقد حان أن يكون لهذا الد
وزفير فما أكاذ أنام
ر وحدت عن قصدها الأحلام
ر وحرب يشيب منها الغلام
هر عنا تباعد وانصرام

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مطرف بن عبد الله المدني قالاً : إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال : حنّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنه آمنٌ فليرجع . فأخبر بذلك فأتكفأ إلى المدينة راجعاً ، فلم يصل إليها حتى مات . قال ابن عمّار : فحدثت عن المدائني أنّ امرأة من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشام ، فخرج بها إلى بلده على كرهٍ منها ، فسمعت مُنشدّاً يُنشد شعر أبي قطيفة هذا ، فشبهت شهقةً وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهرة في خِفٍّ ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبه ، فسأل عنها فنسبت له ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه [أيّاها] بكرٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وخرّجتُ مخرّجاً] ، فسمعت متمثلاً يقول :

صوت من غير المائة المختارة

ألا لست شعري هل تغير بعدنا جُبُوبُ المصلّى أم كعهدي القرائن² ؟
 وهل أثورُ حولَ البلاطِ عوامِرٌ من الحيّ أم هل بالمدينة ساكنُ ؟
 إذا برّقتْ نحوَ الحِجازِ سحابةٌ دعا الشوقُ منّي برّفها المتيامنُ
 فلمْ أتركْنها رغبةً عن بلادها ولكنّه ما قدّر الله كائنُ
 عروضه من الطويل ، يقال : إن لمعد فيه لحناً ، قال : فتنفّست بين النساء فوقعت ميّنة .
 قال أيوب : فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال : أتعرفها ؟ قلت لا .
 قال : هي والله عمّتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال : لما أُجلى ابن الزبير بني أميّة عن الحجاز قال أيمن بن خرّيم الأسدي :

كانّ بني أميّة يومَ راحوا وعُريّ عن منازلهم صرار³

1 يقال : خرج فلان في خيف أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالبدال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَمَارِيخُ الْجِبَالِ إِذَا تَرَدَّتْ بِزِينَتِهَا وَجَادَتْهَا الْقِطَارُ¹
 وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن سعد الكُرَاني قال حدثنا العُمري عن
 العتيبي قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو يتولى الكوفة لعثمان بن
 عفان :

مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الْأَمِيرَ بِأَنْتِي أُرِقُّ بِلَا دَاءٍ سَوَى الْإِنْعَاضِ
 إِنْ لَمْ تُعْثِنِي خِفْتُ إِيْمَكَ أَوْ أَرَى فِي الدَّارِ مُحْدُوْدًا بِزُرْقٍ لِحَاطِرِ
 يعني دار عثمان التي تُقام فيها الحدود . فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه .

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازي قال حدثنا الحرّاز عن المدائني قال : كان أبو قطيفة من
 شعراء قريش ، وكان ممن نفاه ابن الزبير مع بني أمية إلى الشام ، فقال في ذلك : [من الطويل]
 وَمَا أَخْرَجْتَنَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِنَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
 أَجِنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابُ كَأَنِّي أُسِيرُ فِي السَّلَامِيلِ رَاهِنُ
 وكان ينحرق على المدينة ؛ فأتى عبّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له : إن خاله أخبره أنّ
 العرافين قد فتحا . فقال عبد الملك لأبي قطيفة لِمَا يعلمه من حبه المدينة : أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ عَبَّادُ
 عَنْ خَالِهِ ؟ قَدْ طَابَتْ لَكَ الْمَدِينَةُ الْآنَ . فقال أبو قطيفة :

إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ إِنْ غَرَّتْني مِنْ حَيَاتِي خَالُ عَبَّادٍ
 أَنَشَأُ يَقُولُ لَنَا الْمُصْرَانِ قَدْ فَتِحَا وَدُونَ ذَلِكَ يَوْمٌ شَرُّهُ بَادِي
 قال : وأذن له ابن الزبير في الرجوع ، فرجع فمات في طريقه .

[قصر سعيد بن العاص بالعرة]

وأما خبر القصر الذي تقدّم ذكره وبيعه من معاوية ، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن
 أبيه قال ذكر مصعب بن عمار بن مصعب بن عروة بن الزبير : أنّ سعيد بن العاص لما حضرته
 الوفاة وهو في قصره هذا ، قال له ابنه عمرو : لو نزلت إلى المدينة ! فقال : يا بني ، إن قومي لن
 يَضُنُّوا عَلَيَّ بَأَن يَحْمِلُونِي عَلَى رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِذَا أَنَا مُتٌ فَأَذْنُهُمْ ، فَإِذَا وَارَيْتَنِي فَانْطَلِقْ إِلَى
 معاوية فأنعني له ، وأنظر في ديني ؛ واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل ، واعرض عليه
 قصري هذا ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا اتَّخَذْتُهُ نَزْهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ . فَلَمَّا مَاتَ آذَنَ بِهِ النَّاسُ ، فَحَمَلُوهُ مِنْ قَصْرِهِ
 حَتَّى دُفِنَ بِالْبُقَيْعِ ، وَرَوَّاحِلَ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ مُنَاحَةً ، فَعَزَّاهُ النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَودَّعُوهُ ، فَكَانَ هُوَ
 أَوَّلَ مَنْ نَعَاهُ لِمَعَاوِيَةَ ؛ فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَكَ دِينًا ؟ قَالَ نَعَمْ . [قال : كم هو ؟

1 شَمَارِيخُ الْجِبَالِ : رُوِّسَهَا ، وَاحِدَاهَا شَمَارَاخ . الْقِطَارُ : جَمْعُ قَطَرٍ وَهُوَ الْمَطَرُ .

قال [ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنّ ذلك وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرض عليك بعض ماله فبتناعه فيكون قضاء دينه منه . قال : فاعرض عليّ . قال : قصره بالعروة . قال : قد أخذته بدينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وقرقها في غرمائه ، وكان أكثرها عدات . فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة موالي له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصك ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أخبرك عنه ، مرّ سعيد بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنّي رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك . فقال لي : ائمني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدّين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأتنا . فقال عمرو : لا جرّم والله لا يأخذها إلّا بالوافية ، أعطه أباهما ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الصلت بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُروني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فيتزوّد وجهه في وجهي فأكره ردّه . فأتاه موالي لقريش بابن مولاة وهو غلام فقال : إنّ أباه قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّني أتيت أباك بابتين فلان ، وأخبره بالقصة . فقال له عمرو : فكّم أخذت ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى أعجز من هذا ! يقول له سعيد : خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألف لأدّيتها عنك .

[أبو قليفة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرّاني قال حدّثنا العمري عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أمّه وأمّ خالد بن الوليد بن عقبة عمّة أروى بنت أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتَب :

أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حين أنمى لأكرم ضيّضي وأعزّ جيل¹

وَأُتِمِّيَ لِلْعَقَائِلِ مِنْ قُصَيٍّ وَمَخْرُومٍ فَمَا أَنَا بِالضَّئِيلِ
وَأُرْوَى مِنْ كُرَيْرٍ قَدْ نَمَتْنِي وَأُرْوَى الْخَيْرِ بِنْتُ أَبِي عَقِيلِ
كَلاَّ الْحَيَيْنِ مِنْ هَذَا وَهَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ فِي الشَّرَفِ الطَّوِيلِ
فَعَدَّدُ مِثْلَهُنَّ أَبَا ذُبَابٍ لِيَعْلَمَ مَا تَقُولُ ذَوُو الْعُقُولِ
فَمَا الزَّرْقَاءُ لِي أُمًّا فَأُخْزِي وَلَا لِي فِي الْأَزَارِقِ مِنْ سَبِيلِ

قال : يعني بأبي الذُّباب عبدَ الملك . والزرقاء : إحدى أمهاته من كندة ، وكان يُعَيَّرُ بها . أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدثنا قَعْنَبُ بن الْحِرْز قال حدثنا المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنَّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصه ، فقال : [من الطويل]

نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِيِّ الْمُسْلِمُ ؟
مَنْ أَنْتُمْ مَنْ أَنْتُمْ خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ فَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ !

فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننت أنَّا نُجْهَلُ ، والله لولا رِعَايَتِي لِحُرْمَتِهِ لَأَلْحَقْتُهُ بِمَا يَعْلَمُ ، ولَقَطَعْتُ جِلْدَهُ بِالسَّيِّاطِ .

[شعري قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبِيِّ قال : طَلَّقَ أَبُو قُطَيْفَةَ امْرَأَتَهُ ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ بِهَا الرَّجُلَ وَصَارَتْ لَهُ ، فَقَالَ :

فِيَا أَسَفًا لِفُرْقَةٍ أُمَّ عَمْرٍو وَرَحْلَةٍ أَهْلِهَا نَحْوَ الْعِرَاقِ
فَلَيْسَ إِلَى زيارَتِهَا سَبِيلٌ وَلَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِي
وَعَلَّ اللَّهُ يَرْجِعُهَا إِلَيْنَا بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلٍ أَوْ طَلَاقِ
فَأَرْجِعْ شَامِتًا وَتَقَرَّ عَيْنِي وَيُجْمَعَ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عَمِّي ومحمد بن جعفر قال حدثنا الحسن بن عُثَيْلِ الْعَنْزِي قال حدثنا محمد بن علي بن أبي حَسَنَ عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان ، فلَمَّا عَزَلَهُ قَدِيمُ الْمَدِينَةِ بِمَالٍ وَسِلَاحٍ وَثَلَاثِينَ عَبْدًا مِنَ السُّعْدِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَهُ دَارًا . فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِيهَا وَمَعَهُ ابْنُ سَيْحَانَ وَابْنُ زَيْنَةَ وَخَالِدُ بْنُ عَقْبَةَ وَأَبُو قُطَيْفَةَ إِذْ تَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ فَقَتَلُوهُ ؛ فَقَالَ أَبُو قُطَيْفَةَ يَرِثُهُ ، وَقِيلَ إِنَّهَا لِخَالِدِ بْنِ عَقْبَةَ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ تَهْتَانَا وَابْكِي سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَا
إِنْ ابْنُ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدُقْ مَوَدَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بْنَ سَيْحَانَا

[4] - ذكر معبد وبعض أخباره

هو معبد بن وهب ، وقيل ابن قطن مولى ابن قطر ، وقيل ابن قطن مولى العاص بن واصمة المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .
 أخبرني الحرُميُّ بن أبي الغلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال : معبد المغني ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .
 وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال ابن الكلبي : معبد مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان قال : معبد بن وهب مولى ابن قطن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيًّا مديد القامة أَحُول .

وذكر ابن خُرْداذبِه أَنَّهُ غَنَى فِي أَوَّلِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّة ، وَأَدْرَكَ دَوْلَةَ وَلَدِ الْعَبَّاس ، وَقَدْ أَصَابَهُ الْفَالَجُ وَارْتَعَشَ وَبَطَلَ ، فَكَانَ إِذَا غَنَى يُضْحَكُ مِنْهُ وَيُهْزَأُ بِهِ . وَابْنُ خُرْدَاذِبِه قَلِيلُ التَّصْحِيحِ لَمَّا يَرُويهِ وَيُضَمِّنُهُ كَتَبَهُ . وَالصَّحِيحُ أَنَّ مَعْبَدًا مَاتَ فِي أَيَّامِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بِدِمَشْقَ وَهُوَ عِنْدَهُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ أَصَابَهُ الْفَالَجُ قَبْلَ مَوْتِهِ وَارْتَعَشَ وَبَطَلَ صَوْتُهُ . فَأَمَّا إِدْرَاكُهُ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ سِوَى ابْنِ خُرْدَاذِبِه وَلَا قَالَهُ وَلَا رَوَاهُ عَنْ أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِهِ مُجَازَفَةٌ .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أيوب بن عمر أبو سلمة المديني قال حدثنا عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال حدثني كَرْدَمُ بْنُ مَعْبَدِ الْمَغْنِيِّ مَوْلَى ابْنِ قَطْنٍ قَالَ : مَاتَ أَبِي وَهُوَ فِي عَسْكَرِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ وَأَنَا مَعَهُ ، فَظَنَرْتُ حِينَ أُخْرِجَ نَعْشُهُ إِلَى سَلَامَةِ الْقَسِّ ، جَارِيَةَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أَضْرَبَ النَّاسُ عَنْهُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَهِيَ آخِذَةٌ بِعُمُودِ السَّرِيرِ ، وَهِيَ تَبْكِي أَبِي وَقُولُ :

قَدْ لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي	كَأَخِي الدَّاءُ الْوَجِيعُ
وَنَجِيَّ الْهَمِّ مَنِي	بَاتَ أَدْنَى مِنْ ضَجِيعِي
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رُبْعًا	خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدِي كَا	نَ لَنَا غَيْرَ مُضْضِعِ
لَا تَلْمُنَا إِنْ خَشَعْنَا	أَوْ هَمَمْنَا بِخُشُوعِ

قال كَرْدَمُ : وَكَانَ يَزِيدُ أَمَرَ أَبِي أَنْ يَعْلَمَهَا هَذَا الصَّوْتُ ، فَعَلَّمَهَا إِيَّاهُ فَدَبَّتْ بِهِ يَوْمَئِذٍ . قَالَ :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ والغَمَرُ أخاهُ متجرِّدينَ في قميصين ورداءين يمشيان بين يدي سريره حتى أُخْرِجَ من دار الوليد ؛ لأنَّه تَوَلَّى أَمْرَه وأخْرَجَه من داره إلى موضع قبره .
فأما نسبةُ هذا الصوت ، فإنَّ الشعرَ للأحوص ، والغناءَ لمُعد ، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه .
وذكر الهشاميُّ أنَّه ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لَحْجَاةٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، ولابنُ المَكِّيِّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ نَشِيدٍ . وفيه لِسْلَامَةُ القَسِّ عن إِسْحَاقَ لَحْنٌ من القدرِ الأوسطِ من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذكرَ مولى لآل الزبير ، وكان منقطعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليٍّ : أنَّ معبدًا عاش حتى كَبُرَ وانقطع صوته ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلَمَّا غَنَّى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتیان نزولاً من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فضحكوا منه وهزئوا به ، فأنشأ يقول² :
[من الطويل]

فَضَحَكْتُمْ قَرِيشًا بِالْفِرَارِ وَأَنْتُمْ قُمَدُونَ سُودَانُ عِظَامِ الْمَنَاكِبِ
فَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قَالًا لَدَيْكُمْ وَلَكِنَّ سِيرًا فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وهذا شعرٌ هُجِّبوا به قديمًا ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيُّ من ذلك وقال : ضَحَكْتُمْ منه حتى إذا أَحْفَظْتُمُوهُ أَرَدْتُمْ أَنْ تَتَنَاوَلُوهُ ، لا والله لا يكونُ ذلك . قال إِسْحَاقُ : فحَلَّتْنِي ابنُ سَلَامٍ قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أَصْبَرْتَ إلى ما أرى ؟ فَأشارَ إلى حَلْقِهِ وقال : إِنَّمَا كَانَ هَذَا ؛ فَلَمَّا كَانَ ذَهَبٌ ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ .

[اعتراف المغنين لمُعد بالنفوق]

قال إِسْحَاقُ : كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعةً ، وأحسنهم حَلْقًا ؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خائِرٍ ، ونشيطِ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْمٍ) ، وكان زوجها مولى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر :

أَجَادَ طُوَيْسٌ وَالسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمُعْبِدٍ

قال إِسْحَاقُ قال ابن الكلبي عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأستمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيام مُسْلِمَ بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ ، وقالوا : ما تقولُ فيه ؟ فقال : إنَّ عاشَ كان مُعْنَى بلادِهِ . ولمُعْبِدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدَّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .

2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزائنة 1 : 453 .

فيها من تأخر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رِقِّه ، وربما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطِ الفارسيِّ وسائب خاثرِ مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحدِّق وحسن الغناء وطيب الصوت . وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدّم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أنّ معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شعبان مثلي ولا سقّا يحمل قربةً على الترم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدر المتكّي أن يترنم بها حتى يقعد مستوفراً¹ ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أنّ معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له : كيف كنت تسمع جعلتُ فداءك ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفيتُ بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسمعتُ مَنْ لا أحصي من أهل العلم بالغناء يقولون : لم يكن فيمن غنّى أحدٌ أعلمُ بالغناء من معبد . قال : وحدثني أيّوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة ، فتحدثت فذكر معبداً فقال : أدركته يلبس ثوبين مُمشّقين² ، وكان إذا غنّى علّا منخراه . فقالت عاتكة : يا سيدي أو أدركت معبداً ؟ قال : إي والله وأقدم من معبد . فقالت : استحييتُ لك من هذا الكبير .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حماد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام قال حدثني جرير قال : قال معبد : قَدِمْتُ مَكَّةَ فَقِيلَ لي : إنّ ابن صفوان قد سبق بين المغنّين جائزاً ، فأتيتُ بابه فطلبتُ الدخول ؛ فقال لي آذنه : قد تقدّم إليّ ألا آذن لأحدٍ عليه ولا أوذنه به . قال فقلت : دَعْنِي أدنو من الباب فأغني صوتاً . قال : أمّا هذا فنعم . فدنوت من الباب ، فغَنَيْتُ [صوتاً] ، فقالوا : معبد ! وفتحوا لي ، فأخذتُ الجائزة يومئذ .

أخبرني الحسين قال نسختُ من كتاب حماد : قال أبي : وذكر عورّك ، وهو الحسن بن عُتْبَةَ اللّهُبِيِّ ، أنّ الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدرُ على الحجّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهلُ المدينة بصوتي معبد :

القصّر فالنخلُ فالجماء بينهم

[من الخفيف]

و«قَتِيلَةٌ» يعني حنّه :

1 قعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالبرغة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدي لنا قُتَيْلَةً عن جِبِّ سِدِّ تَلِيْعٍ تَرْيُنُهُ الْأَطْوَاقُ¹

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء ؟ قال : أرتجل قعودي وأوقع بالقضيب على رجلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت . فقليل له : ما أبين ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقى الغنم بظهر الحرة ، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك ، فأتي صخرة بالحرّة ملقاة بالليل فاستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي .

[اعترف مالك بن أبي السمع لمعبد بالتفوق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسخت من كتاب حماد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدؤسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدؤسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنساناً لملك : أتشدك الله ، أنت أحسن غناء أم معبد ؟ فقال مالك : والله ما بلغت شيراً كه قطع ، والله لو لم يُغن معبد إلا قوله : [من الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيَّتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرِقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالُ فِي حَلَقٍ شَهْبٍ²

لكان حسبه ! قال : وكان مالك إذا غنى غناء معبد يُخَفِّفُ منه ، ثم يقول : أطال الشعر معبدٌ ومططَّه ، وحذفته أنا . وتمام هذا الصوت :

صوت من غير المائة المختارة

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيَّتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرِقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالُ فِي حَلَقٍ شَهْبٍ
إِذَا أَتَفَدُوا الرِّقَّ الرُّوِّيَّ وَصُرُّعُوا نَشَاوَى فَلَمْ أَقْطَعْ بِقَوْلِي لَهُمْ حَسْبِي
بَعَثْتُ إِلَى حَانُوتِهَا فَسَبَّأْتُهَا بَغِيرِ مِكَّاسٍ فِي السَّوَامِ وَلَا غَضَبٍ³

عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . والشعر للمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة . وهكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكر أنه من مراد . ولهذا الشعر خبر طویل يُذكر بعد هذا .

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .

2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .

3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثقيلٌ أولٌ بالوسطى ، ومن الناس من ينسبه إلى ابن سُرَيْج .
ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثقيل الأول بالسَّبَاة في مجرى البَصْر عن
إِسحاق ، ومن الناس من ينسب هذا اللحن إلى معبد ويقول : إنَّ مالكا أخذ لحنه فيه فحذف
بعض نغمه وانتحلّه ، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكر أنَّ هذا الشعر لرجل من
مُرَادٍ ، ورؤي له فيه حديثٌ طويل . وقد أخرج خبره في ذلك وخبرُ مالك بن أبي كعبٍ
الخرزرجيُّ أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أفرد له ؛ إذ كانت
له أخبارٌ كثيرة ، ولأجله لا تصلح أن تذكر هاهنا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبّه قال حدثنا أبو
غَسَّان عن يونس الكاتب قال : أقبَلْتُ من عند معبد ، فلَقِيتُ ابنَ مُحَرِّزٍ ببطحان¹ ، فقال : من
أين أقبَلْتُ ؟ قلتُ : من عند أبي عَبدٍ . فقال : ما أخذتَ عنه ؟ قلتُ : غَنَى صوتاً فأخذته . قال :
وما هو ؟ قلتُ :

ماذا تأمَّلَ واقِفٌ جَمَلاً في رُبْعِ دارٍ عليه قَدَمُهُ

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادخلُ معي دار ابنِ هَرَمَةَ وَالْقَهْ عَلَيَّ ،
فدخلتُ معه ، فما زلتُ أَرُدُّه عليه حتى غَنَاه ، ثم قال : ارجع معي إلى أبي عَبدٍ ، فرجعنا
فسمِعْناه منه ، ثم لم نفتقر حتى صنع فيه ابن مُحَرِّزٍ لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

ماذا تأمَّلَ واقِفٌ جَمَلاً في رُبْعِ دارٍ عليه قَدَمُهُ

أَفْوَى وَأَقْفَرٌ غَيْرُ مُتَنَصِّبٍ لِبَدِ الرَّمَادَةِ ناصِعٍ حُمَمُهُ

غَنَاه معبداً ، ولحنه ثقيلٌ أولٌ بالسَّبَاة في مجرى الوسطى . وفيه خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ
بالوسطى يُنسب إلى الغريض وإلى ابن مُحَرِّزٍ . وذكر عمرو بنُ بَائَةَ أنَّ الثقيل الأول
للغريض . وذكر حبشٌ أنَّ فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه رَمْلٌ بالوسطى يُنسب إلى
سائبٍ خاتِرٍ ، وذكر حبشٌ أنَّه لإسحاق .

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي قال ابن الكلبي : قديم ابنُ

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة .

سُرَيْج والغَرِيضُ المدينةُ يَعْرِضَانِ لِمَعْرُوفٍ أَهْلُهَا ، وَيُزَوِّرَانِ مَنْ بَهَا مِنْ صَدِيقَهُمَا مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ . فَلَمَّا شَارَفَاهَا تَقَدَّمَا تَقْلَهُمَا لِيُرْتَادَا مَنْزِلًا ، حَتَّى إِذَا كَانَا بِالْمَغْسِلَةِ ، وَهِيَ جَبَانَةٌ عَلَى طَرَفِ الْمَدِينَةِ يُغْسَلُ فِيهَا الثِّيَابُ ، إِذَا هُمَا بِغَلَامٍ مُلْتَحِفٍ يَازِرٍ وَطَرَفَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، بِيَدِهِ جِبَالَةٌ يَتَصَيَّدُ بِهَا الطَّيْرَ وَهُوَ يَتَغَنَّى وَيَقُولُ : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ
وَإِذَا الْغَلَامُ مَعْبُدٌ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ مَعْبُدًا مَالًا إِلَيْهِ وَاسْتَعَادَاهُ الصَّوْتَ فَأَعَادَهُ ، فَسَمِعَا شَيْئًا لَمْ يَسْمَعَا بِمِثْلِهِ قَطُّ . فَأَقْبَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ : هَلْ سَمِعْتَ كَالْيَوْمِ قَطُّ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! فَمَا رَأَيْكَ ؟ قَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ : هَذَا غَنَاءُ غَلَامٍ يَصِيدُ الطَّيْرَ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ فِي الْجَوَابَةِ ! يَعْنِي الْمَدِينَةَ . قَالَ : أَمَّا أَنَا فَتَكَلَّمْتُهِ وَالِدَتُهُ إِنْ لَمْ أَرْجِعْ . قَالَ : فَكَّرَا رَاجِعِينَ . [قدم معبد مكة ومشاهدة الغريض]

قَالَ : وَقَالَ مَعْبُدٌ : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَذَهَبَ بِي بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ إِلَى الْغَرِيضِ ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ مُتَصَبِّحٌ² ، فَاتَّبَعَهُ مِنْ صُبْحَتِهِ وَقَعْدَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الْقُرَشِيُّ ، وَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ : هَذَا مَعْبُدٌ قَدْ أَتَيْتُكَ بِهِ ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ . قَالَ : هَاتِ ، فَغَنَيْتُهُ أَصَوَاتًا . فَقَالَ بِلَذَرَى³ مَعَهُ فِي رَأْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّكَ يَا مَعْبُدُ لَمَلِيحُ الْغَنَاءِ . قَالَ : فَأَحْفَظُنِي ذَلِكَ ، فَجَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتِي ، ثُمَّ غَنَيْتُهُ مِنْ صَنْعَتِي عَشْرِينَ صَوْتًا لَمْ يُسَمِعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ ، وَهُوَ مُطَرِّقٌ وَاجِمٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَسَدًا وَخَجَلًا . [ابن معبد وحكم الوادي]

قَالَ إِسْحَاقُ : وَأُخْبِرْتُ عَنْ حَكَمِ الْوَادِي قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُغَنِّينَ نَخْتَلِفُ إِلَى مَعْبُدٍ نَأْخُذُ عَنْهُ وَنَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، فَغَنَانَا يَوْمًا صَوْتًا مِنْ صَنْعَتِهِ وَأَعْجَبَ بِهِ ، وَهُوَ : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما

فَاسْتَحْسَنَاهُ وَعَجِبْنَا مِنْهُ . وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَوَّلَ مَنْ أَخَذَهُ عَنْهُ وَاسْتَحْسَنَهُ مِنِّي فَأَعْجَبْتَنِي نَفْسِي . فَلَمَّا انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ مَعْبُدٍ عَمِلْتُ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ وَبَكَّرْتُ عَلَى مَعْبُدٍ مَعَ أَصْحَابِي وَأَنَا مُعْجَبٌ بِلَحْنِي . فَلَمَّا تَغَنَيْتُهُ أَصَوَاتًا قُلْتُ لَهُ : إِنِّي قَدْ عَمِلْتُ بِعَذْكَ فِي الشَّعْرِ الَّذِي غَنَيْتَاهُ لَحْنًا ، وَانْدَفَعْتُ فُغْنِيَتَهُ صَوْتِي ؛ فَوَجَّهَ مَعْبُدٌ سَاعَةً يَتَعَجَّبُ مِنِّي ثُمَّ قَالَ : قَدْ كُنْتُ أُمَسُّ أَرْجَى مِنِّي لَكَ الْيَوْمَ ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي أَبْعَدُ مِنَ الْفَلَاحِ . قَالَ حَكَمٌ : فَانْسِيَتْ ، يَعْلَمُ اللَّهُ ، صَوْتِي ذَلِكَ مِنْذُ تِلْكَ السَّاعَةِ فَمَا ذَكَرْتُهُ إِلَى وَقْتِي هَذَا .

1 لعلها الحومة .

2 التَّصَبُّحُ : النَّوْمُ بِالْعُدَاةِ .

3 المَدَرَى : الْمَشْطُ .

[مبعد والأسود]

قال إسحاق : وقال مبعد : بَعَثَ إِلَيَّ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْحِجَازِ ، وَقَدْ كَانَ جُمِيعٌ لَهُ الْحَرَمَانُ ، أَنْ
أَشْخَصَ إِلَى مَكَّةَ ، فَشَخَصْتُ . قَالَ : فَتَقَدَّمْتُ غُلَامِي فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَاشْتَدَّ عَلَيَّ الْحَرُّ
وَالْعَطَشُ ، فَاتَّهَيْتُ إِلَى خِيَاءٍ فِيهِ أَسْوَدٌ وَإِذَا حِجَابٌ مَاءٌ قَدْ بُرِّدَتْ ، فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا
هَذَا ، اسْقِنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ . فَقَالَ لَا . فَقُلْتُ : فَأَذِّنْ لِي فِي الْكِئِنْ سَاعَةً . قَالَ لَا . فَأَنْخَتُ
نَاقَتِي وَلَجَّاتُ إِلَى ظِلِّهَا فَاسْتَرْتُ بِهِ ، وَقُلْتُ : لَوْ أَحْدَثْتُ لِهَذَا الْأَمِيرِ شَيْئاً مِنَ الْغَنَاءِ أَقْدَمُهُ بِهِ
عَلَيْهِ ، وَلَعَلِّي إِنْ حَرَكْتُ لِسَانِي أَنْ يُبَلَّ حَلْقِي رِيقِي فَيُخَفِّفَ عَنِّي بَعْضُ مَا أَجْدُهُ مِنَ الْعَطَشِ !
فَتَرَنَمْتُ بِصَوْتِي :

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما

فَلَمَّا سَمِعَنِي الْأَسْوَدُ ، مَا شَعَرْتُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ احْتَمَلَنِي حَتَّى أَدْخَلَنِي خِيَاءَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ
بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ! هَلْ لَكَ فِي سَوِيقِ السُّلْتِ³ بِهَذَا الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ مَنَعَنِي أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ ،
وَشَرِبْتُ مَاءً تَجَرَّئِي . قَالَ : فَسَقَانِي حَتَّى رَوَيْتُ ، وَجَاءَ الْغُلَامُ فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَى وَقْتِ الرِّوَاكِ .
فَلَمَّا أُرِدْتُ الرِّحْلَةَ قَالَ : أَيُّ ، بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ! الْحَرُّ شَدِيدٌ وَلَا آمَنَ عَلَيْكَ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكَ ،
فَأَذِّنْ لِي [فِي] أَنْ أَجْعَلَ مَعَكَ قَرِيبَةً مِنْ مَاءٍ عَلَى عُنْقِي وَأُسْعَى بِهَا مَعَكَ ، فَكَلَّمَا عَطِشْتُ سَقَيْتُكَ
صَحْنًا وَغَيْتَنِي صَوْتًا ! قَالَ : قُلْتَ ذَاكَ لَكَ . فَوَاللَّهِ مَا فَارَقَنِي يَسْقِينِي وَاعْتَنِيهِ حَتَّى بَلَغْتَ الْمَنْزَلَ .
[مبعد وابن سريج يانقيان يبطن مر]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ جَعْفَرِ بْنِ قُدَّامَةَ بِخَطِّهِ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ
عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : كَانَ مَبْعَدٌ خَارِجاً إِلَى مَكَّةَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَسَمِعَ فِي طَرِيقِهِ غِنَاءً فِي «بَطْنِ
مَرٍّ»⁴ فَقَصَّدَ الْمَوْضِعَ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى حَرْفِ بَرَكَةِ فَارِقٍ شَعْرَهُ حَسَنُ الْوَجْهِ ، عَلَيْهِ
دُرَاعَةٌ قَدْ صَبَغَهَا بِزَعْفَرَانٍ ، وَإِذَا هُوَ يَتَغَنَّى :

صوت

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَا
وَدَعَا الْمَمَّ شَجْوَهُ فَأَجَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنْزِلٍ لِسُلْمَى خَلَاءٍ
لَا يَسُ مِنْ خَلَائِهِ جِلْبَابَا

1 جمع خَبٍّ وهو الجَرَّةُ .

2 الكِئِنْ : مَا وَقَاكَ مِنْ حَرٍّ أَوْ بَرْدٍ .

3 السُّلْتِ : شَعِيرٌ لَا قَشْرَ لَهُ .

4 بَطْنُ مَرٍّ : مَوْضِعٌ عَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ مَكَّةَ وَيُقَالُ لَهُ : «مَرُّ الظُّهْرَانِ» .

عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعًا أَنْ يَرُدَّ رُبْعَ جَوَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمُنْسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَدِّ بَّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
فَفَرَعَ مَعْبِدٌ بَعْضَاهُ وَغَنَّى : [من الكامل]

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقْتُ تُقْلِبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفْعَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءُ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ : يَا اللَّهِ أَنْتَ مَعْبِدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، [فَسَأَلَتْهُ] يَا اللَّهِ أَنْتَ ابْنُ سُرَيْجٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَوَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُكَ مَا غَنَيْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَابَا وَدَعَا الْهَمُّ شَجْوَهُ فَاجَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمُنْسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَدِّ بَّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنْزِلٍ لِسُلْمَى خَلَاءِ مُكْتَسِرٍ مِنْ غَفَائِهِ جِلْبَابَا
عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعًا أَنْ يَرُدَّ رُبْعَ جَوَابَا
ثَانِيًا مِنْ زِمَامٍ وَجَنَاءِ غَنَسٍ قَانِيًا لَوْنُهَا يُخَالِ خِضَابَا
جَدُّهَا الْفَالِجُ الْأَشْمُ مِنَ الْبُخْدِ سَتِ وَخَالَاتُهَا اتَّخِيزَنَّ عِرَابَا
الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى
الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

صوت

[من الكامل]

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقْتُ تُقْلِبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكَأَنَّ أَفْعَدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنْ الْمَشَامِيِّ .
[رحلة معبد إلى الأهواز]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيَاطِيقٍ قَالَ
حَدَّثَنِي يُونُسُ الْكَاتِبُ قَالَ : كَانَ مَعْبِدٌ قَدْ عَلَّمَ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحِجَازِ الْغِنَاءَ ، تُدْعَى ظَبِيَّةَ ،

وعُني بتخريبها ، فاشترها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشترها رجل من أهل الأهواز ، فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لَحَبَّتْه إِيَّالها وأُسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقره ، ويُظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغائته على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبدٌ خيره ، فخرج من مكَّة حتى أتى البصرة ، فلمَّا وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلَّاح أن يُجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا . فلمَّا صاروا في قَم نهر الأبلَّة¹ تغدَّوا وشربوا ، وأمر جواريه فغَنَيْن ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه قَرَوٌ وخُفَّان غليظان وزِيٌّ جافٌ من زِيٍّ أهل الحجاز ، إلى أن غَنَّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانَتْ سَعَادُ وأَمسى حَبْلُها انصَرَمَا واحتَلَّت الغَوْرَ فالأَجْرَاعَ من إضْمَا²
إحدى بَلِيٍّ وما هام الفَوَادُ بها إلَّا السَّفَاةُ وإلَّا ذُكْرَةَ حُلْمَا

قال حماد : والشعر للنابعة الذبياني ، والغناء لمعبد ، وخفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبِصْر ، وفيه لغيره الحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إن غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضب : وأنت ما يُدريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتلزمُ شأنك ! فأمسك ، ثم غَنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلَّم ، حتى غَنَّت :

صوت

با ابنة الأَزْدِي قَلْبِي كَتَيْبُ مُسْتَهَامٌ عندها ما يُبِيْ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُونِي إِنْ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيْبُ
إنما أُنَلِّ عِظامي وجِسمي حُبُّها والحُبُّ شيءٌ عَجِيْبُ
أيُّها العائبُ عندي هواها أنتَ تَقْدِي مَنْ أراكَ تَعِيْبُ³

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لمُعَبْدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالسَّبَّابةِ في مَجْرَى البِصْر ، قال :

1 الأَبْلَّةُ : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجْرَاع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنورة .

3 مَنْ لَعَلَّ صولها «الذي» .

فَأَخَلَّتْ بِيَعْضَهُ ، فَقَالَ لَهَا مَعْبُدٌ : يَا جَارِيَّةُ ، لَقَدْ أَخَلَلْتُ بِهَذَا الصَّوْتِ إِخْلَالًا شَدِيدًا . فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَا أَنْتَ وَالْغَنَاءُ ! أَلَا تَكْفُ عَنْ هَذَا الْفُضُولِ ؟ فَأَمْسَكَ . وَغَنَى الْجَوَارِي مَلِيًّا ، ثُمَّ غَنَتْ إِحْدَاهُنَّ :

صوت

خَلِيلِيَّ عَوْجًا فَأَلْبِكِيَا سَاعَةً مَعِي عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنُودَعُ¹
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَلِمَّ بِدِمْنَةٍ لِعَزَّةٍ لَاحَتْ لِي بِنِيدَاءٍ بَلْقَعٍ
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا : رَاجِعِ الْهَوَى وَلِلْعَيْنِ : أَذْرِي مِنْ دُمُوعِكَ أَوْدَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لَنَا مَصِيفًا أَقْمَنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعٍ

الشعر لكثير ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمز للغريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقوين² على أداء صوت واحد ؟ فغضِبَ الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة ، فأمسك معبدٌ ؛ حتى إذا سكنت الجواري سكنته اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسنت والله يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناء ، فسأله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه ؛ فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعنا سوء رده عليك وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُدَارِيه . ثم غنى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبّل رأسه وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إليّ بسوء العشرة³ وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى ، وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي . فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمِنَ أَيْنَ أَخَذَهُ جَوَارِيكَ ؟ فقال : أَخَذَنِي مِنْ جَارِيَةٍ كَانَتْ لِي ابْتَاعَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ عَنْ أَبِي عَبْدِ مَعْبُدٍ وَغَنَى بِتَخْرِيجِهَا ، فَكَانَتْ تَحُلُّ مَنِيَّ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ، ثُمَّ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا ، وَبَقِيَ هَؤُلَاءِ الْجَوَارِي وَهْنٌ مِنْ تَعْلِيمِهَا ، فَأَنَا إِلَى الْآنَ أَتَعَصَّبُ لِمَعْبُدٍ وَأَفْضَلُهُ عَلَى الْغَنَيْنِ جَمِيعًا وَأَفْضَلُ

1 ديوان كثير : 410 .

2 ل : تقومين .

3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلِّ صنعة . فقال له معبد : أو إنك لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصكَّ معبدٌ بيده صلعته ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصذك بالأهواز ، والله لا قصرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك في كلِّ واحدةٍ منهنَّ خلفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمنَّا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة ، وأسأنا عشرتك ، وأنت سيدنا ومَن نتمنى على الله أن تلقاه . ثم غيَّر الرجلُ زيَّه وحاله وخلع عليه عِدَّةَ خَلَع ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حذقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودَّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد للوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالوا : حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي¹ قال حدثني مهديُّ بن سابق قال حدثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدثني عمر القاري بن عديّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجهَ البريد إلى المدينة فأتني بمعبد ، وأمر الوليد بركة قد هيئت له فملئت بالخمر والماء ، وأتني بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما سترٌ قد أرخى ؛ فقال له غنني يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْمِي عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانُوا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ
أَبْكَى فِرَاقَهُمْ عَيْنِي وَأَرْفَهَا إِنَّ التَّفَرُّقَ لِلْأَحْبَابِ بَكَاءُ

الغناء لمعبد خفيفٌ ثقيلٌ ، وفيه ليحيى المكيّ رملٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلُّها رواية الهشامي . قال : فغنّاه إياه ، فرفع الوليد الستّر ونزع ملاءةً مطيَّبةً كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلةً ، ثم أتني بأثوابٍ غيرها وتلقّوه بالمجامر والطيب ، ثم قال غنني : [من الكامل]

صوت

يَا رُعُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مَتِيَّامَا قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِرًا وَمُسْتِمَامَا
جَادَتْكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَالَةً حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةٍ² مُتَبَسِّمًا

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريّا بن دينار الغلابي .

2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى والخنصر عن ابن المكي . وفيه لعلوئه ثاني ثقيل آخر بالبصر في مجراها عنه . قال : فغناه فدعا له بخمسة عشر ألف دينار فصَبَّها بين يديه ، ثم قال : انصرف إلى أهلك واكنم ما رأيت .

وأخبرني بهذا الخبر عمي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني سليمان بن سعد الحلبي قال : سمعت القاري بن عادي يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجه إليه إلى المدينة فأحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر بركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ، ثم فرش للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبسط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالث ، وجيء بمعبد فرأى سترًا مرخيًا ومجلس رجل واحد . فقال له الحجاب : يا معبد ، سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ؛ فسلم فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ، ثم قال له : حيّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وجهت إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحييتُ أن أسمع منك . قال معبد : أغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غني : [من البسيط] ما زال يَعدُّو عليهم ريبٌ دهرهم حتى تفانوا وربُّ الدهر عداءُ

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجوّاري السَّجف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجوّاري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غني يا معبد :

يا ربُّعُ ما لك لا تُجِيبُ متيِّمًا قد عاج نحوك زائرًا ومسلماً
جادتكَ كلُّ سحابةٍ هطَّالةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ متبسِّمًا
لو كنتَ تدري مَنْ دعاكَ أجبتَه وبكيتَ من حُرِّقَ عليه إذا دما

قال : فغناه ، وأقبل الجوّاري فرفعن الستّر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غني . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غني :

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتِي أُنْدُبُ الرِّبْعَ المُحِيلَا
واقفاً في الدار أبكي لا أرى إلاّ طلولا
كيف تبكي لأناسٍ لا يملّون الدميلا ؟²

1 ل : سعيد .

2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كَلَّمَا قَلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا¹

قال : فَلَمَّا غَنَاهُ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ شَرِبَ وَسَقَى مَعْبَدًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْبِدُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ عِنْدَ الْمُلُوكِ حَظًّا فَلَيَكُنَّ أَسْرَارُهُمْ . فَقُلْتُ : ذَلِكَ مَا لَا يَحْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِيصَائِي بِهِ . فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَى مَعْبِدِ عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ تَحْصُلْ لَهُ فِي بَلَدِهِ وَالْقِيَّ دِينَارًا لِنَفَقَةِ طَرِيقِهِ ، فَحَمَلْتُ إِلَيْهِ كُلَّهَا ، وَحَمَلْتُ عَلَى الْبَرِيدِ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

[معبد والشيخ الشامي]

قال إسحاق : وقال معبد : أُرْسِلَ إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ فَأُشْخِصْتُ إِلَيْهِ . فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي بَعْضِ حَمَامَاتِ الشَّامِ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ لَهُ هَيْبَةٌ وَمَعَهُ غُلَمَانٌ لَهُ ، فَاطَّلَى وَاشْتَغَلَ بِهِ صَاحِبُ الْحَمَامِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَنْ لَمْ أَطَّلِعْ هَذَا عَلَى بَعْضِ مَا عِنْدِي لَأَكُونَنَّ بِمَرْجَرِ الْكَلْبِ ؛ فَاسْتَدْبِرْتُهُ حَيْثُ يَرَانِي وَيَسْمَعُ مِنِّي ، ثُمَّ تَرَنَّمْتُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِلْغُلَمَانِ : قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا هَا هُنَا ، فَسَارَ جَمِيعُ مَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدِي . قَالَ : ثُمَّ سَأَلَنِي أَنْ أُسِيرَ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَجَبْتُهُ ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْ ابْرٍ وَالْإِكْرَامِ شَيْئًا إِلَّا فَعَلَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيذَ ، فَجَعَلْتُ لَا أَتِي بِخَسَنِ إِلَّا خَرَجْتُ إِلَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَرْتَاحُ وَلَا يَحْفَلُ لَمَّا يَرَى مِنِّي . فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ أَمْرِي قَالَ : يَا غَلَامُ ، شَيْخُنَا شَيْخُنَا ، فَأَنِّي بِشَيْخٍ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ هَشَّ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ الْعُودَ ثُمَّ انْدَفَعَ يُغَنِّي :

سَلَوُزُ فِي الْقَدْرِ وَيَلِي عُلُوهُ جَاءَ الْقَطْ أَكَلَهُ وَيَلِي عُلُوهُ

السَّلَوُ : السَّمَكُ الْجَرِّيُّ بَلْعَةً أَهْلُ الشَّامِ . قَالَ : فَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ يُصَفِّقُ وَيَضْرِبُ بِرِجْلِهِ طَرْدًا وَسُرُورًا . قَالَ : ثُمَّ غَنَاهُ :

وَتَرْمِينِي حَبِيبَةً بِالْدُّرَاقِنِ وَتَحْسِينِي حَبِيبَةً لَا أَرَاهَا

الدُّرَاقِنُ : اسْمُ الْخَوْخِ بَلْعَةً أَهْلُ الشَّامِ . قَالَ : فَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جِلْدِهِ طَرِبًا . قَالَ : وَانْسَلَلْتُ نَهْمٌ فَانْصَرَفْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي . فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ غَنَاءً أَضِيعُ ، وَلَا شَيْخًا أَجْهَلُ !

[معبد وابن نائشة]

قال إسحاق : وَذَكَرَ لِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ : أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ كَانَ يُلْقَى عَلَيْهِ وَعَلَى رَبِيعَةَ الشَّامِاسِيَّةِ ، فَدَخَلَ مَعْبَدٌ فَأَلْقَى عَلَيْهِمَا صَوْتًا ، فَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ يُغَنِّيهِ وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْهُ فَغَضِبَ مَعْبِدٌ وَقَالَ : أَحْسَنْتُ يَا ابْنَ عَاهِرَةِ الدَّارِ ، تُفَاحِرْنِي ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي

1 قالوا في ل : صاحوا .

الله فداءك يا أبا عباد ، ولكي أقتبس منك ، وما أخذته إلا عنك ، ثم قال : أنشدك الله يا ابن سَمَّاس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهم نعم .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غناء ، فقيل له : وكيف أصبحت أحسن الناس غناء ؟ قال : وما يمنعي من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً ، وأبو عباد مُغْنِي أهل المدينة والمقدّم فيهم !

[قدوم معد إلى مكة والقائه بالمغنين بها]

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب ابن عباية عن رجل من هذيل قال : قال معبد : غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذكر ، فقلت : لا يبين مكة فلا أسمعن من المغنين بها ولا أغنيهم ولا نعرف إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكة . فلما قدمتها بعث حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقعيعان¹ في بيت فلان ؛ فجنّت إلى منزله بالجلس فقرعت الباب ؛ فقال : من هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعيد كأنه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجل من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجل أشتهي الغناء ، وأزعم أنني أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أن القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببت أن تنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني . فلو شيئاً ثم قال : انزل على بركة الله . قال : فقلت متاعي فنزلت في جانب حُجْرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : من هذا الرجل ؟ قال : رجل من أهل المدينة خفيف يشتهي الغناء ويضطرب عليه ، ليس عليكم منه غنٍّ ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنّوا ، فجعلت أعجب بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويُعجبهم مني ، حتى أقمنا أياماً ، وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أمسك علي صوتك :

قُلْ لهندي وترها قبل شحط النوى غداً

قال : أو تحسن شيئاً ؟ قلت : تنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعت فيه فغنيت ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلك الله ! قلت : فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي ، فغنيت ، فازدادوا عجباً وصباحاً . فما تركت واحداً منهم إلا غنيت من غنائه أصواتاً قد تخيرتها . قال :

1 قعيعان : قرية قرب مكة .

فصاحوا حتى غَلَّتْ أصواتُهم وهَرَفُوا بي¹ وقالوا : لَأَنْتَ أَحْسَنُ بِأَدَاءِ غَنَائِنَا عَنَّا مِنَّا . قال : قلت : فَأَمْسِكُوا عَلَيَّ وَلَا تَضْحَكُوا بِي حَتَّى تَسْمَعُوا مِن غَنَائِي ، فَأَمْسَكُوا عَلَيَّ ؛ فغَنَيْتُ صَوْتاً مِن غَنَائِي فَصَاحُوا بِي ، ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ آخَرَ وَآخِرَ فَوْتَبُوا إِلَيَّ وَقَالُوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَصَيْتاً وَاسِماً وَذِكْراً ، وَإِنَّ لَكَ فِيْمَا هَاهُنَا لَسَهْماً عَظِيماً ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قلت : أَنَا مَعْبُد . فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَقَالُوا : لَفَقَتْ عَلَيْنَا وَكُنَّا نَتَهَاوَنُ بِكَ وَلَا نَعْلُكَ شَيْئاً وَأَنْتَ أَنْتَ . فَأَقَمْتَ عِنْدَهُمْ شَهْراً أَخَذَ مِنْهُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنِّي ، ثُمَّ انصرفت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنْدٍ وَتَرْبِهَا	قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا
إِنْ تَجُودِي فَطُلْمَا	بِتُ لَيْلِي مُسْهَدَا
أَنْتِ فِي وَدٍّ بَيْنَا	خَيْرُ مَا عِنْدَنَا يَدَا
حِينَ تَذْلِي مُضَقَّرَا	حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدَا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة² ، والغناء لابن سريج عن حماد ولم يُجَنِّسه . وفيه لمالك خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهشامي : فيه لابن مُحَرِّز خفيف ثقيل بالوسطى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِيَّ لَمَّا جَهَّدَتْهُ	وَبَيِّنَ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا
لِلذَلِكَ أُذُنِي دُونَ خَيْلِي مَكَانَهُ	وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يَهَانَ وَيُكْرِمَا
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً	فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكَلَّ وَتَسَامَا

1 حرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر - بيروت) 1961 .

عَدِمْتُ إِذَا وَفَّرِي وَفَارَقْتُ مُهْجَتِي لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنًا إِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ¹
 عروضه من الطويل . قوله : «لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنًا» ، يعني أَنَّهُ يَجِدُ فِي سِيرِهِ حَتَّى يَقِيلَ بِهَذَا
 الموضع ، وهو قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة² المخزومي ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني
 ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيل بالنصر عن عمرو بن بانة .
 وفيه ثقيلٌ أَوَّلُ يقال إِنَّهُ لِيَحْيَى الْمَكِّي . وفيه خفيف رملٍ يقال إِنَّهُ لِأَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْمُنْجَمِ .
 وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة . وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط
 لسقوط صنعه .

أخبرني جحظة قال حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ قَالَ : صنع عمرو بن بانة لحناً في
 «تَشَكُّي الْكُمَيْتِ الْجَرِي» فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ عَجَائِزِنَا بِذَلِكَ ، قَالَتْ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْرُضَهُ عَلَى
 مَتَيْمٍ لِنَعْلَمَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ ، فَقَلْنَا لِبَعْضِ مَنْ أَخَذَهُ عَنْ عَمْرٍو : غَنَّ «تَشَكُّي الْكُمَيْتِ
 الْجَرِي» فِي اللَّحْنِ الْجَدِيدِ ؛ فَقَالَتْ مَتَيْمٌ : أَيُّشِرَ هَذَا اللَّحْنُ الْجَدِيدُ وَالْكُمَيْتُ الْمَحْدَثُ ؟
 قَلْنَا : لَحْنٌ صَنَعَهُ عَمْرٍو بْنُ بَانَةَ . فَعَنَّتْهُ الْجَارِيَةُ ، فَقَالَتْ مَتَيْمٌ لَهَا : اقْطِعي اقْطِعي ، حَسْبُكَ
 حَسْبُكَ هَذَا ! وَاللَّهِ لِحَمَارٍ حَيْنٍ الْمَكْسُورُ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْكُمَيْتِ .

1 أَقُلْ : من القيلولة ؛ وقرن : اسم موضع ، ذكره في المتن .

2 ديوان عمر : 341 .

[5] - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويكنى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطّاب» . وكان أبو ربيعة جدّه يسمّى «ذا الرّمحين» ؛ سُمّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رمحين .

أخبرني بذلك الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني عمّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه الضحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن البربوعي . وقيل : إنّهُ قاتلَ يوم عكاظ برّمحين فسُمّي «ذا الرمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمسيبيّ ومحمد بن سلام ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الرّبْعَرى :

لَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ	أَلَا لِلّهِ قَـوْمٌ وَ
مَنَافٍ مِدْرَهُ الْخَصَمُ ¹	هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ
عَلَى الْقَوَّةِ وَالْحَزَمِ ²	وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ
وَذَا مِنْ كَتَبَ يَرْمِي	فَهَذَانِ يَلْذُودَانِ
نَ مَنَاعُونَ لِلْهَضَمِ ³	أُسُودٌ تَزْدَهِي الْأَقْرَا
نَعَا النَّاسَ مِنَ الْهَرَمِ	وَهُمْ يَوْمَ عُكَازٍ مَ
بَسْرُ الْحَسَبِ الضَّخَمِ ⁴	وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَا
هَ لَا أَحْلَفُ عَلَى إِثْمِ	فَإِنْ أَحْلَفَ وَبَيْتِ الدِّ
قُصُورِ الشَّامِ وَالرَّدَمِ	لَمَّا مِنْ إِخْوَةٍ بَيْنِ
سَ أَوْ أَوْزَنَ فِي الْحِلْمِ	بَازُكَيَ مِنْ بَنِي رَيْطَ

1 المدرة : زعيم القوم .

2 يقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان .

3 تزدهي الأقران : تستخفّ بهم .

4 يقال : أشبي فلان إذا وُلِدَ ولد كيّس .

أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة . ورَبِطَةُ هذه التي عنها هي أُم بني المغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدت من المغيرة هِشاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكهة .

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطوسي والحزيمي بن أبي العلاء قالا : حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال حَدَّثَنَا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَل عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وَجَّهْتُ أَطْلُبُ مِنْهُ مَغْرَمًا ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم ، وَأَتَشِدُّ هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حَسَّانَ يُنْشِدُهَا رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أفتري على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعتُ عائشة تُنْشِدُهَا فعلتُ . فقال : لا ، إلا أن تقول : سمعتُ حَسَّانَ يُنْشِدُهَا رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليّ وأُيِّتَ عليه ، فَأَقَمْنَا لذلك لا نتكلم عدَّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هِشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أُمَيَّة . فقلت : سَمَّهْمَ لي ، فسَمَّاهُم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من المزج]

أَلَا لِلَّهِ قُـوْمٌ و لدتُ أُخْتُ بني سَهْمِ

. . . الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزُّبَيْرِ . قال : فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزُّبَيْرِ .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال : أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائل هذه الأبيات :

أَلَا لِلَّهِ قُـوْمٌ و لدتُ أُخْتُ بني سَهْمِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلهبي قالا : حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي محمد بن يحيى قال حَدَّثَنِي عبد العزيز بن عمران قال حَدَّثَنِي محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شَبَّة : قال محمد بن يحيى : وَأُخْتُ بني سهم التي عنها رِبْطَةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لُؤَيِّ بن غالب ، وهي أُم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكهة ، وعدَّةٌ غيرهم لم يُعْقِبُوا ، وإِياهم يعني أبو ذؤيب بقوله :

صَخْبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَانَتْهُ عَيْدُ لَالِ أَبِي رَبِيعَةَ مُسْبِعُ

ضَرَبَ بَعْزُهُمُ الْمَثَلَ . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بِجِيراً ، فسَمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عبد الله ؛ وكانت قريش تُلَقِّبُهُ «العَدْلُ» ؛ لِأَن قَرِيشاً كانت تَكْسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنَّة ، ويكسوها هو من ماله سنَّة ، فأرادوا بذلك أَنَّهُ وَحْدَهُ عَدْلٌ لَهُمْ جَمِيعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ :

[من الطويل]

بَحِيرُ بْنُ ذِي الرُّمَحِينَ قَرَّبَ مَجْلِسِي وَرَاحَ عَلَيَّ خَيْرُهُ غَيْرَ عَاتِمٍ .
وقد قيل : إِنَّ الْعِدْلَ هُوَ الْوَلِيدُ مِنَ الْمُغِيرَةِ .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً ، وكان مَتَجِرُهُ إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً . وأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةَ ، وقيل : مُخَرَّمَةٌ ، وكانت عَطَّارَةً يَأْتِيهَا الْعِطْرُ مِنَ الْيَمَنِ . وقد تَزَوَّجَهَا هِشَامُ بْنُ الْمُغِيرَةِ أَيْضاً ، فولدت له أبا جَهْلَ والحارثَ ابْنَي هِشَامٍ ؛ فَبَيَّ أُمُهُمَا وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبَّاشُ ابْنَي أَبِي رَبِيعَةٍ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ وَالطُّوسِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةَ تَتَّبِعُ الْعِطْرَ بِالْمَدِينَةِ . فَقَالَتْ الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَكَانَ أَبُوهَا قَتَلَ أبا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ يَوْمَ بَدْرٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ : بَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ، فَذَكَرْتُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ مُخْرَبَةَ دَخَلَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ تَتَّبِعُ عِطْرًا لَهَا فِي نِسْوَةٍ ، قَالَتْ : فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَانْتَسَبْنَا لَهَا . فَقَالَتْ : أَنْتِ ابْنَةُ قَاتِلِ سَيِّدِهِ ؟ تَعْنِي أبا جَهْلَ . قُلْتُ : بَلْ أَنَا بِنْتُ قَاتِلِ عَبْدِهِ . قَالَتْ : حَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ أُبْعِكَ مِنْ عِطْرِي شَيْئًا . قُلْتُ : وَحَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَمَا وَجَدْتُ لِعِطْرِ نَتْنًا غَيْرَ عِطْرِكَ ، ثُمَّ قَمْتُ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ عِطْرًا أَطْيَبَ مِنْ عِطْرِهَا ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُعَيِّنَهُ لِأُعِظَّهَا .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المَهَنَ ، وكان عددهم كثيراً ؛ فَرُوِيَ عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ : هَلْ لَكَ فِي حَبَشٍ بَنِي الْمُغِيرَةِ تَسْتَعِينُ بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « لَا خَيْرَ فِي الْحَبَشِ إِنْ جَاعُوا سَرَقُوا وَإِنْ شَبِعُوا زَنَوْا ، وَإِنْ فِيهِمْ لَخَلَّتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالْبَأْسُ يَوْمَ الْبَأْسِ » . وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةٍ عَلَى الْجَنْدِ وَمُخَالِفِهَا ، فَلَمْ يَزَلْ عَامِلًا عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . هَذَا مِنْ رِوَايَةِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، اسْتَعْمَلَهُ أَيْضاً عَلَيْهَا .

[أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ وَأَخُوهُ الْحَارِثُ]

وَأُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا « مَجْدُ » ، سَبَّيَةٌ مِنْ خَضْرَمَوْتٍ وَيُقَالُ مِنْ حِمْيَرٍ . قَالَ أَبُو مُحَلَّمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : هِيَ مِنْ حِمْيَرٍ ، وَمِنْ هُنَاكَ أَتَاهُ الْغَزَلُ ؛ يُقَالُ : غَزَلَ يَمَانٍ ، وَدَلَّ حِجَازِيٌّ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّابَةَ : أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةٍ أُمُّ وَلَدٍ سُودَاءٍ مِنْ حَبَشٍ يُقَالُ لَهُمْ : فَرَسَانٌ¹ .

1 فَرَسَانٌ : مِنْ جَزَائِرِ الْيَمَنِ .

وهذا غلطٌ من أبي زيد¹ . تلك أمٌ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُبَاعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ذنباً وسيّداً من سادات قریش . قال الزبير بن بَكَّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولّاه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أُرْسِلْ عَوْفاً وَقَعْدَ ! «لا حُرَّ بوادي عَوْف» . فقال له يحيى بن الحكم : ومن الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتُ والله أمةٌ خيراً ممَّا ولدتُ أمُّهُ ! وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي : أن أمَّهُ ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَعَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِفَ أنَّها ماتت نصرانية وأنَّهُ وُجِدَ الصليب في عنقها ، وكانت تكتمه ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فإن لها أهلَ دينٍ هم أولى بها منّا ومنكم ؛ فاستحسن ذلك منه وعجبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» . . .]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من المخرج]

ألا لله قـوومٌ و لدتُ أختُ بني سَهْمٍ
هشامٌ وأبو عَبدٍ منافعٍ مِدرُهُ الخَصَمِ
وذو الرُّحَيمِ أَشبَاكَ على القوّة والحَزَمِ
فهذان يَذودان وذو من كَثِبَ يَرْمِي

عروضه من مكشوف المخرج . الغناء لمعبد خفيف رملي من رواية حماد .

[رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائني عن رُسْتَم بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عَبد ، إني أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاش أن تردّه عليّ ، فقد أذنت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يردُّ عليك إلا مخطيء . قال : إن الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائه انحناؤاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكني أوتر الطرب على كل شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التأم ، فأغرب أنا ويُشرّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

أَلَا لِلَّهِ قُـوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ

الأربعة الأبيات . وغنّاه ، فصاح يزيد : أحسنت والله يا مولاي ! أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأول ، فأعاد . ثم قال : أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتى وثب وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول :

يَا دَارُ دَوْرِنْسِي يَا قَرَقَرُ امسكيني
أَلَيْتَ مُنْذُ حِينِ حَقًّا لَتَصْرِمِينِي
وَلَا تَوَاصِلِينِي بِاللَّهِ فَارْحَمِينِي
لَمْ تَذْكُرِي يَمِينِي

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه ، حتى خَرَّ مغشياً عليه ووقع فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فانبدره الخدم [فأقاموه] وأقاموا مَنْ كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالحٌ يقال له «جوان» ، وفيه يقول العرجي :

شَهِيدِي جُـوَانٌ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُـوَانُ
فَأُخْبِرَنِي الْجَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ بِنَ بَكَارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُوتَابٍ
قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز ، فشَهِدَ عنده بشهادة ؛ فتمثّل :

شَهِيدِي جُـوَانٌ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُـوَانُ
وهذا الشعر للعرجي . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقَبِلَهُ . وقال غير الزبير : إنّه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرُنِي فِي شِعْرِكَ ! متى أُشَهِدْتَنِي على صاحبك هذه ؟ ومتى كنتُ أنا أُشَهِدُ في مثل هذا ! قال : وكان امرأً صالحاً .

وأخبرني الجرهمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بكار بن عبد الله قال : استعمل بعض ولاة مكة جowan بن عمر على تبالة¹ ، فحمل على خثعم في صدقات أموالهم حملاً شديداً ؛ فجعلت خثعم سنة جowan تاريخاً ؛ فقال ضبارة بن الطفيل : [من الطويل]
أَتَلَبَّسْنَا لَيْلَى عَلَى شَعَثِ بِنَا من العامِ أَوْ يَرْمَى بِنَا الرَّجْوَانِ²

صوت

[من الطويل]

رَأَيْتَنِي كَأَشْلَاءَ اللَّجَامِ وَرَاقَهَا أَخُو غَزَلٍ ذُو لِمَّةٍ وَدِهَانِ
وَلَوْ شَهِدْتَنِي فِي لَيَالٍ مَضَيْنَ لِي لِعَامِنٍ مَرّاً قَبْلَ عَامِ جَوَانِ
رَأَتْنَا كَرِيمِي مَعِشِرٍ حُمٍّ بَيْنَا هَوَى فَحَفِظْنَاهُ بِحُسْنِ صِيَانِ³
نَدَوْدُ النُّفُوسِ الْحَائِمَاتِ عَنِ الصَّبَا وَهُنَّ بِأَعْنَاقٍ إِلَيْهِ تَوَانِي
ذكر حبش أن الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيل بالبصر ، وذكر الهشامي أنه لقراريط .

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها : «أمة الواجد» ، وكانت مُسْتَرْصَعَةً فِي هُذَيْل ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة ، وقد خرج يطلبها فَضَّلَ الطريق :

[من السريع]

لَمْ تَدْرِ وَلَيْغَفِرَ لَهَا رَبُّهَا مَا جَسَمْتَنَا أَمَّةُ الْوَاحِدِ⁴
جَسَمْتَ الْهَوَلَ بَرَاذِينَنَا نَسْأَلُ عَنْ بَيْتِ أَبِي خَالِدِ
نَسْأَلُ عَنْ شَيْخِ بَنِي كَاهِلٍ أَعْيَا خَفَاءَ نَشْدَةِ النَّاشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم قال حدثنا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم ، قال : أراه عن الحسن ، قال : وُلِدَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ لَيْلَةَ قُتِلَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَأَيُّ حَقٍّ رُفِعَ ، وَأَيُّ بَاطِلٍ وُضِعَ ! . قال عوانة : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

1 تبالة : بلدة من أرض تهامة .

2 يرمي به الرجوان : يستهان به ، والرجوان جانب البئر .

3 حمٌ : أتيج وقدر .

4 ديوان عمر : 116 .

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر منّي كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهري قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الميثم عن أبي هفّان عن إسحاق عن المسيبيّ والزبير بن المدائنيّ ومحمد بن سلام ، قالوا : قال أيّوب بن سيّار ، وأخبرني به الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عمران عن أيّوب بن سيّار عن عمر الركاء قال : بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُوردين أو مُمَصّرين¹ حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا فأنشده :
[من الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ
غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عباس ! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقلُ عَنَّا ، ويأتيك غلام مُتَرَفٌ من مُتَرَفٍ قريش فيُنشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارِضَتْ
فِيخْزَى وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيُخْصِرُ

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارِضَتْ
فَيُضْخِصِي وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيُخْصِرُ

فقال : ما أراك إلّا وقد حَفِظْتَ البيت ؛ قال : أجل ، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها . قال فإني أشاء ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبة : أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة ، وما سمعها قطّ إلّا تلك المَرّة صفحاً . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قطّ . فقال : لكنّي ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عباس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلّا رويته ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسدُّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولأمله بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أمن آل نَعْم . . .» . فقال : إنا نستجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

1 ثوب مصعّر : فيه بعض صفرة .

المُعِيرِي شَيْئاً بَعْدَنَا ؟

قال : وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة :

فِيصْحَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخْصَرُ

قال : لا ، بل :

فِيخْزَى وَأَمَّا بِالْعَشَى فَيُخْصَرُ

قال عمر بن شَبَّةَ وَأَبُو هَفَّانَ وَالزَّبِيرُ فِي حَدِيثِهِمْ : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ : أَنْشِدْ ، فَأَنْشَدَهُ¹ :

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أفسمعتَه ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحرَّمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : كَانَ الْعَرَبُ تُقَرِّ لِقْرِيشٍ بِالتَّحْدِثِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهَا إِلَّا فِي الشَّعْرِ ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ لَا تُقَرُّ لَهَا بِهِ ، حَتَّى كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَقَرَّتْ لَهَا الشُّعْرَاءُ بِالشَّعْرِ أَيْضاً وَلَمْ تُتَارَعِهَا شَيْئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عُمَيَّ مُضْعَباً يَحْدِثُ عَنْ جَدِّي أَنَّهُ قَالَ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ النُّصَيْبَ قَالَ : لَعُمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ أَوْصَفُنَا لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ .

قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : إِنِّي لَا أَمْدَحُ الرِّجَالَ ، إِنَّمَا أَمْدَحُ النِّسَاءَ . قَالَ : وَكَانَ ابْنُ جُرَيْجٍ يَقُولُ : مَا دَخَلَ عَلَى الْعَوَاتِقِ فِي حِجَالِهِنَّ شَيْءٌ أَضْرَّ عَلَيْهِنَ مِنْ شَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ .

قال الزبير وحدثني عُمَيَّ عَنْ جَدِّي ، وَذَكَرَهُ أَيْضاً إِسْحَاقُ فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنْ أَبِي هَفَّانَ عَنْهُ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ ؛ قَالَ قَالَ هِشَامُ بْنُ غُرُوةَ : لَا تُرَوُّوا قَتِيَاتِكُمْ شَعْرَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ لَا يَتَوَرَّطُنَ فِي الزَّنَا تَوَرَّطاً ، وَأَنْشُدْ :

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَتِي وَقَلْتُ لَهَا خُذِي حَدَرَكَ

وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزِينَبَ : نَوَلِّي عُمَرَكَ

أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبير¹ قال حدثني أبي عن سمره الدوماني² من حمير قال : إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقُبِضْتُ على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أَكُلَّ ما قلته في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عني . قلت : أسألك بالله قال : نعم وأستغفر الله .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حماد الراوية : أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفسقُ المُقشَّرُ³ .

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلاً من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم ؛ فذكر يوماً شعراً عمر بن أبي ربيعة فهِجَّه . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومَرَّ بهم حمادُ الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أنَّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال نَنزُو على أُمِّه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوم الأنصاري : ما عُصِيَ الله بشيء كما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شابٌ أُعشِقُ ولا أُعشَقُ ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحِسان إلى الممات . ولقد لقيتني فناناً مرة فقالت لي إحداهما : اذُنُ مني يا ابن أبي ربيعة أُسِرَ إليك شيئاً . فدنوت منها ودنت الأخرى فجعلت تَعْصُنِي ، فما شعرت بَعْضُ هذه من لَذَّةِ سرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن المفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال : لقيتُ جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنَّ شعرك رُفِعَ⁴ إلى المدينة وأنا أحبُّ أن تُسمِعني منه شيئاً . فقال : إنكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسب ، وإنَّ أنسب الناس المخزومي ؛ يعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُيس ، وبنو أخيه معه وهم

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المنفسد .

4 ل : وقع .

مُحَرَّمُونَ ، فقال لبعضهم : خُذْ بِيَدِي فَأُخِذْ بِيَدِهِ ؛ وقال : وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ¹ مَا قُلْتَ لَامْرَأَةٍ قَطُّ شَيْئاً لَمْ تَقْلَهُ لِي ، وما كَشَفْتُ ثَوْباً عَنْ حَرَامٍ قَطُّ . قال : ولَمَّا مَرَضَ عُمَرُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَزَعُ أَخُوهِ الْحَارِثِ جَزَعاً شَدِيداً . فقال له عُمَرُ : أَحْسِبُكَ إِنَّمَا تَجَزَعُ لَمَّا تَقْظُنُهُ بِي ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَكِبْتُ فَاحِشَةً قَطُّ ! فقال : مَا كُنْتُ أَشْفَقُ عَلَيْكَ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ سَأَلْتِي عَنِّي .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي مُصْعَبُ الزَّيْبِرِيِّ قَالَ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِيِّ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي عِثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرِينَ أَوْ حَاجِّينَ ؛ فَلَمَّا طُفْنَا بِالْبَيْتِ مَضَيْنَا إِلَى الْحِجْرِ نُصَلِّي فِيهِ ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ فَرَجَ² بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَأَوْسَعْنَا لَهُ . فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمَا ؟ فَأُخْبِرْنَاهُ . فَرَحَّبَ بَنَا وَقَالَ : يَا ابْنَيَّ أَخِي ، إِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْجَمَالِ أَنْبَعُهُ ، وَإِنِّي رَأَيْتُكُمَا فَرَأَيْتِي حُسْنُكُمَا وَجَمَالُكُمَا ، فَاسْتَمْتَعَا بِشَبَابِكُمَا قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ ؛ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ .

أَخْبَرَنَا الْحَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضُّحَّاكِ قَالَ : عَاشَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ثَمَانِينَ سَنَةً ؛ فَتَكَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَنَسَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

قال الزبير وحديثي إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المؤبرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَبَّجْتُ³ مَعَ أَبِي وَأَنَا غِلَامٌ وَعَلَى جُمَةٍ . فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ جِئْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ مَعَهُ ، فَجَعَلَ يَمُدُّ الْخُصْلَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يُرْسِلُهَا فَيَرْجِعُ عَلَيَّ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : وَاشْبَاهَاهُ ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَاراً . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، قَدْ سَمِعْتَنِي أَقُولُ فِي شَعْرِي : قَالَتْ لِي وَقُلْتُ لَهَا ، وَكُلُّ مُمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ كُنْتُ كَشَفْتُ عَنْ فَرْجٍ حَرَامٍ قَطُّ ! فَقَمْتُ وَأَنَا مُتَشَكِّكٌ فِي يَمِينِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ فَقِيلَ لِي : أَمَّا فِي الْحَوْكِ فَلَهُ سَبْعُونَ عَبْدًا سِوَى غَيْرِهِمْ .

أَخْبَرَنِي الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي ظَبْيَةُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : مَرَرْتُ بِجَدِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ وَأَنَا دَاخِلَةٌ مَنْزِلَهُ وَهُوَ بَفَنَائِهِ وَمَعِيَ دَفَنٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا مَعَكَ ؟ وَدَعَانِي . فَجِئْتُهُ وَقُلْتُ : شَعْرُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ . فَقَالَ : وَيَحْكَ ! تَدْخِلِينَ عَلَى النِّسَاءِ بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ !! إِنَّ لَشَعْرَهُ لَمَوْقِعاً مِنَ الْقُلُوبِ وَمَدْخِلاً لَطِيفاً ، لَوْ كَانَ شَعْرٌ يَسْحَرُ لَكَانَ هُوَ ، فَارْجِعِي بِهِ . قَالَتْ : فَفَعَلْتُ .

قال إسحاق : وَأَخْبَرَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ قَالَ : قَدِمْتُ امْرَأَةً مَكَّةَ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ . فَبَيْنَا عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ يَطُوفُ إِذْ نَظَرَ إِلَيْهَا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ ؛ فَدَنَا مِنْهَا فَكَلَّمَهَا ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ يَطْلُبُهَا حَتَّى أَصَابَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا هَذَا ، فَإِنَّكَ

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَمِ اللَّهِ وفي أَيَّامٍ عَظِيمَةٍ الحُرْمَةِ . فَأَلَحَّ عَلَيْهَا يُكَلِّمُهَا حَتَّى خَافَتْ أَنْ يُشَهِّرَهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْآخَرَى قَالَتْ لِأَخِيهَا : أَخْرِجْ مَعِيَ يَا أَخِي فَأَرِنِي الْمَنَامِيكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهَا ، فَأَقْبَلْتُ وَهُوَ مَعَهَا . فَلَمَّا رَأَاهَا عَمَرَ أَرَادَ أَنْ يَعْزِضَ لَهَا ، فَنَظَرَ إِلَى أَخِيهَا مَعَهَا فَعَدَّلَ عَنْهَا ؛ فَتَمَثَّلَتِ الْمَرْأَةُ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَنْتَقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي¹
قال إسحاق : فَحَدَّثَنِي السَّنْدِيُّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ ، وَقَدْ حَدَّثَ بِهَذَا الْخَبَرِ ، وَدَدْتُ أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ فِتْنَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي خِيَدِهَا إِلَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ .
قال إسحاق : قَالَ لِي الْأَصْمَعِيُّ : عَمَرَ حُجَّةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِ إِلَّا قَوْلُهُ :

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهَرًّا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
وله في ذَلِكَ مَخْرَجٌ ؛ إِذْ قَدْ أَتَى بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ . قَالَ : وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ :

قِيلَ لِي هَلْ تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهَرًّا

[أشعر عمر الذي غنى فيه المغنون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار
من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت
لم تنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُعْنَى فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ² :

صوت

أَمِنْ آلٍ تُعَمُّ أَنْتَ غَايَ فَمُبَكِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
أَشَارَتْ بِمَذْرَأِهَا وَقَالَتْ لِأَخِيهَا
فَقَالَتْ : نَعَمْ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارِضَتْ
غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحَ فَمَهْجَرُ
فَتُبْلَغُ غُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْدَرُ
أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ ؟
سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِي نَصَهُ وَالتَّهْجَرُ
فِيضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصَرُ

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .

2 ديوان عمر : 120-127 .

أخا سفر جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتُ فَهَوُ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وليلةً ذي دَوْرانٍ جَشَمْتَنِي السُّرى وقد يَجْشُمُ الهولُ المُحِبُّ المَغْرُرُ
فقلتُ : أباديهم فإمّا أفوتهم وإمّا ينالُ السيفُ ثاراً فيثأرُ

هذه الأبيات جُمعت على غير تَوَالٍ ؛ لأنّه إمّا ذُكر منها ما فيه صنعة . وغنى في الأوّل والثاني من الأبيات ابن سُرَيْج خفيف رَمَلٌ بالبصرة عن أحمد بن المكي وذكر حبش أن فيهما لمعبد لحناً من الثقيل الأوّل بالبصرة . وغنى ابن سُرَيْج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى ، وذكر حبش أن فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لحكم . وغنى ابن سُرَيْج في الخامس والسادس لحناً من الرَمَل بالوسطى عن عمرو بن بائة . وذكر يونس أن في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبش أن فيهما لملك لحناً من الثقيل الثاني بالبصرة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي : أن عمر بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو في المسجد الحرام فقال : متعني الله بك ! إن نفسي قد تأقت إلى قول الشعر ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره علي . فقال : أنشدني ، فأنشده : | من الطويل |

أمن آلِ نَعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبَكِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقل ما شئت . قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طالحة بن عبيد الله بن عوف الزُّهري وهو راكبٌ ، فوقف وما زال شانقاً ناقته حتى كُتبت له .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني الحسين بن إسماعيل قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تهاميٌّ إذا أنجد وجَدَ البردَ ، حتى أنشد قوله : | من الطويل |

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضُحى وأمّا بالعشيّ فيخضُرُ
قليلاً على ظَهرِ المطيَّةِ ظلُّه سيوى ما نفى عنه الرداءُ المخبِرُ
وأعجبها من عيشها ظلُّ غُرْفَةٍ وريّانٌ ملْتَفٌ الحدائقِ أخضُرُ
ووالٍ كفأها كلَّ شيءٍ يهْمُها فليستْ لشيءٍ آخرَ الليلِ تسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرشيّ يهذي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : قال لي الرشيد : أنشدني أحسنَ ما قيل في رجلٍ قد لَوّحه السفرُ ؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

حيث قال : [من الطويل]

رأت رجلاً أماً إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصرُ
أخا سفر جَوَابَ أرضٍ تقاذفت به فُلُواتُ فهو أشعثُ أغبرُ
... الأبيات كلها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا يعقب
قدمه من بلاد الروم .

أخبرني الفضلُ بن الحُبَابِ الجُمَحِيِّ أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدثنا محمد بن
سَلَامٍ قال أخبرني شُعَيْبُ بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها
عمر بن عبيد الله بن معمرٍ كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : إن ابن أبي ربيعة لجاهلٌ بليتي
هذه حيث يقول :

ووال كفاها كل شيء يهْمُها فليست لشيء آخر الليل تسهرُ
[مجن عمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدثنا أبو هَفَانٍ قال حدثني إسحاق عن المدائني قال : عرض
يزيدُ بن معاوية جيش أهل الحرّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرسٌ خلقٌ سمّيجٌ ، فنظر
إليه يزيد وضحك وقال له : وَيَحْك ! تُرسُ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من تُرسِكَ . يريد
قول عمر :

فكان ميجي دون من كنت أتقي ثلاث شُخُوصٍ كاعيانٍ ومُعْصِرٍ
[جمين صاحب النوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمع أبو
الحارث جُمَيْنٌ مُغْنِيَةً تُغَنِّي :

أشارت بِمِدرَهاها وقالت لأختها أهذا المِغِيرِي الذي كان يُذَكِّرُ ؟
فقال جُمَيْنٌ : امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمِدرَهاها إلّا لَتَفَقَّ بها عينه ، هلاً أشارت
إليه بنقائِ مُطَرَّفٍ بالخرذل ، أو سنْبُوسِجَةٍ مغموسة في الخل ، أو لوزينِجَةٍ شَرِيقَةٍ بالدَّهْنِ !
فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدُلُّ على مودّة صاحبه .

أخبرني الحرْمِيُّ قال : حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن أبي أُوَيْسٍ عن عَطَافِ بن
خالد الواصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال : انشيد سعيد بن المسيّب قولَ عمر بن أبي
ربيعة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو عُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُغَيَّانٌ وَنَوَمَ سُمُرُ
[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له فأنله الله ! لقد صغّر ما عظمَ الله ! يقول الله عزّ وجلّ : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ

مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿[يس 36] .

ومنها ما فيه غناء لم يُنسَب في موضعه من الأخبار فُنسب هاهنا¹ : [من المقارب]

صوت

تَشُطُّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أْبَعْدُ
إِذَا سَلَكَتْ غَمْرُ ذِي كَنَدَةٍ مَعَ الصَّبْحِ قَصْدٌ لَهَا الْفَرْقَدُ²
عِرَاقِيَّةٌ ، وَتِهَامِي الْهَوَى يَغُورُ بِمَكَّةَ أَوْ يُنْجَدُ
وَحَثَّ الْحِدَاةُ بِهَا عِيرَهَا سِرَاعاً إِذَا مَا وَنَتْ تُطْرَدُ
هُنَالِكَ إِمَّا تُعْزِي الْفَوَادُ وَإِمَّا عَلَى إِثْرِهَا تَكْمَدُ
وَلَيْسَتْ بِبَدْعٍ إِذَا دَارُهَا نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أُجْلَدُ³
صَرْمَتْ وَوَاصَلَتْ حَتَّى عِلْمِ تْ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمُورِدُ
وَجَرَّبَتْ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ تْ مَا أَتَوْقَى وَمَا أَحْمَدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرْسِ النَّبَا حِ وَالضَّوْءِ ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
[نَأَيْنَا عَنْ الْحَيِّ حَتَّى إِذَا تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْقِدُ]⁴
بَعْنَا لَهَا بَاغِيّاً نَاشِداً وَفِي الْحَيِّ بُعِيَّةٌ مَنْ يَنْشُدُ
أَتْنَا تَهَادَى عَلَى رَقَبَةٍ مِنَ الْخَوْفِ أَحْشَاوَهَا تَرْعُدُ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْداً بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
لَمِمَّا شَقَائِي تَعَلَّقْتَكُمْ وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَكُمْ مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مَنْ عَبْرَةٍ عَلَى الْخَدِّ يَجْرِي بِهَا الْإِثْمَدُ
فَإِنَّ الَّتِي شَبَعْنَا الْعَدَاةَ مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ
كَأَنَّ أَفَاجِيَّيَ مَوْلِيَّةَ تَحْدَرُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ نَدِي⁵

غنى معبد في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصوات قليات الأشباه عن إسحاق . وغنى فيها أشعب المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشامي . وللغريض في الأبيات الأربعة الأول ثاني ثقيل بالوسطى⁶ عن عمرو . ولابن سريج في الرابع عشر وهو :

- 1 ديوان عمر : 90-92 في فاطمة بنت الأشعث .
- 2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكة .
- 3 وليست بدع إذا في ل : وليست نزوعاً للث .
- 4 سقط البيت من ل .
- 5 في البيت إقواء ، ولعله دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .
- 6 ل : بالنصر .

وكَفَّتْ سَوَابِقَ منْ عُبْرَةٍ

ثم الأول والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكي . ومالك ، ويقال إنه لمبعد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأول عن الهشامي . وفي السابع والثامن والأول لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي . وفي الأول والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالنصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسَّبَّابة في مجرى البصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكي أنه لأبيه . وفي الرابع والخامس رملٌ لمبعد عن ابن المكي ، وقيل : إنه من منحول أبيه إلى لمبعد . وفي الثالث عشر والسادس لـيونس خفيف رمل عن الهشامي . وفي الأول والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكي ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمبعد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأول والثاني رمل من كتابه . ولعلَّية بنت المهدي في الثالث عشر والأول ثقيلٌ أول . ولابن مسَّحَجٍ في الثاني عشر والأول رملٌ ، ويقال إنه للرَّطَّاب ، وذكر حبشٌ أنه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى لمبعد وإلى يحيى المكي ، وزعم حبش أن فيها رملًا بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أن في :

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

خمسة أَلحان : اثنان لمبعد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أن الذي عُرِفَ صحته من الغناء فيه سبعة أَلحان : ثقيل أول ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورملٌ ، وخفيفه . أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أن الذي أحصى فيه إلى وقته ستة عشر لحنًا . والذي وجدته فيه مما جمعته ها هنا ، سوى ما لم يذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحنًا : منها في الثقيل الأول لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمَل سبعة ، وفي خفيف الرَّمَل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حَجَّتْ فَهَرَيْهَا وراسلها ، فواصلته ودخل إليها وتحدَّثَ معها وخطبها ، فقالت : أمَّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتُ إلى بلدي خاطبًا تزوجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بديحاً]

أخبرني بهذا الخبر الحرَّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن الحسن المخزومي عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بديحاً يقول : حَجَّتْ بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يرسل رسولاً ، يُعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدھا . قال بديح : فلم أشعر به إلا مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، اتت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنني قد جئت لموعدها ؛ فأبيت أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فعُيِبَ بغلته عني ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدھا لي في زقاق الحاج . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأنته لموعده ؛ وذلك قوله :

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئْتُكم ناشداً ينشد

قال بديح : فلما رأيتهما مقبلتُ عرفتُ أنه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك :

فهذا سحرُكُ النسوة ن ، قد خبرَني خبرُكُ

قد سحرَني¹ وأنا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهنّ وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته ليلية . قال : وحدّثها بخدي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهيثم² مولى الرُبَيعين عن أبي الحارث بن عبد الله الرُبَيعي قال : لقي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أخلدَعك ابن أبي ربيعة أنه قرشي ؟ فقال بديح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحيه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إن من تغابى لك ليغيب عنك ، فقد ضُمّت عليه قبضتُك إن كان لك ذهنٌ ، أمّا رأيت لمن كانت العاقبة ؟ والله ما بالي ابن أبي ربيعة أوقع عليهنّ أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر المخاربى : أن فاطمة بنت محمد بن الأشعث حَجَّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حَجَّت بنتُ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح] ، وكانت معها أمُّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدھا :

تَشْطُ غداً دارُ جيراننا ولدارُ بعد غدي أبعدُ

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعل الصواب «أبو الهيثم» .

وذكر القصة¹ بطولها . قال : وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه سِتْرًا رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدثُها حتى استنشده ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفها الشعر فرفعت السَّجْف ، فرأى وجهاً حسناً في جسم نازل ، فخطبها وأرسل إلى أمها بخمسمائة دينار ، فأبت وحجته وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنَّ الفتاة غمها ذلك ، فقالت لها أمها : قد قتلَكُ الوجد به فتزوجيه . قالت : لا والله لا يتحدث أهل العراق عني² أني جئتُ ابن أبي ريعة أخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوجته . قال : ويقال : إنها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأجمر³ بيته وأعطى المبشر مائة دينار ، فأثته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلما صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيّعها⁴ :

صوت

قال الخَلِيطُ غداً تَصَدُّعُنا	أو بعده ، أفلا تُشِيعُنا
أما الرَّحِيلُ فدُونَ بعد غدٍ	فمتى تقول الدارَ تَجْمَعُنا
لِتَشَوْقُنا ههنا وقد علمتُ	علماً بأنَّ البينَ يُفَرِّعُنا ⁵
عجباً لمَوْقِفِنا وموقفِها	وبسَمْعِ تَرْبِيعِها تَراجِعُنا !
ومَقالِها سِرٌّ ليلَةٌ معاً	نَعْهَدُ فَإِنَّ البينَ فَاجِعُنا ⁶
قلتُ العيونُ كثيرةٌ معكم	وأظنُّ أَنَّ السَّيْرَ مانِعُنا
لا بل نَزورُكُمْ بأَرْضِكم	فِيْطاعُ قائلُكم وشافِعُنا
قالتُ أشيءٌ أنتَ فاعلُه	هذا لَعَمْرُكَ أم تُخادِعُنا ؟
بالله حَدَثٌ ما تُؤمِّلُه	واصدُقْ فَإِنَّ الصَّدقَ واسِعُنا
اضْرِبْ لَنَا أَجْلاً نعد له	إِخلافُ موْعِدِه تقاطِعُنا

الغناء لابن سُرَيْج ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو أنه للغريض بالوسطى . وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشامي ، وذكر حبش أنه لموسى شهوات .

1 ل : القصيدة .

2 ل : خلفي .

3 أجمر البيت : بث فيه بخوراً .

4 ديوان عمر : 434 .

5 يفزعنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم) .

6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمجمة]

ومنها مما لم يُنسب أيضاً :

[من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَكَ¹
 وقُولِي في مُلاطفةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّلي عُمَرَكَ
 فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
 أهذا سَحَرُكَ النِّسْوا نَ ، قد خَبَّرَنِي خَبْرَكَ²

غنى فيها ابن سريج خفيف رمل بالنصر عن عمرو ، وقال قوم : إنه للغريض . وفيها لملك خفيف ثقيل عن ابن المكي . وفي هذا الشعر الحان كثيرة ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدة رائية موصولة الرءاءات بالفي ، إلا أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين ، فجعلوا مكان الألف كافاً ؛ وإنما هي :

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَا
 وأوّل القصيدة³ :

صوت

تَصَابِي القلبُ وادَّكَّرَا صباهُ ولم يكن ظَهْرًا
 لزَيْنَبَ إذ تُجِدُّ لَنَا صفاء لم يكن كَدْرًا
 أَلَيْسَتْ بالتّي قالتُ لمولاةٍ لها ظَهْرًا
 أَشِيرِي بالسَّلامِ لَهُ إذا هُوَ نَحُونًا خَطْرًا
 لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَدْرَا
 وقُولِي في مُلاطفةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّلي عُمَرَا
 فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذَا أَمْرًا !
 أهذا سَحَرُكَ النِّسْوا نَ ، قد خَبَّرَنِي الخبرا

غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى النصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى أنه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان . وللغريض في الأوّل من الأبيات لحن من

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدني سحرًا» .

2 سحرِكَ في ل : خدعِكَ .

3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدَرُ الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما¹ :

طَرَبْتُ وَرَدَّ مَنْ تَهْوَى جَمَالَ الْحَيِّ فابْتَكِرَا
فَقُلْ لِلْمَالِكِيَّةِ لَا تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا²

وذكر يونس أن لمعبد في هذا الشعر الذي أوله :

تَصَابِي الْقَلْبُ وَأَذَكِرَا

لحين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشامي : أن أحدهما خفيف ثقيل والآخر رمل . وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رمل³ لدحمان عن الهشامي ، قال : ويقال إنه لابنه الزبير . وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجمحي .

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامري . وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال : شب³ عمر بن أبي ربيعة بزینب بنت موسى الجمحي في قصيدته التي يقول فيها⁴ :

صوت

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَالْمَا الْغَدَاةَ بِالْأُظْعَانِ⁵
لَا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبٍ إِنْ أَلِ قَلْبَ رَهْنٍ بَالِ زَيْنَبَ عَانِي
مَا أَرَى مَا بَقِيْتُ أَنْ أَذْكَرُ الْمَو قِفَ مِنْهَا بِالْخَيْفِ إِلَّا شَجَانِي

غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالنصر عن عمرو : [من الخفيف]

لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا غَيْرَ مَا قُلْتُ مَارِحًا بِلِسَانِي
هِيَ أَهْلُ الصَّبَاءِ وَالْوُدِّ مِنِّي وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَ تَعْدُلَانِي
حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَالْأُخْرَى مِنْ قَطِينٍ مُؤَلَّد : حَدَّثَانِي⁶

1 انظر الديوان : 193-194 .

2 للمالكية في ل : للبربرية .

3 ل : نسب .

4 ديوان عمر : 416 .

5 ملام في ل : م الملام .

6 لأختها في ل : لتربها .

كيف لي اليوم أن أرى عمرَ المرُ
قالنا : نبتغي رسولاً إليه
سِلَ سيراً في القول أن يلْقاني ؟
وَنُمِيتُ الحديثَ بالكِتمانِ
إنَّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها
كَلَمَعَمَى عن سائر النَّسوانِ¹

أ عمر وابن أبي عتيق |

قال : وكان سببُ ذكره لها أن ابنَ أبي عتيق ذكَّرها عنده يوماً فأطَّراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّ بها ؛ فبلغ ذلك ابنَ أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أنتطقُ الشعر في ابنة عمِّي ؟ فقال عمر² : | من الخفيف |

صوت

لا تَلْمِني عتيقُ حَسبي الذي بي
لا تَلْمِني وأنتَ زَيَّتها لي
إنَّ بي داخلاً من الحبِّ قد أبُ
لو بعينيك يا عتيقُ نَظَرْنَا
إذ بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّ
قد قَلَى قلبي النساءُ سواها
إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كَفَّاني
أنتَ مثلُ الشَّيطانِ للإنسانِ
لَى عِظامي مكنونهُ وبَرائي
ليلةَ السَّفْحِ قَرَّتِ العينانِ
رَّ وفَصَلُ فيه من المَرَجانِ
غَيرَ ما قَلْتُ مازحاً بلساني³

وأول هذه القصيدة :

إنَّسي اليومَ عاد لي أحزاني
وتذكَّرتُ ما مضى من زماني⁴
وتذكَّرتُ ظبيَّةً أمَّ رِئِمِ
هاج لي الشوقَ ذكَّرها فشجاني⁵
غنى أبو العنيس بن حمدون في «لا تلمني عتيق . . .» لحناً من الثقبيل الأول المطلق . وفيه رملٌ طنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحرَّميُّ قال حدثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

يا خليلي م الملام دعاني
وَأَلَمَّا الغداةَ بالأظعانِ

1 كَلَمَعَمَى في الديوان : كَلَمَعَمَى .

2 ديوان عمر : 417 .

3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .

4 وتذكَّرتُ ما مضى في الديوان : وتذكَّرتُ ميعتي .

5 أم رِئِم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينب إنَّ الـ قَلْبَ رَهْنٌ بآل زينب عاني
... القصيدة . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهْمِيَّ فَأَنكَرَهُ وَغَضِبَ . وبلغ ذلك ابن أبي
عتيق وقيل له : إنَّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا
أَقْرُ لابن أبي ربيعة أن يذكر امرأة من بني هُصَيْنٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا
أبا وداعة أن يُعِظَّ من سمرقند على أهل عدن !

قال الزبير : وحَدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حَدَّثني عَمِّي
عمران بن عبد العزيز قال : شَبَّ عمر بن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى في أبياته التي يقول
فيها :

لا تلوما في آل زينب إنَّ الـ قَلْبَ رَهْنٌ بآل زينب عاني
فقال له ابن أبي عتيق : أَمَا قَلْبُكَ فَقَدْ غُيِبَ عَنَّا ، وَأَمَا لِسَانُكَ فَشَاهَدٌ عَلَيْكَ .
قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عَذَلَ ابنُ أَبِي عتيق عمر في ذكره
زينب في شعره ؛ فقال عُمر :

لا تَلْمَني عتيقُ حَسْبِي الذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زَيْنَتها لي
قال : فبَذَرَهُ ابنُ أَبِي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسان

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربَّ البيتِ قلته . فقال ابن أبي عتيق : إنَّ شيطانَكَ وربَّ
القبرِ¹ ربَّما أَلَمَّ بي ، فَيَجِدُ عندي من عَصِيانِهِ خِلافَ ما يجدُ عندكَ من طاعته ، فَيُصِيبُ مِنِّي
وَأُصِيبُ مِنْهُ .

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثنا الزبير قال حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حَدَّثني قُدَّامَةُ بن
موسى قال : خرجتُ بأختي زينب إلى العُمرة ، فلمَّا كنتُ بِسَرْفٍ² لقيني عمر بن أبي ربيعة على
فرس فسَلَّمَ عليَّ . فقلتُ له : إلى أين أراك متوجِّهاً يا أبا الخطَّاب ؟ فقال : ذُكِّرْتُ لي امرأةٌ من
قومي بَرَزَةُ الجمال ، فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمت أنها أختي ؟ فقال : لا !
واستحيا وثْنِي عَنقُ فرسه راجعاً إلى مكَّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حَدَّثنا أحمد بن الهيثم قال حَدَّثنا العُمريُّ عن لَقِيط بن

1 يعني قبر الرسول ﷺ .

2 سرف : موضع قريب من مكَّة .

بكر المحاربي قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر¹ :

[من الطويل]

صوت

مَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ لَزَيْنَبَ نَجَوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
أَقُولُ لِمَنْ يُبْغِي الشِّفَاءَ مَتَى تَجِيءُ بَزَيْنَبَ تُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَنْتَ لَامِسُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَشْفِ مَنْ سَقَمِي بِهَا فَأَنِّي مِنْ طِبِّ الْأَطْبَاءِ آيَسُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لَزَيْنَبَ حَتَّى يَعْلُوَ الرَّأْسُ رَامِسُ
فَلَمَّا بَدَتْ قَمَرَاوُهُ وَتَكَشَّفَتْ دُجَّتُهُ وَغَابَ مَنْ هُوَ حَارِسُ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَا كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ
نَجِيَيْنَ نَقْضِي اللَّهُوَ فِي غَيْرِ مَأْثَمٍ وَإِنْ رَغِمَتْ مِ الْكَاشِحِينَ الْمَاعِطِسُ

قال : فقال ابن أبي عتيق : أمنا يسخر ابن أبي ربيعة فأبي محرم بقي ؟ ثم أتى عمر فقال له : يا عمر ، ألم تخبرني أنك ما أتيت حراماً قط ؟ قال بلى ! قال : فأخبرني عن قولك : [من الطويل]

كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأخبرنك ! خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريد ، فالتقينا فاتعدنا لبعض الشعاب ، فلما توسطنا الشعب أخذتنا السماء ، فكبرهت أن يرى بئياها بلل المطر ، فيقال لها : ألا استترت بسقائف المسجد أن كنت فيه ، فأمرت غلماننا فسترونا بكساء خز كان علي ؛ فذلك حين أقول :

كَلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ لَابِسُ²

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهر ، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة !

[من الطويل]

الغناء في هذه الأبيات التي أولها :

مَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ

لِرْدَاذٍ قَبِيلٍ أَوَّلُ ؛ وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له ، ولم يُصدّق .

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى³ :

[من الخفيف]

1 ديوان عمر : 217 .

2 الثوب في ل : من اثواب .

3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينب الإعراض¹ للتعدي وما بها الإيغاض¹
 ووليدَيْن كان عُلقَمها القدح² حب إلى أن علا الرؤوس² بياض²
 حبليها عندنا متين³ وحبلي عندها واهين³ القوى اتقاض³

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحَرِّز خفيف رَمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وقال المشامي : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحَرَمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لَمَّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدْعُ للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتُ لها بالموَدَّة ، وللنساء بالدهْفشة . قال : والدهْفشة : التَّجْمِيشُ والخديعة بالشيء السَّير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهْقشة ، مكان الدهْفشة .

ومَّا قاله عمر في زينب وغمي فيه قوله³ : [من الخفيف]

صوت

أُتِهَا الكاشِجُ المعِيرُ بالصُرُ م تَرَحَّزْخُ فما لها الهِجْرَانُ
 لا مُطَاعٌ في آل زينبَ فارِجُ أو تَكَلَّمْ حتَّى يَمَلَّ اللِّسَانُ
 نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمسي ثم يُخْفِي حديثنا الكِتْمَانُ
 كيفَ صَبْرِي عن بعضِ نَفْسي وهل يَصُدُّ بَرٌّ عن بعضِ نَفْسه الإنسانُ !
 ولقد أشْهَدُ المُحدِّثَ عند الـ قَصْرٍ فيه تَعَفُّفٌ وِثْيَانُ
 في زمانٍ من المعيشة لَدُنْ قد مضى عَصْرُهُ وهذا زمانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير . وذكر يونس أن فيه لحناً لابن مُحَرِّز ولحناً لابن عباد الكاتب ، أول لحن ابن عباد الكاتب :

لا مُطَاعٌ في آل زينبَ

وأول لحن ابن مُحَرِّز :

ولقد أشْهَدُ المُحدِّثَ

1 وما بها في د : وما بنا .

2 بياض في د : البياض .

3 ديوان عمر : 420-421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

وَمَا غُنِّيَ فِيهِ لَابِنٌ مُحْرَزٌ مِنْ أَشْعَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ مُوسَى
قوله¹ :

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَلَّفِ يَهْزِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرِ
تمشي الهوينا إذا مشيت فضلاً وهي كمثل السُّلُوجِ فِي الشَّجَرِ²
للغريض في هذين البيتين خفيف رمل بالوسطى ، ولابن سريح رمل بالنصر عن المشامي
وحش³ :

ما زالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزَتْ أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا
يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ حَتَّى التَّقِينَا لَيْلًا عَلَى قَدْرِ
بَيْضًا حَسَانًا خَرَائِدًا قُطْفًا يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقْرِ
قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعًا قَدْ فُزْنَ رَسْلًا بِالذَّلِّ وَالْخَفَرِ
يُنْصِتْنَ يَوْمًا لَهَا إِذَا نَطَقَتْ قَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا تُحَدِّثُهَا
فُومِي تَصَدَّقِي لَهُ لِيَعْرِفَنَا قُومِي تَصَدَّقِي لَهُ لِيَعْرِفَنَا
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى
مَنْ يُسْقَ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا مِنْ يُسْقَ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا
[غنى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وغنى فيه ابن سريح
رَمَلًا بالنصر عن المشامي وحش⁴ .
[ومنها]⁵ :

صوت

أَلَا يَا بَكْرُ قَدْ طَرَقَا خِيَالُ هَاجٍ لِي أَرْقَا⁶

1 ديوان عمر : 68-69 .

2 فضلاً في ل : قطفًا .

3 اسبطرت : أسرع .

4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى ريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .

5 ديوان عمر : 269-270 .

6 أرقا في د : الأرقا .

[من مجزوء الوافر]

لزيّنب إنّها همّي فكيف بجلبها خلّقا
خدلّجة إذا انصرفت رأيت وشاحها قلّقا
وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مُحْتَبِقا
إذا ما زينب ذكّرت سكبت الدمع مُتَسَقِيا
كأنّ سحابة تهوي بماء حُمِلَتْ غَدَقا

الغناء لحنين رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لابن عبّاد خفيف ثقيل ، ويقال : إنّهُ ليونس . ومّا قاله [فيها] أيضاً وعَنِّي فيه :

صوت¹

أَلُمِّمَ بزِينَب إنّ الْبَيْنَ قد أَفدا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا²
قد خَلَفَتْ لَيْلَةَ الصُّورَيْنِ جَاهِدَةً وما على المرء إِلَّا الْخَلْفُ مُجْتَهِدَا
لَاخْتَهَا وَلَا أُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا³
لو جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوُهُمْ شَخْصاً مِنْ النَّاسِ لَمْ أُعْدِلْ بِهِ أَحَدَا
الغناء لابن سُرَيْجٍ رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ والبَصْرَ فِي الْأَوَّلِ والثَّانِي عَنْ يَمِينِي الْمَكِّيَّ ، وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوُسْطَى فِي الثَّانِي والثَّالِثِ والرَّابِعِ عَنْ عَمْرٍو ، وَلِمَعْبُدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ فِي الْأَوَّلِ والثَّانِي عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى الْغَرِيضِ وَمَالِكٍ .

أخبرني علي بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّانَ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ نِسْوَةٌ فَذَكَرْنَ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَشَعْرَهُ وَظَرْفَهُ وَمَجْلِسَهُ وَحَدِيثَهُ ، فَتَشَوَّقْنَ إِلَيْهِ وَتَمَنَّيْنَهُ . فَقَالَتْ سَكِينَةُ : أَنَا لَكُنَّ بِهِ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولاً أَنْ يُوَاظِيَ الصُّورَيْنِ⁴ لَيْلَةً سَمَّتَهَا ، فَوَافَاهُنَّ عَلَى رَوَاجِلِهِ ، فَحَدَّثَتْهُنَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَحَانَ انْصِرَافُهُنَّ . فَقَالَ لهنَّ : وَاللَّهِ إِنِّي لِحَتَّاجٌ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَكِنِّي لَا أَحْلُظُ بِزِيَارَتِكَ شَيْئاً . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَلُمِّمَ بزِينَب إنّ الْبَيْنَ قد أَفدا

وذكر الأبيات المتقدمة .

أعود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر¹

أخبرني عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ لَقِيطٍ قَالَ : أَتَشَدُّ جَرِيرٌ قَوْلَ عَمْرِ بْنِ

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : قرب ودنا .

3 المناصف : الخدم .

4 الصوران : موضع بقبع المدينة .

أبي ربيعة¹ :

[من الخفيف]

صوت

سائلا الربيعَ بالليِّ وقولا
هيجت شوقاً لي الغداة طويلاً²
أين حيّ حلوك إذ أنت محفو
ف بهم أهل أراك جميلاً ؟
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا
وبرغمي لو استطعت سبيلاً
سئموننا وما سئمنا مقاماً
وأحبوا دماً وسهولاً

فقال جرير : إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى ، والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البنصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أن فيها رملًا ثالثاً بالوسطى لابن جامع . وقال الهشامي : فيها ثلاثة أرمال لابن سريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العنيس بن حمدون فيها ثافي ثقليل . وفيها هزج لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .
أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال : وجدت كتاباً بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أن فليح بن إسماعيل حدثه عن معاذ صاحب المروى أن النصب قال : عمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحجال .

أخبرني الطوسي : قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظمياً مولاة فاطمة بنت عمر بن مضعب قالت : سمعت جدك³ يقول وقد أنشد قول عمر بن أبي ربيعة⁴ :

صوت

يا ليتني قد أجزت الحبل نحوكم
حبل المعرف أو جاوزت ذا عشر
إن الثواء بأرض لا أراك بها
فاستيقنيه نواء حق ذي كدر
وما ملكت ولكن زاد حُبكم
وما ذكرتك إلا ظلت كالسدر⁵
ولا جدلت بشيء كان بعدكم
ولا منحت سواك الحب من بشر

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسلام بن العسائي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وفقاً النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجنسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .

2 اللي : اسم تل .

3 ل : خالي .

4 ديوان عمر : 145 .

5 السدر : المتحير .

الآيات :

[من البسيط]

أدري الدموعُ كذي سُقمٍ يُخامرُهُ وما يُخامرني سُقمٌ سوى الذِّكرِ
 قد ذُكرتُ لو أُجِدَى تذكُّرُكمُ يا أشبهَ الناسِ كلَّ الناسِ بالقميرِ
 قالت : فقال جَدُّك : إنَّ لشعرِ عمر بن أبي ربيعةَ لموقعاً في القلب ، ومخالطةً للنفس ليسا
 لغيره ، وإن كان شعرٌ يَسْحَرُ لكان شعرُهُ سحرًا .

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي عِمَامَةُ بن عمر¹ قال : رأيت عامر بن صالح بن
 عبد الله بن عروة بن الزبير يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فجعل يذكر
 له شيئاً لا يعرفه ، فيسأله أن يُكْتَبَهُ إِيَّاهُ فيفعل ، فرأيتهُ يكتب ويده تُرْعَدُ من الفرح .
 [مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن عمه
 يوسف قال : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتيق في مجلس
 رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا ، يعني الحارث بن خالد ، أشعرهُما .
 فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابن أخي ، لشعرِ عمر بن أبي ربيعةَ لَوَطَةٌ² في القلب ،
 وعُلُوقٌ بالنفس ، وذِكْرٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَتْ لشعْرٍ ، وما عُصِيَّ اللهُ جَلَّ وعَزَّ بشعرِ أكثر ممَّا عُصِيَّ
 بشعر ابن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أَصِفُ لك : أشعرُ قريش مَنْ دَقَّ معناه ، ولُطِفَ مدخله ،
 وسَهِّلَ مخرجَه ، ومتن حَشَوهُ ، وتِعَطَّفَتْ حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعربَ عن حاجته . فقال
 المفضَّلُ للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول³ :

إِنِّي وما نَحْرُوا غَدَاةً مِنِّي عند الجِمارِ يُوودُها العَقْلُ⁴
 لو بُدِّلَتْ أَعْلَى مساكنِها سُفْلًا وأَصْبَحَ سُفْلُها يَعْلُو
 فَيَكَاذُ يَعْرِفُها الخَبِيرُ بها فَيَرُدُّه الإِقْوَاءُ والمَحْلُ⁵
 لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بما احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لأهلِها قَبْلُ

فقال⁶ ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استر على نفسك ، واكتم على صاحبك ، ولا تُشاهد
 المحافلَ بمثل هذا ؛ أما تَطَيَّرَ الحارث عليها حين قلبَ ربيعها فجعل عاليه سافلَه ! ما بقي إلا أن

1 ل : عمرو .

2 لوطه : تعلق والتصاق ؛ ويقال : نوطه والمعنى واحد .

3 ديوان - ارث 77-78 .

4 يوودها : يتقلها .

5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربيع من صاحبك ، أجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربيع بالبلبي وقولا هيجت شوقاً لي الغداة طويلا

وذكر أبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خجلاً مُذعناً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباع]

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين ، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ؛ وإنما لقّب القُباع لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّه البصرة ، فرأى مكياً لهم فقال : إنّ مكياً لكم هذا لقُباع ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلُقّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال : استعصم ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكّال لهم ، فقال لهم : إنّ مكّالكم هذا لقُباع ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدؤلي ، وقد عبّ عليه ، يهجوهُ ويُخطب ابن الزبير :

أمر المؤمنين جرّيت خيراً أرحنا من قُباع بني المُغيرة
بلوناه ولُمناه فأعيا علينا ما يُمرُّ لنا مريرة
على أنّ الفتى نكح أكوّل ولأجّ مذاهبه كثيرة

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج وأبين¹ مخافة أن يهيجهُ مقامه بمكة على قول الشعر . فطَرِب يوماً فقال² :

صوت

هيئت من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن³

1 لحج وأبين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413-414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلَّ أهلك أجياداً وليس لنا
لو أنها أبصرتُ بالجزعِ عبرته
إذا رأت غير ما ظننتُ بصاحبها
ما أنسَ لا أنسَ يومَ الخيفِ موقفها
وقولها للثريا وهي باكية
بإله قولي له في غير معتبة
إن كنتِ حاولتِ دنيا أو ظفرتِ بها
فما أخذتِ بترك الحج من ثمن¹

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتك وغدر . قال : وقال ابن جريج⁴ : ما ظننتُ أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشدّاً يُنشد قوله :

بالله قولي له في غير معتبة
إن كنتِ حاولتِ دنيا أو ظفرتِ بها
فما أخذتِ بترك الحج من ثمن

فحررتني ذلك على الرجوع إلى مكة ، فخرجتُ مع الحاج وحجبت .
غنى في أبيات عمر هذه ابن سريج ، ولحنه رملٌ بالبصرة في مجراها عن إسحاق . وفيها للغريض ثقل أول بالوسطى عن عمرو .
[عمر مع الوليد يعرفه أحوال الطائف]

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن السعدي⁵ قال : قديم الوليد بن عبد الملك مكة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رجلٍ علمَ بأموال الطائف فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمر بن أبي ربيعة . قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ثم ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يعلّته ، ثم حرك عمر رداءه ليُصلحه على كتفه ، فرأى على منكبه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءني جارية برسالة من عند جارية أخرى ، ففعلتُ تسارُني ، فغارت التي كنتُ أحدثُها فعضتُ منكبي ؛ فما وجدتُ ألمَ عضبها من لذة ما كانت تلك تنفث

1 أجياد : مكان بمكة .

2 سنن : طرق .

3 ظفرت في ل : رضيت .

4 ل : ابن جريج .

5 ل : السعدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلما رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .
[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن عبد الله البكري وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن أبيه قال : دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق ؛ فإنه لمعتمد على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه فردّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبنا :
[من الطويل]

خليلي ما بال المطايا كأنما نراها على الأديار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهن صباة فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادي سراهن وانحى بهن فما يألو عجول مقلص²
يزدّد بنا قرباً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقص
ويقول صاحبك ما شئت . فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في الغزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر . فقال سعيد : صدقت . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعبد يده حتى وقى مائه . فقال البكري في حديثه عن عبد الجبار ، قال مسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلا هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه .
[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثقفي : أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أي بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قول جميل³ :
[من الطويل]
يموت الهوى متى إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود
وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة⁴ :

1 ديوان عمر : 218 .

2 مقلص : مشعر ثياه .

3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .

4 ديوان عمر : 100 .

[من البسيط]

كَأَنْتِي حِينَ أُمْسِي لَا تُكَلِّمْنِي ذُو بُعْيَةٍ يَنْتَعِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
فَقَالَ الْوَلِيدُ : حَسْبُكَ وَاللَّهِ بِهَذَا ! أَخْبِرْنِي الْحَرَمِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِهِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : [من الرمل]

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاتَمَرٌ أَمَرَ رَشِيدٌ مُؤْتَمَنٌ
قَالَ : شَهِدْتُ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَجَمِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُدْرِيِّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا
بِالْأَبْطَحِ ؛ فَأَنْشَدَ جَمِيلٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من الطويل]

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بُثْنَةً أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُحْلِ
يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُثْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ قَالَ لِعَمْرٍ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْشِدْنِيهِ ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلُهُ² : [من الطويل]

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَرَقَرْتُ بَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي³
فَطَارَتْ بِحَذٍِّ مِنْ فَوَادِي وَقَارَتْ قَرِيبَتُهَا حَبْلَ الصَّفَاءِ إِلَى حَبْلِي⁴
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدْوُكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءُ وَأَهْلُنَا قَرِيبٌ أَلَمَّا تَسَامَى مَرْكَبُ الْبَعْلِ
فَقَالَتْ فَمَا شِئْتُنْ قُلْنَا لَهَا انْزِلِي فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
نُجُومٍ دَرَارِيٍّ تَكْنُفْنَ صُورَةَ مِنْ الْبَدْرِ وَافَتْ غَيْرَ هُوجٍ وَلَا عُجَلٍ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوٌّ مَقَامِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فَعَلِي
فَقَالَتْ وَأَرَأَيْتَ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمُ غَيْرَ ذِي رَقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهِمْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مَثَلِي
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذِي الشُّكْلِ⁵

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان عمر : 293-294 .

3 الحصاب أو الخصب : موضع رمي الجمار .

4 فوادي في ل : سهامي .

5 الشكل : الدل .

عَرَفَنَ الَّذِي تَهْوَى قُلُوبُنَا لَنَا نَطْفُ سَاعَةً فِي بَرْدِ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ¹
فَقَالَتْ فَلَا تَلْبَسَنَّ قُلُوبَنَا تَحَدَّثَنِي أَتَيْنَاكَ ، وَأَنْسَبِينَ أَنْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ
وَقَمْنٌ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
فَقَالَ جَمِيلٌ : هِيَاتَا يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ اللَّيَالِي² ، وَاللَّهِ مَا
يُخَاطَبُ النِّسَاءَ مَخَاطِبَتِكَ أَحَدٌ . وَقَامَ مُشْمَرًا .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمي مُصْعَبُ : كان عمر يُعارض جميلًا ؛ فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها . فيقال : إنه في الرائية والعينية أشعرُ من جميل ، وإن جميلًا أشعرُ منه في اللامية ، وكلاهما قد قال بيتًا نادرًا ظريفًا ؛ قال جميل :

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا يَكِي مِنْ حَبٍّ قَاتِلَهُ قَبْلِي
وقال عمر :

فَقَالَتْ وَأَرَحْتُ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقِيَّةٍ أَهْلِي
[حين سمع الفرزدق بيتاً لعمر]

أَخْبِرْنِي عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : سَمِعَ الْفَرَزْدَقُ
عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ يُنْشِدُ قَوْلَهُ :

جَرَى نَاصِصٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
[ولمَّا بلغ قوله :

فَقَمْنٌ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَمَّا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي]
صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته ، وبكت على الديار .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر ، واستنشدته ما له في وزنها :

صوت
خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا يَكِي مِنْ حَبٍّ قَاتِلَهُ قَبْلِي
أَبَيْتُ مَعَ الْهَلَائِكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُوو فَضْلٍ³

1 تهوى قد تقرأ : تهوى .

2 سَجِيسَ الليالي : أبد الدهر .

3 الْهَلَائِكُ : المتسولون أو طالبو المعروف .

أَفَقُّ أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعْ عَنْكَ «جُمْلًا» لَا سَبِيلَ إِلَى جُمْلٍ
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَابِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يُغنى به فيها لمبعد . وذكر يحيى المكي : أن لابن مُحرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر . وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبنصر يمانٍ عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طُنبورة خفيف رَمَلٌ عن الهشامي . وفيها لإسحاق ثقيلٌ أولٌ عن الهشامي أيضاً . وذكر حمادٌ عن أبيه : أن لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً ، ولم يُجنسه . وذكر حبشٌ أن الثقيل الأول لابن طُنبورة .

ومنها في شعر جميل أيضاً :

صوت

لَقَدْ فَرحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتُ حَبْلِي بُثْنَةً أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبَحْلِ
فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَابِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء لابن مِسَجَحٍ ثقيلٌ أولٌ بالوسطى عن الهشامي .

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر :

صوت

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثْتُ غَيْرَ ذِي رِقِيَّةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لِمَنْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرِّيَ لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي

جرى ناصحٌ بالوَدِّ بيني وبينها فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِ

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ، ولحنه رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر يونس : أن فيه لحناً للملك لم يُجنسه ، وذكر الهشامي : أن لحنَ مالك خفيف ثقيل . وذكر حبشٌ : أن لمبعد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . [وليس حبشٌ ممن يُعتمد في هذا على روايته] .

[رأي مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحرَزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكَّار قال : أدركتُ مَشِيخَةً من قريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلِّي بمودته ، والابتيار في شعره . والابتيار : أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل .

[نقد ابن أبي عتيق أبياتاً لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشدته قوله¹ : [من الرمل]

صوت

بينما يَنْعَتْنِي أَبْصُرَنِي
دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْذُو بِي الْأَغْرُ
قَالَتِ الْكَبْرَى أَتَعْرِفْنَ الْفَتَى
قَالَتِ الْوُسْطَى نَعَمْ هَذَا عَمْرُ
قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيَمَّمْتُهَا
قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمْرُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيْج خفيف رَمَلٍ بِالْبَصْرِ . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدتها ، أنت لم تَنْسِبْ بها ، وإنما نَسَبْتَ بنفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ حَدِّي فَوَطِئْتُ عليه .

أخبرني الحرْمي قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال : لم يذهب على أَحَدٍ من الرواة أَنَّ عمر كان عَفِيفاً يَصِفُ وَلَا يَقِفُ² ، وَيَحُومُ وَلَا يَرِدُ .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حَدَّثَنَا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي ، وحَدَّثَنِي عَلِيٌّ بن صالح قال حَدَّثَنَا أَبُو هَفَافٍ عن إِسْحَاقَ المَوْصِلِيَّ عن رجالة ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلَمَّا انصرف من الْحَجِّ أَلْقَى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عَمْرُ فَسَلَّمَ عليه وجلس إليه . فقال له : أنشدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندني بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلَّ ما قلتُ وهما لك . قال : اثنتي بهما ففعل ؛ فأنشدهاه قوله :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فُمْبِكُرٍ

فطرب الوليدُ واهتزَّ لذلك ، فلم يزلْ يُنشداه حتى قام ، فأَجْزَلَ صلته وَرَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مِمَّات شعر عمر]

حَدَّثَنِي عَلِيٌّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقَّب «كِيلَجَةَ» قال حَدَّثَنِي أَبُو هَفَافٍ قال حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بن إبراهيم المَوْصِلِيَّ عن مُصْعَبِ بن عبد الله الزبيري ، وأخبرني الحرْمي بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار عن عَمِّه مصعب أَنَّهُ قال : راق عَمْرُ بن أبي ربيعة الناس

1 ديوان عمر : 174 .

2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظرائه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر ، وحسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب
المصدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربيع ، وإنطاق القلب ، وحسن العزاء ، ومخاطبة
النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ،
وطلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المساءة على العُدال ، وحسن
التفجّع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصّفاء ؛ إن قدح أورى ، وإن اعتذر أبرأ ،
وإن تشكّى أشجى ، وأقدم عن خيرة ولم يعتذر بغرة ، وأسرّ النوم ، وغمّ الطير ، وأغدّ السير ،
وحيرّ ماء الشباب ، وسهّل وقول ، وقاس الهوى فأربى ، وعصى وأخلّ وحالف بسمعه
وطرفه ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحبّ وأسرّ ، وبطن به وأظهر ، وألحّ وأسفّ ،
وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذلّ صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ،
وأعلّ قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن مئى ، وأهدر قتلاه ؛ وكان بعد هذا
كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله¹ :

صوت

فلما تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وجوه زهاها الحسنُ أن تَتَقَنَّا
تَبَاهَلْهِنَّ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا
الغناء لابن عبّادٍ رَمَلٌ عن المشامي . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجَنَّسٍ عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قوله² :

لَهَا مِنَ الرَّيْمِ عَيْنَاهُ وَسُنَّتُهُ وَنَحْوُهُ السَّابِقُ الْمُخْتَالُ إِذْ صَهَلَا³
ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله⁴ :

[من السريع]

صوت

عُوجَا نَحْيِي الطَّلَلِ الْمُحَوَّلَا وَالرُّبْعَ مِنْ أَسْمَاءِ وَالْمَنْزَلَا
سَابِغِ الْبَوَابِ لَمْ يَعْدُهُ تَقَادُمُ الْعَهْدِ بَأَن يُوهَلَا⁵

1 ديوان عمر : 228 .

2 ديوان عمر : 308 .

3 سنته في رواية : ولفسته .

4 ديوان عمر : 310 .

5 البوابة : الفلاة .

الغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعني أنه لم يؤهل فيعوده تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيين : يُحْيِيهِ بَأَن يُؤْهَل ، أي يدعو له بذلك .
ومن قصده للحاجة قوله¹ :

[من الخفيف]

صوت

أَيْهَا الْمُتَكَبِّرُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ²
هي شامية إذا ما اسْتَقَلْتُ وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وُبروى : «هي غورية» . الغناء للغريض خفيف بالنصر عن عمرو وابن المكي .

ومن استنطاقه الربع قوله :

[من الخفيف]

صوت

سَائِلَا الرَّبْعَ بِالْبَلَى وَقُولَا هَجَتْ شَوْقًا لِي الْغَدَاةُ طَوِيلَا
أَيْنَ حَيٍّ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَخْفُو فَتُبْهُمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلَا
قال ساروا فأَمْعَنُوا واستَقَلُّوا وبرغمي لو قد وجدتُ سَبِيلَا
ويكرهني لو آسَظَعْتُ سَبِيلَا

سَيْمُونَا وَمَا سَيْمُنَا جَوَارًا وَأَحْبَبُوا دَمَائِنَا وَسُهُولَا

فيه رَمَلَان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . والآخر لإسحاق مطلق في مجرى النصر ، وفيه لأبي العنيس ابن حمدون ثاني ثَقِيل . وقد شرحتُ نسبته مع خبره في موضع آخر . قال إسحاق : أنشيدَ جريرُ هذه الأبيات فقال : إنَّ هذا الذي كنَّا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطافه القلب قوله³ :

[من المديد]

قال لي فيها عَتِيقٌ مَقَالًا فجرتُ مِمَّا يَقُولُ الدَمُوعُ
قال لي ودَّعْ سُلَيْمَى ودَّعْهَا فأجاب القلبُ : لا أَسْتَطِيعُ

الغناء للهذليّ ثاني ثَقِيل بالوسطى عن الهشامي . قال : وفيه ليحيى المكيّ ثَقِيلٌ أَوَّلُ نُسَبٍ إلى مَعْبُد وهو من مَنَحُوله .

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

4 كتاب الأغاني - ج 1

ومن حسن غزائه قوله¹ :

[من الطويل]

أَلْحَقْ إِن دَارَ الرَّبَابِ تَبَاعَدَتْ أَوْ انْتَبَتْ حَبْلٌ أَنْ قَلْبَكَ طَائِرُ
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا الـ هَوَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرِّجَالِ الْمَرَارُ²
زَعِ النَّفْسَ وَاسْتَبِقِ الْحَيَاءَ فَإِنَّمَا تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّبَابَ الْمَقَادِرُ³
أَمِتْ حُبَّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا وَعِشْرَتَهَا كَمَثَلِ مَنْ لَا تُعَاشِرُ
وَهَبْهَا كَشْيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحِ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيْبَتْهُ الْمَقَابِرُ
وَكَالْنَّاسِ غُلَقْتَ الرَّبَابَ فَلَا تَكُنْ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ حَاضِرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوله «زَعِ النَّفْسَ» لابن سريج ثقيل أول بالنصر عن عمرو . وفيه لعمرو الوادي رمل بالنصر عن ابن المكي . وفيه له «قَدَارُ» لحن من كتاب إبراهيم غير مُجَنَس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير⁴ ، ويرويها الكوفيون للكُميت بن معروف الأسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره ؛ [ولكل فيها أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة⁵ النساء ، قال مُصْعَبُ الزَّيْبَرِي : وقد أجمع أهل بلدنا ممن له علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أغزل ما سمعوا ؛ قوله⁶ :

[من المتقارب]

صوت

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقِينَا الرَّبَابُ أَيَاذَا أَفْلَتْ أَفُولَ السَّمَاءِ
وَكَفَتْ سَوَابِقَ مَنْ عُبْرَةٍ كَمَا ارْفَضَ نَظْمُ ضَعِيفُ السَّلَاكِ
فَقُلْتُ لَهَا مَنْ يُطْعِمُ فِي الصَّدِيقِ أَعْدَاءَهُ يَجْتَنِبُهُ كَذَاكِ
أَغْرَكُ أَتِي عَصِيَّتُ الْمَلَامِ فَيْكِ وَأَنْ هَوَانَا هَوَاكِ
وَأَلَّا أَرَى لَذَّةَ فِي الْحَيَاةِ تَقَرُّ بِهَا الْعَيْنُ حَتَّى أَرَاكِ
فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ مُكَارَمَتِي وَاتِّبَاعِي رِضَاكِ

1 ديوان عمر : 133 .

2 بالرجال في ل : بالرحيل .

3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .

4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .

5 ل : مخاطبته .

6 ديوان عمر : 287 .

فليت الذي لأم في حبكم وفي أن تزارى بقرنٍ وقاك¹
هُموم الحياة واسقامها وإن كان ختف جهيز فداك
الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر إبراهيم أن فيه لنا حكماً . وقيل : إن فيه
لنا آخر لابن جامع .
ومن عفة مقاله قوله² :

[من الخفيف]

صوت

طال ليلى واعتادني اليوم سقمُ حرّة الوجه والشمالك والجو
وأصابت مقاتل القلب نعمُ هر تكليمها لمن نال غنم
وحدث بمثله تنزل العُصّد م رخيّم يشوب ذلك جلم
هكذا وصف ما بدا لي منها ليس لي بالذي تعيّب علم
إن تجودي أو تبحلي فيحمدٍ لست يا نعم فيهما من يذم
الغناء لابن سريج رمل عن المشامي .
ومن قلة انتقاله قوله³ :

[من المديد]

صوت

أيها القائل غير الصواب أيها القائل غير الصواب
واجتنبني واعلم أن ستعصى واجتنبني واعلم أن ستعصى
إن تقل نصحا فعن ظهر غش إن تقل نصحا فعن ظهر غش
ليس بي عي بما قلت إني ليس بي عي بما قلت إني
إنما فرة عيني هواها إنما فرة عيني هواها
لا تلمني في الرباب وأمت لا تلمني في الرباب وأمت
هي والله الذي هو ربي هي والله الذي هو ربي
أكرم الأحياء طراً علينا أكرم الأحياء طراً علينا

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .

2 ديوان عمر : 374 .

3 ديوان عمر : 60 .

4 الغمر : الحقد .

خاطبتني ساعة وهي تبكي ثم عَزَتْ خَلَّتِي فِي الْخُطَابِ¹
 وكفى بي مدرهاً لخصوم لسواها عند حَدِّ تَبَائِي²
 الغناء لكَرْدَمٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالسبابة فِي مَجْرَى الوُسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ فِي الْأَوَّلِ والخامس ثم
 الثاني والثالث . وفيه لمبعد خفيف ثَقِيلُ بالبصير عن يَحْيَى الْمَكِّي .
 ومن إِيثَاتِهِ الْحُجَّةُ قَوْلُهُ³ :

[من الطويل]

خَلِيلِي بَعْضَ اللُّومِ لَا تَرْحَلَا بِهِ رَفِيقُكَمَا حَتَّى تَقُولَا عَلَى عِلْمٍ⁴
 خَلِيلِي مَنْ يَكْلِفُ بَاخِرَ كَالَّذِي كَلَّفْتُ بِهِ يَدْمُلُ فَوَادًا عَلَى سُقْمٍ
 خَلِيلِي مَا كَانَتْ تُصَابُ مَقَاتِلِي وَلَا غَرَّتْنِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى نَعْمٍ
 خَلِيلِي حَتَّى لُفَّ حَبْلِي بِخَادِعٍ مُوقَى إِذَا يُرْمَى صَيُودٍ إِذَا يُرْمَى
 خَلِيلِي لَوْ يُرْقَى خَلِيلٍ مِنَ الْهَوَى رَفِيتُ بِمَا يُدْنِي النُّوَارَ مِنَ الْغُصْنِ
 خَلِيلِي إِنْ بَاعَدْتُ لَأَنْتَ وَإِنْ أَلِنْ تَبَاعَدَ فَلَمْ أَتَبَلَّ بِخَرْبٍ وَلَا سَلَمٍ
 ومن تَرْجِيحِهِ الشُّكَّ فِي مَوْضِعِ الْيَقِينِ قَوْلُهُ⁵ :

[من الطويل]

صوت

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
 فَقُلْتُ : أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بِيَعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
 بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقَرْطِ إِمَّا لَنَوَقُلَّ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ⁶
 وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا عَلَى عَجَلٍ تَبَاعُهَا وَالْخَوَادِمُ
 فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةَ رَاحَتٍ وَجْهَهَا وَالْمَعَاصِمُ
 مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهِمِ بِالضُّحَى عَصَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلَحْهُ السَّمَائِمُ⁷

1 عَزَتْ : بَخَلَتْ .

2 المدره : القوي الحجة .

3 ديوان عمر : 357 .

4 لا ترحلا به رفيقكما : لا تتفلا عليه به (أي باللوم) .

5 ديوان عمر : 348-349 .

6 بعيدة مهوى القرت : يعني أن عنقها طويل .

7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضَار تَرَى فِيهِ أُسَارِيعُ مَائِهِ صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكُفُ النُّوَاعِمُ¹
 إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاكْتَفَنُهَا تَمَائِلُنْ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَاكِمُ
 طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ نَزَعْنَ وَهَنَ الْمُسْلِمَاتِ الظَّوَالِمُ
 الغناء لمبعد خفيف أول بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق وابن المكي . وفيها لابن
 سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيل
 بالوسطى عن الهشامي .
 ومن طلاوة اعتذاره قوله² :

[من الخفيف]

صوت

عَاوَدَ الْقَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ مِنْ حَبِيبٍ أَمْسَى هَوَانَا هَوَاهُ
 يَا لَقَوْمِي فَكَيْفُ أَصْبِرُ عَمَّنْ لَا تَرَى النَّفْسُ طَيْبَ عَيْشٍ سِوَاهُ
 أَرْسَلْتُ إِذْ رَأْتُ بَعَادِي أَلَا يَقْبَلُنْ بِي مُحَرَّشًا إِنْ أَتَاهُ³
 دُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَقَالَةَ مِنَّا وَلِيُطْعِنِي فَإِنَّ عِنْدِي رِضَاهُ
 لَا تُطْعِ بِي فَذَنَّاكَ نَفْسِي عِدْوًا لِحَدِيثٍ عَلَى هَوَاهُ أَفْتَرَاهُ
 لَا تُطْعِ بِي مَنْ لَوْ رَأَى رَأْيَا لَكَ أَسِيرِي ضُرُورَةَ مَا غَنَاهُ
 مَا ضِرَارِي نَفْسِي بِهِجْرِي مَنْ لِي حَسْ مُسِيئًا وَلَا بَعِيدًا ثَرَاهُ⁴
 وَاجْتِنَابِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَمَا الْخُلْدُ سُدُّ بِأَشْهَى إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَرَاهُ

الغناء لمبعد خفيف ثقيل بالخِصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني
 ثقيل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيف ثقيل بالوسطى للمهدي . وفيه لابن مُحَرِّزٍ
 ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتدأوه نشيداً أوله : « ما ضاراري نفسي » . وقال الهشامي :
 وفيه عُليَّة بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني .
 [ومن نهجه العِلل]

ومن نهجه العِلل قوله⁵ :

[من المتقارب]

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .

2 ديوان عمر : 440 .

3 المحرّش : المحرض .

4 ثراه في ل : نواه .

5 ديوان عمر : 91 .

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتكم ناشداً ينشد
فرحاً سراعاً وراح الهوى دليلاً إليها بنا يقصد
فلما دنونا لجرس النبا ح والصوت ، والحي لم يرقدوا
بعضنا لها باغياً ناشداً وفي الحي بغية من ينشد
وقد نسبت هذه الأبيات إلى مَنْ غنى فيها مع :
تَشِطُّ غداً دارُ جيراننا

ومن فتحه الغزل قوله² :
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكُن حجراً من يابس الصخر جليماً
ومن عطفه المساءة على العذال قوله³ :
[من الطويل]
[من الخفيف]

صوت

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إن بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنت زيتها لي أنت مثل الشيطان للإنسان
الغناء لأبي العباس ابن حمدون ثقب أول مطلق من مجموع أغانيه . وفيه رمل طنبوري
محدث . وفيه زَجَجْ لأبي عيسى ابن المتوكل .
ومن حسن تفجعه قوله⁴ :
[من الطويل]

صوت

هجرت الحبيب اليوم من غير ما اجترم وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع مقالة واش يقرع السن من ندم
أتاني رسول كنت أحسب أنه شقيق علينا ناصح كالذي زعم سريره عن بعض ما كان قد كنم
فلما تبأثنا الحديث وصرحت فعندي لك العتي على زعم من زعم
تبين لي أن المحرّش كاذب

1 ناشداً ينشد في رواية : منشداً ينشد .

2 ديوان عمر : 118 .

3 ديوان عمر : 417 .

4 ديوان عمر : 356 .

5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فَمِلَانَ لُمْتُ النَّفْسَ بَعْدَ الَّذِي مَضَى وَبَعْدَ الَّذِي آلَتْ وَآلَيْتُ مِنْ قَسَمٍ¹
 ظَلَمْتُ وَلَمْ تُعْتَبْ وَكَانَ رَسُولُهَا إِلَيْكَ سَرِيعاً بِالرَّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمْتُ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج
 لحنان ، وذكر المشامي أَنَّ لَحْنَهُ الْآخِرُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، وَأَنَّ لَعْلُوِيَّ فِيهِ رَمَلاً آخِرَ .
 ومن تبخيله المنازل قوله² :
 [من الطويل]

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالتَّرْبَعَا بِيْطْنِ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا³
 إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمُغَمْسِ بُلْدَتْ مَعَالِمُهَا وَبِلَاءٌ وَنَكْبَاءٌ زَعَزَعَا⁴
 فَيُبْخَلْنَ أَوْ يُخْبِرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَانَ فَوَادِئاً كَانَ قَدِماً مُفْجَعَا
 الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى .
 ومن اختصاره الخبر قوله⁵ :
 [من الطويل]

صوت

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهْجَرُ
 لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فَتُبْلَغَ عَذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ
 أَشَارَتْ بِمَدْرَاهَا وَقَالَتْ لَتَرْبِهَا أَهَذَا الْمُغَيْرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
 لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر ، وله أيضاً في بيتين آخرين من هذه
 القصيدة ، وهما قوله :
 وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ جَشَمْتَنِي السُّرَى وَقَدْ يَجْشَمُ الْهَوْلَ الْحَبُّ الْمُغَرَّرُ
 فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ فَمَا أَفْوَتْهُمْ وَإِذَا يَنَالُ السَّيْفُ ثَاراً فَيَنَارُ
 رَمَلٌ آخِرٌ بالوسطى عن عمرو . قال الزبير حدثني إسحاق الموصلي قال : قلت لأعرابيٍّ ما
 معنى قول ابن أبي ربيعة :

1 فَمِلَانَ : فمن الآن .

2 ديوان عمر : 227 .

3 حليات : اسم موضع ، لعله قرب مكة .

4 المغمس : موضع قرب مكة في الطريق إلى الطائف .

5 ديوان عمر 120-127 .

لحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها
فقبل عذراً والمقالة تعذر
فقال : قام كما جلس .

ومن صدقه الصفاء قوله¹ :

كل وصل أُمسى لديك لأنثى
غيرها وصلها إليها أدا
كل أنثى وإن دنت لوصال
أو نأت فنبى للرباب الفداء

وقوله² :

[من المتقارب]

صوت

أحبُّ لحبك مَنْ لم يكن
صَفِيًّا لنفسِي ولا صاحِباً
وأبذلُ مالي لمرضايتكم
وأُعْتَبُ مَنْ جاءكم عاتِباً
وأرغبُ في ودِّ مَنْ لم أكن
إلى ودِّه قبلكم راغباً
ولو سَلَكَ الناسُ في جانب
من الأرض واعتزلت جانباً
ليَمَمْتُ طيبتها إنسي
أرى قُربها العجب العجبا

الغناء لابن القفاص رملٌ عن المشامي ويحيى المكي ، وفيه للرُّبَعيّ لحنٌ من كتاب إبراهيم
غير مُجَنَس .

ومما قدَحَ فيه فأورَى قوله³ :

[من الرمل]

صوت

طالَ لَيْلي وتَعَنَّي الطَّربُ
واعتراني طولُ همٍّ ووَصَبُ
أرسلتُ أسماءَ في مَعْبَةِ
عَتَبَتِها وهي أحلى مَنْ عَتَبُ
أن أتى منها رسولٌ موهِناً
وجد الحَيَّ نياماً فانقلبُ
ضرب الباب فلم يَشْعُرْ به
أحدٌ يفتح باباً إذ ضربُ
قال : أيقاظٌ ، ولكن حاجةٌ
عَرَضَتْ تُكْثِمُ منّا فاحتجبُ
ولعمدأ ردِّي ، فاجتهدتُ
بِيمينٍ خَلْفَةً عند الغضبُ

1 ديوان عمر : 14 .

2 ديوان عمر : 66 .

3 ديوانه 28-29 .

يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا
سَقْفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبٍ
قُلْتُ حَيًّا فَأَقْبَلِي مُعْذِرَتِي
مَا كَذَا يَجْزِي مُجِبُّ مَنْ أَحَبَّ
إِنْ كَفَسِي لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَا
فَأَقْبَلِي يَا هِنْدُ ، قَالَتْ قَدْ وَجِبَ

الغناء للمالك خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو . وفيه لمعيد لحن من كتاب يونس لم يُجَنِّسه ، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل . وفيه لابن سريج رمل عن الهشامي .

قال مَنْ حَكِينَا عَنْهُ فِي صَدْرِ أَخْبَارِ عَمْرِو رَوَايَتُهُ الَّتِي رَوَاهَا عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَبِي هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ رَجَالِهِ وَالْحَرَمِيِّ عَنْ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ : كَانَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ يَهْوَى امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا «أَسْمَاءُ» ، فَكَانَ الرَّسُولُ يَخْتَلِفُ بَيْنَهُمَا زَمَانًا وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا . ثُمَّ وَعَدَتْهُ أَنْ تَزُورَهُ ، فَتَأْهَبُ لِذَلِكَ وَتَنْتَظِرُهَا ، فَأَبْطَأَتْ عَنْهُ حَتَّى غَلَبَتْهُ¹ عَيْنُهُ فَنَامَ ، وَكَانَتْ عَنْده جَارِيَةٌ لَهُ تَخْدُمُهُ ؛ فَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ جَاءَتْ وَمَعَهَا جَارِيَةٌ لَهَا ، فَوَقَفَتْ حَجْرَةً² وَأَمَرَتْ الْجَارِيَةَ أَنْ تَضْرِبَ الْبَابَ ، فَضَرَبَتْهُ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ . فَقَالَتْ لَهَا : تَطْلَعِي فَاَنْظُرِي مَا الْخَيْرُ ؟ فَقَالَتْ لَهَا : هُوَ مُضْطَجِعٌ وَإِلَى جَنْبِهِ امْرَأَةٌ ، فَحَلَفْتُ لَا تَزُورُهُ حَوْلًا ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

طال ليلي وتَعَانِي الطَّرْبُ

قال أَبُو هَفَّانٍ فِي حَدِيثِهِ : وَبَعَثَ إِلَيْهَا امْرَأَةً كَانَتْ تَخْتَلِفُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعَارِفِهِ ، وَكَانَتْ جَزَلَةً³ مِنَ النِّسَاءِ ، فَصَدَّقَتْهَا عَنْ قِصَّتِهِ وَحَلَفَتْ لَهَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَنْده إِلَّا جَارِيَتُهُ ، فَفُضِّتْ . وَإِيَّاهَا يَعْنِي عَمْرُ بِقَوْلِهِ :

فَاتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ
تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا
وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَارَاتِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا
وَتَأْتَاهَا بِرَفْقٍ وَأَدَبٍ

قال إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ : وَحَدَّثَنِي ابْنُ كُنَاسَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي حَمَادُ الرَّائِيَةِ قَالَ : اسْتَشْدَدَنِي الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَأَنْشَدْتُهُ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ قَصِيدَةٍ ، فَمَا اسْتَعَادَنِي إِلَّا قَصِيدَةَ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

طال ليلي وتَعَانِي الطَّرْبُ

1 ل : حملته .

2 حجرة : ناحية .

3 جزلة : عاقلة .

فلَمَّا أنشدته قوله :

[من الرمل]

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ

إلى قوله :

إِنَّ كَفْصِي لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا فَاقْبَلِي يَا أُخْتِ قَالَتْ قَدْ وَجِبَ¹

فقال الوليد : وَيُحَكِّ يَا حَمَاد ! أَطْلُبُ لِي مِثْلَ هَذِهِ أُرْسِلَهَا إِلَى سَلْمَى . يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقَهَا لِيَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا ثُمَّ تَبِعَتْهَا² نَفْسُهُ .

قال إسحاق وحدثني جماعة منهم الحرمي والزبيري وغيرهما : أَنَّ عَمْرَ أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ؛ فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتِلَ عثمان في صفة قَوَادِيكَ هذه يدبرُ أمورهم فما يجدونه ! .

رَجْعٌ إِلَى خَبَرِ عَمْرِ الطَّوِيلِ

قالوا : ومن شعره الذي اعتذرَ فيه فأبرأ قوله³ :

[من الخفيف]

فَالْتَقَيْنَا فَرَحَّيْتُ حِينَ سَلَّمْتُ تَ وَكَفْتُ دَمْعاً مِنَ الْعَيْنِ مَاراً⁴
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْنَا مِنْكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوَارَا
قُلْتُ كَلَّا لَاهُ ابْنُ عَمِّكَ بَلْ خِفْتُ سَنَا أُمُورًا كُنَّا بِهَا أَغْمَارًا⁵
فَجَعَلْنَا الصُّدُودَ لَنَا حَشِينَا قَالَةَ النَّاسُ لِلْهَوَى أُسْتَارَا
لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَهَدْتَ وَلَكِنْ أَوْقَدَ النَّاسُ بِالنِّمِصَةِ نَارَا
[فَلِذَاكَ الْإِعْرَاضُ عَنْكَ وَمَا آ ثَرَّ قَلْبِي عَلَيْكَ أُخْرَى اخْتِيَارَا]
مَا أَبَالِي إِذَا النَّوَى قَرَّبَتْكُمْ فَدَنَوْتُمْ مَنْ حَلَّ أَوْ مَنْ سَارَا
فَاللَّيَالِي إِذَا نَأَيْتَ طِوَالَ وَارَاهَا إِذَا قُرْبَتْ قِصَارَا

ومن تَشَكُّيهِ الذي أشجى فيه قوله⁶ :

[من الطويل]

1 يا أُخْتِ في رواية : يا هِنْد .

2 ل : تَبِعَتْهَا .

3 ديوان عمر : 160-163 .

4 مار الدمع : جرى .

5 لاه ابن عمك : لله ابن عمك .

6 ديوان عمر : 48-49 .

صوت

لَعَمْرُكَ مَا جَاوَرْتُ غُمْدَانَ طَائِعًا
ولكنَّ حُمَّى أَضْرَعَتْني ثَلَاثَةً
وحتى لو أَنَّ الْخُلْدَ تَعْرِضُ إِنَّمَشَتْ
فإنَّكَ لو أَبْصَرْتَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ
وَمَضْرَعٍ إِخْوَانٍ كَأَنَّ أَتْنَهُمْ
إِذَا لَاقَشَعَرُ الرَّأْسِ مِنْكَ صَبَابَةً
غَنَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعْبِدٌ وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عَمْرُو . وَفِيهِمَا الْمَالِكُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَنَسَبُهُ يُونُسُ إِلَى مَالِكٍ وَلَمْ يُجَنِّسْهُ .
وَمِنْ إِقْدَامِهِ عَنْ خَيْرَةٍ وَلَمْ يَعْتَذِرْ بِغَيْرَةِ قَوْلِهِ ⁵ :
[مِنْ الْمُتَقَارِبِ |
صَرَّمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَرَفْتُ
وَجَرَّبْتُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى عَرَفْتُ
وَمِنْ أَسْرِهِ النَّوْمَ قَوْلُهُ ⁶ :
[مِنْ الْخَفِيفِ |
نَامَ صَحْبِي وَبَاتَ نَوْمِي أَسِيرًا
وَمِنْ غَمِّهِ الطَّيْرَ قَوْلُهُ ⁷ :
[مِنْ الطَّوِيلِ |
فَرَحْنَا وَقَلْنَا لِلْغَلَامِ أَفْضَلَ حَاجَةً
سِرَاعًا تَغْمُ الطَّيْرُ إِنْ سَنَحَتْ لَنَا
نَتَغَيَّرُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : غَبَرَ فَلَانُ أَيُّ لَبِثَ .
وَمِنْ إِغْدَاذِهِ السَّيْرَ قَوْلُهُ ⁸ :
[مِنْ الْخَفِيفِ |

1 غمدان وشعوب : قصيران باليمن .

2 أضرعتني : أذلتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .

3 حديا في ل : جريا .

4 صبابية في ل : عجابه .

5 ديوان عمر : 90 .

6 ديوان عمر : 160 .

7 ديوان عمر : 130 .

8 ديوان عمر : 160-163 .

قلتُ سيرا ولا تُقيما يُبصرى وحفير فما أحبُّ حفيراً¹
 وإذا ما مررتُما بمعانٍ فأقلاً به الشواء وسيرا
 إنما قصرتُنا إذا حَسَرَ السد رُبعيراً أن نستجدَّ بغيراً²
 ومن تخيره ماء الشباب قوله³ :

[من الخفيف]

صوت

أبرزوها مثلَ المَهَاقِ تَهَادى بين خَمْسٍ كَواعِبِ أَتَرابِ
 ثم قالوا تَجْهَها قلتُ بَهراً عددَ القطرِ والحصى والترابِ
 وهي مكنونةٌ تحيرُ منها في أديمِ الخدين ماءُ الشبابِ
 الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالنصر . وفيه لملك خفيف ثقيل آخر عن الهشامي ،
 وقيل : بل هو هذا .

ومن تقويله وتسهيله قوله⁴ :

[من البسيط]

قلتُ على رِقَةٍ يوماً لجارتها ما تأمرينَ فإنَّ القلبَ قد بُيلا
 وهل لي اليومَ منْ أحتِ مُواخِيةً منكنَّ أَشْكُو إليها بعضَ ما فعلا
 فراجعتُها حصاناً غيرَ فاحشةٍ برجعَ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خطلا
 لا تذكُري حُبَّه حتى أراجعه إني سأُكفِّيكِ إنْ لم أُمِتْ عَجلا
 فافقني حياءك في سترٍ وفي كرمٍ فلستِ أوَّلُ أنثى عُلقتَ رجلاً
 وأما ما قاس فيه الهوى فقوله⁵ :

[من الطويل]

وقرَّبتُ أسبابَ الهوى لمنيِّم يقيسُ ذراعاً كلما قيسَ إصبعا
 ومن عصبانه وإخلائه قوله⁶ :

[من الخفيف]

وأنصُ المطيَّ يتبعنَ بالركُ بٍ سراعاً نواعِمَ الأظعانِ

1 بصرى : مدينة بالشام . حفير : نهر بالأردن .

2 قصرنا : غابتنا . حسره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .

3 ديوان عمر : 59 .

4 ديوان عمر : 315-317 .

5 ديوان عمر : 228 .

6 ديوان عمر : 419 .

فَنَصِيدُ الْعَرِيرِ مِنْ بَقَرِ الْوَحْدِ شِ وَلَهُوْ بِلْدَةِ الْفَتِيَانِ
فِي زَمَانٍ لَوْ كُنْتُ فِيهِ ضَجِيعِي غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفَرَّاشِ وَلَا تَدُ رَيْنَ إِلَّا الظُّنُونُ أَيْنَ مَكَانِي

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله¹ :

سَمِعِي وَطَرَفِي حَلِيفَاهَا عَلَى جَسَدِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي
لَوْ طَاوَعَانِي عَلَى الْآءِ أَكَلَمَهَا إِذَا لَقَضَيْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي

ومن إبرامه نعتَ الرسل قوله² :

فَبَعَثْتُ كَاتِمَةَ الْحَدِيدِ شِ رَفِيقَةً بِجَوَابِهَا
وَحُشِيَّةً خَرَّاجَةً مِنْ بَابِهَا
فَرَقْتُ فَسَهَّلْتُ الْمَعَا رِضَ مِنْ سَبِيلِ نِقَابِهَا

ومن تحذيره قوله³ :

[من مجزوء الوافر]

صوت

لَقَدْ أُرْسِلْتُ جَارِيتِي وَقُلْتُ لَهَا خُذِي حَدْرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزِينَبَ نَوَلِي عُمَرَكَ
فَإِنْ دَاوَيْتَ ذَا سَقَمٍ فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كَفَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَ نَ ، قَدْ خَبَّرْنِي خَبْرَكَ
وَقُلْنَ إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَدْرَكَ حَاجَةً هَجَرَكَ

غنى ابن سريج في هذه الأبيات ، ولحنه خفيف ثقيل . ولابن المكي فيها هزج بالوسطى .
وفيهما رملٌ ذكر ذكاء وجه الزرة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع ، وذكر
قُمَرِيَّ أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدثني عمي قال حدثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُروُوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .

2 ديوان عمر : 27 .

3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الرِّنا تورطاً ؛ وأنشد : [من مجزوء الوافر]
لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكَ
... الأبيات .

ومن إعلانه الحبَّ وإساراه قوله¹ : [من الطويل]
شكوتُ إليها الحبَّ أُعلنُ بعضه وأخفيتُ منه في الفؤادِ غليلاً
ومما أبطن به وأظهر قوله² : [من الرمل]
حُبُّكم يا آلَ لَيْلى قَاتِلِي ظهرَ الحبُّ بجسمي وبَطْنُ
ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُكُمْ غيرَ أنْ أَقْتَلَ نفسي أو أُجَنَّ
ومما ألحَّ فيه وأسَفَّ قوله³ : [من الخفيف]
ليت حَظِّي كحَظِّ العَيْنِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المَهْنَا
أو حديثٌ على خِلاءٍ يُسَلِّي ما يُجِنُّ الفؤادُ منها ومَنَا
كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٌ منكَ يوماً أنْ أراها قبلَ المماتِ ومَنَا
ومن إنكاحه النومَ قوله⁴ : [من الكامل]

صوت

حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامه ونظرتُ غَفْلَةً كاشحَ أن يغفلا
واستنكح النومَ الذين نخافهم وسقى الكرى بَوَابِهِمْ فاستثقلوا
خرجتُ نَاطِرٌ في الثيابِ كأنها أَيْمٌ يسيبُ على كَثِيبٍ أَهْيَلَا⁵
الغناء لمبعد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه الحانٌ لغيره وقد
نسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلِ أَنْ تَتَحَلَّلا

[من الخفيف] ومن جنِّهِ الحديثَ قوله :

1 ديوان عمر : 313 .

2 ديوان عمر : 414 .

3 ديوان عمر : 406 .

4 ديوان عمر : 312 .

5 الأيم : الحية .

وَجَوَارٍ مُسَاعِفَاتٍ عَلَى اللَّهِ
صَبِيدٍ لِلرِّجَالِ يَرشُقْنَ بِالطَّرِ
قَدَ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهُنَّ لِلَّهِ
فَاجْتَنَيْنَا مِنَ الْحَدِيثِ ثِمَاراً

وَمِنْ ضَرْبِهِ الْحَدِيثَ ظَهَرَهُ لِبَطْنِهِ قَوْلُهُ¹ :

فِي خَلَاءٍ مِنَ الْأَيْسِ وَأَمْنٍ
وَضَرْبُنَا الْحَدِيثَ ظَهراً لِبَطْنِ
فَمَكَّنْنَا بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ

وَمِنْ إِذْلالِهِ صَعَبَ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ² :

فَلَمَّا أَفْضْنَا فِي الْهَوَى نَسْتَبِينُهُ
شَكُوتُ إِلَيْهَا الْحَبِّ أَظْهَرُ بَعْضُهُ

وَمِنْ قَنَاعَتِهِ بِالرِّجَاءِ مِنَ الْوَفَاءِ قَوْلُهُ³ :

فِعْدِي نَائِلاً وَإِنْ لَمْ تُنْبِلِي

قَالَ الزَّبِيرُ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ⁴ :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بِنَائِلٍ

وَمِنْ إِعْلَانِهِ قَاتِلَهُ قَوْلُهُ⁵ :

فَبِعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي
قُولِي يَقُولُ تَحَرَّجِي فِي عَاشِي
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأَنْكُمُ
فُكِّي رَهَيْتَهُ فَلِنْ لَمْ تَفْعَلِي

فَاشْكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتَ وَسَلِّمِي
كَلِّفِي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتِمِّ
أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَهَ ذِي دَمٍ
فَاعْلِي عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَسَلِّمِي

[من الخفيف]

[من الطويل]

[من الخفيف]

[من الطويل]

[من الكامل]

1 ديوان عمر : 430 .

2 ديوان عمر : 313 .

3 ديوان عمر : 15 .

4 لم يرد البيت في ديوان كثير .

5 ديوان عمر : 364-365 .

فتضاحكت عَجَباً وقالت حَقُّه
علمي به ، والله يَغْفِرُ ذَنْبَهُ ،
طَرِفتُ يُنَازِعُهُ إلى الأدنى الهوى
ألا يُعَلِّمُنَا بما لم نَعْلَمِ
فيما بدا لي ، ذو هَوًى مُتَقَسِّمِ
وَيْتُ خُلَّةٍ ذِي الْوِصَالِ الْأَقْدَمِ¹

ومن تنفيذه النوم قوله² :

فلما فَقَدْتُ الصَّوْتَ منهم وأطفئتُ
وغابَ قُمْمِي كَتُّ أَرْجَو غُيُوبِهِ
وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الـ
مَصَابِيحُ شُبْتُ بِالْعِشَاءِ وَأَنُورُ
وَرَوْحَ رُغِيَانٍ وَنَوْمَ سَمُرٍ
حُبَابٍ وَرُكْنِي خَشْيَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ³

ومن إغلاقه رَهْنٌ مَنَى وإهداره قتلاً قوله⁴ :

فَكَمُ مِنْ قَبِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إِذَا لَفَّه مَنَى⁵
إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالذَّمَى

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مَقُولاً .

أخبرني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنِي عَمِّي ، وأخبرنا به عَلِيُّ بن صالح عن أَبِي هَفَّانَ عن إِسْحَاقَ عن رَجَالِهِ : أَنَّ عَمْرَ بنَ أَبِي رِيْعَةَ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَكْلُمُ امْرَأَةً فِي الطَّوْفِ ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهَا ابْنَةُ عَمِّي . قَالَ : ذَاكَ أَشْنَعُ لَأَمْرِكَ . فَقَالَ : إِنِّي خَطَبْتُهَا إِلَى عَمِّي ، فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا بِصَدَاقٍ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ ، وَأَنَا غَيْرُ مُطِيقٍ ذَلِكَ ، وَشَكَا إِلَيْهِ مِنْ حَبِيهَا وَكَلَّفَهُ بِهَا أَمْرًا عَظِيمًا ، وَتَحَمَّلَ بِهِ عَلَى عَمِّهِ . فَسَارَ مَعَهُ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ . فَقَالَ لَهُ : هُوَ مُمْلِقٌ ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُصْلِحُ بِهِ أَمْرَهُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : وَكَمْ الَّذِي تَرِيدُهُ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ لَهُ : هِيَ عَلَيَّ فَرُوحُهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ .

وقد كان عَمْرٌ حِينَ أَسَنَّ حَلْفَ الْأَ يَقُولُ بَيْتَ شَعْرِ إِلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً . فَانْصَرَفَ عَمْرٌ إِلَى مَنْزِلِهِ يَحْدِثُ نَفْسَهُ ؛ فَجَعَلَتْ جَارِيَةٌ لَهُ تَكَلِّمُهُ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهَا جَوَابًا . فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ لَكَ لَأَمْرًا ، وَأَرَأَيْكَ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ شَعْرًا ؛ فَقَالَ⁶ :

[من الوافر]

1 طرف : ملول .

2 ديوان عمر : 123 .

3 الخياض : الحية .

4 ديوان عمر : 18 .

5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقَّ أجله ولم يفلت .

6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تَقُولُ وَلَيْدِي لَمَّا رَأَيْتِي طَرِبْتُ وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينَا
أَرَاكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثَتْ شَوْقًا وَهَاجَ لَكَ الْهَوَى دَاءَ ذَفِينَا
وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو غَزَاءٍ إِذَا مَا شَتَّتَ فَارَقْتَ الْقَرِينَا
بِرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ فَشَاقَّكَ أَمْ لَقِيتَ لَهَا خَدِينَا
فَقُلْتُ شَكَا إِلَيَّ أَخٌ مُحِبٌّ كَبَعْضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بَهْدٍ فَذَكَّرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا
وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِينَا
وَكَمْ مِنْ خَلَّةٍ أَعْرَضَتْ عَنْهَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَكُنْتُ بِهَا ضَمِينَا
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا وَلَوْ جُنَّ الْفَوَادُ بِهَا جُنُونَا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد . الغناء لابن سريج رمل بالنصر عن عمرو والمهشامي . وفيه ثقل أول يقال : إنه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رمل .

[عمر وعروة]

أخبرني الحرُمي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عسيبة قال : ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يُسَير عروة بن الزبير ويُحادثه ، فقال له : وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك لجماله . فقال له عروة هو أمامك ؛ فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطَّاب ، أولسنا أكفأ كراماً شحاذتكَ ومسايرتك ؟ فقال : بلى بأبي أنت وأمِّي ! ولكني مُغرَى بهذا الجمال أتبعه حيث كان . ثم التفت إليه وقال ¹ :

إِنِّي امْرُؤٌ مُوَلَّعٌ بِالْحَسَنِ أَتْبَعُهُ لَا حَظَّ لِي فِيهِ إِلَّا لَذَّةُ النَّظَرِ
ثم مضى حتى لحقه فسار معه ، وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مُصْعَب بن عبد الله قال : رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالك بن أسماء بن خارجة . فجاءه فسلم عليه وقال له : يا ابن أخي ، ما زلت أتشوقك

منذ بلغني قولك : [من الخفيف]

إِنَّ لِي عِنْدَ كُلِّ نَفْحَةٍ بَسْتَا نِ مِنْ الزَّوْدِ أَوْ مِنْ الْيَاسَمِينَا
نَظْرَةً وَالتَّفَاتَةَ أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ فِيمَا يَلِينَا
ويروى : « . . . أترجى أَنْ تَكُونِي حَلَلْتِ . . . » .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني موالي لزياد قال : حَجَّ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ وَمَعَ امْرَأَتُهُ وَكَانَتْ جَمِيلَةً . فَبَيْنَا هِيَ تَطْلُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ عَرَضَ لَهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدِ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَأَتَاهَا أَبُو الْأَسْوَدِ فَعَاتَبَهُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُ : مَا فَعَلْتُ شَيْئًا . فَلَمَّا عَادَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ عَادَ فَكَلَّمَهَا ، فَأَخْبَرَتْ أَبَا الْأَسْوَدِ ؛ فَأَتَاهَا فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ مَعَ قَوْمٍ جَالِسٌ فَقَالَ لَهُ : [من الطويل]

وَأِنِّي لَيْثِيْنِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا وَعَنْ شَتَمِ أَقْوَامٍ خَلَّائِقُ أَرْبُعُ
حِيَاءٍ وَإِسْلَامٍ وَبُقْيَا وَأَنْتِي كَرِيمٌ وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
فَشَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنَّنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَتَظْلَعُ

فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عَمُّ لِكَلَامِهَا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ . ثُمَّ عَاوَدَ فَكَلَّمَهَا ، فَأَتَتْ أَبَا الْأَسْوَدِ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : [من الطويل]

أَنْتِ الْفَتَى وَابْنُ الْفَتَى وَأَخُو الْفَتَى وَسَيِّدُنَا لَوْلَا خَلَّائِقُ أَرْبُعُ
نُكُولُ عَنِ الْجَلِيٍّ وَقُرْبُ مِنَ الْخَنَا وَبُخْلٌ عَنِ الْجَدْوَى وَأَنْتِ تَبْعُ

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُشْتَمِلًا عَلَى سَيْفٍ . فَلَمَّا رَآهُمَا عَمْرُ أَعْرَضَ عَنْهُمَا ؛ فَتَمَثَّلَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَقْيِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي

[رأى الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العُمَرِيُّ قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال : قَدِمَ الْفَرَزْدَقُ الْمَدِينَةَ وَبِهَا رَجُلَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا صُوتَمٌ ، وَلِلْآخَرِ ابْنُ أَسْمَاءَ ، وَصِفَا لَهُ فَقَصْدُهُمَا ، وَكَانَ عِنْدَهُمَا قِيَانٌ ؛ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لِهَمَا : مَنْ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : أَنَا فِرْعَوْنُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا هَامَانَ . قَالَ : فَأَيْنَ مَزَلَكُمَا فِي النَّارِ حَتَّى أَقْصِدَكُمَا ؟ فَقَالَا : نَحْنُ جِيرَانُ الْفَرَزْدَقِ الشَّاعِرِ ؛ فَضَحِكَا وَنَزَلَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَتَعَاشَرَا مَدَّةً . ثُمَّ سَأَلَهُمَا أَنْ يَجْمَعَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فَعَعَلَا ، وَاجْتَمَعَا وَتَحَادَّثَا وَتَنَاشَدَا إِلَى أَنْ

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها¹ :
فَلَمَّا التَقَيْنَا وَاطْمَأَنَّتْ بِنَا النُّوَى
وَعُيِّبَ عَنَّا مَن نَخَافُ وَنُشْفِقُ
حتى انتهى إلى قوله :

فَقُمْنَا لَكَ يُخْلِنَا فَرَقَرْتُ
وَقَالَتْ أَمَا تَرَحَّمْنِي لَا تَدْعَنِي
مَدَامِيعُ عَيْنَيْهَا وَظَلَّتْ تَذْفُقُ
لَدَى غَزَلِ جَمِّ الصَّبَابَةِ يَخْرُقُ
فَقُلْنَا اسْكُنِي عَنَا فَلَسْتَ مُطَاعَةً
وَوَخَّلْنَا مِنَّا ، فَاعْلَمِي ، بِكَ أَرْقُ
فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية ؛ وودعه وانصرف .
[عمر وابن عياش]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه : أنه حج مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسنّ وشاخ ، فسلم عليه وسأله ثم قال له : أي شيء أحدثت بعدي يا أبا الخطاب ؟ فأنشده² :

يقولون : إني لست أصدقك الهوى
فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطْتُ
عَشِيَّةً لَا يَسْتَنْكِفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مُضْتً لَه
تَرْوَحُ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ
وَمَا النَّسْكَ أَسْلَانِي وَلَكِنْ لِلْهَوَى
وَأَنِّي لَا أَرَعَاكِ حِينَ أُغِيبُ
لَهْ أَعِيْنٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
سَفَاهَ امْرِئٍ مَنْ يَقَالُ لِبَيْبُ
بَعِيْنُ الصَّبَا كَسَلُ الْقِيَامِ لَعُوبُ
فَابَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
عَلَى الْعَيْنِ مَنِي وَالْفَوَادِ رَقِيبُ
[عمر والنسوة اللاتي واعدن بالعقيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحزمي قال : واعد عمر بن أبي ربيعة نسوة من قريش إلى العقيق ليتحدثن معه ؛ فخرج إليهن ومعه الغريض ، فتحدثوا ملياً ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمطره وبردين له حتى استترن من المطر إلى أن سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى أغني فيه ؛ فقال عمر³ :

[من المنقارب]

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألم تسأل المنزلَ المُفْرِجَا بياناً فيكْتُمَ أو يُخْبِرَا
ذَكَرْتَ به بعض ما قد شَجَاكَ وحَقٌّ لذي الشَّجْوِ أن يَذْكُرَا
مُقَامَ الحَبِيبِ قد ظَاهَرَا كِسَاءَ وَبُرْدَيْنِ أن يُمَطَّرَا¹
وَمَمَشَى الثَّلَاثِ به مُوهِنَا خرجن إلى زَائِرٍ زُورَا
إلى مجلسٍ من وراء القِيَابِ سَهْلِ الرُّبَا طَيْبٍ أَغْفَرَا
غَفَلَنَ عن اللَّيْلِ حتَّى بدتْ تَبَاشِيرُ من وَاضِحٍ أُسْفَرَا
فَقَمْنَنَ يُعْقِرْنَ آثَارَنَا بأَكْسِيَةِ الحَزْنِ أن تُقْفَرَا
مَهَاتَانِ شَيْعَتَا جُودُرَا أَسِيلاً مُقْلَدُهُ أَحْوَرَا²
وَقَمْنَنَ وَقَلْنَنَ لَوَ آنَ النَّهَارَ مُدَّ لَهُ اللَّيْلُ فَاسْتَخَرَا
قَضَيْنَا به بعضُ أَشْجَانَا وكان الحديثُ به أَجْدَرَا

ذكر ابن المكي أَنَّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر ، وذكر المشامي أَنَّ هذا اللحن للغريض ، وَأَنَّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : وَلَدَحْمَانٌ فِيهِ أَيْضاً ثَانِي ثَقِيلٌ آخَرُ بِالْوَسْطَى . وفيها لابن الهريذ خفيف رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبش : فِيهَا لِمَعْبِدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى . [عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَدِينِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ : حَضَرَ ابْنَ أَبِي عَتِيقٍ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِبْعَةٍ وَهُوَ يُنْشِدُ قَوْلَهُ³ :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِأَهْرَاقِ عَبْرَةٍ وَهِيَ غَرْبُهَا فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا
نُعْنِهُ عَلَى الْإِثْكَالِ إِنْ كَانَ ثَاكِلاً وَإِنْ كَانَ مَحْزُونًا وَإِنْ كَانَ مُقْصِداً⁴

قال : فَلَمَّا أَصْبَحَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ أَخَذَ مَعَهُ خَالِدًا الْخَرِيتَ وَقَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا إِلَى عُمَرَ . فَمَضَيْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : قَدْ جِئْنَاكَ لِمَوْعِدِكَ . قَالَ : وَأَيُّ مَوْعِدٍ بَيْنَنَا ؟ قَالَ : قَوْلُكَ : «فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا» . قَدْ جِئْنَاكَ ، وَاللَّهِ لَا نَبْرَحُ أَوْ تَبْكِي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ ، أَوْ نَنْصَرِفُ عَلَى أَنَّكَ

1 الحبيين في رواية : الحبين .

2 جُوذُرًا في ل : رِبْرًا .

3 ديوان عمر : 114 .

4 مقصداً في رواية «محزوناً» . والمقصود : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالدُ الجُرَيْت هو خالد بن عبد الله القسري .
[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا دَمَاز عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش
الهمداني قال : لقيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطاب ، أكلُ ما قلته في شعرك فعلته ؟
قال : نعم ، وأستغفر الله .
[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال : قدم عمر بن
أبي ربيعة الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحبُ إبليس ، وكان له قيتان
حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ؛ فقال في ذلك ¹ : [من الكامل]

يا أهلَ بابلَ ما نَفِسْتُ عليكمُ من عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ خِلَالٍ
ماءُ الفَرَاتِ وطِيبُ لَيْلٍ بَارِدٍ وَغِنَاءُ مُسْمِعَتَيْنِ لَابِنِ هِلَالٍ ²

[وصف عمر وغيره للرق]

أخبرني علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله : أنَّ عمر بن أبي ربيعة
والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصْطَلقي ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد ،
خرجوا يُشَيِّعُونَ بعض خلفاء بني أُمَيَّة . فلَمَّا انصرفوا نزلوا «بَسْرِفٍ» فلاح لهم برق ؛ فقال
الحارث : كلُّنا شاعر ، فَهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ . فقال أبو ربيعة : [من الطويل]

أَرَقْتُ لبرقٍ آخِرَ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاهِ ذُو الرُّبَا فَيُنَابِعُ ³

فقال الحارث : [من الطويل]

أَرَقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ ⁴ وَدَوْنَهُ مَهَامِيهِ مَوْمَاةٍ وَأَرْضٌ بَلَّاقِعُ ⁵

فقال المخزومي : [من الطويل]

يُضِيءُ عِضَاهُ الشُّوْكَ حَتَّى كَانَهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجْرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ

فقال عمر : [من الطويل]

1 ديوان عمر : 336 (م) .

2 مسمعتين في ل : محسنتين .

3 بنائع : موضع ببلاد هذيل .

4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .

5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيا رب لا آلو المودةً جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال : مالي وللبرق والشوك !
[تنمة خبر عمر ونسوة واعنده بالعقيق]

أخبرني عيسى قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالد القسري معه ، وهو خالد الخريث ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبَّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما ملياً ، فأخذتهم السماء ومطروا . ثم ذكر مثل خبر تقدم ، ورويته آتفاً عن هاشم بن محمد الخزاعي ، وذكر الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغريض . وحكى أنه قال في ذلك ¹ : [من الطويل]

صوت

أفي رَسْمِ دارٍ دَمْعُكَ الْمُتَرَقِّقُ سَفاهاً وما استنطاق ما ليس يَنْطِقُ
بِحَثِّ التَّقَى «جَمْعٌ» وَمُفْضَى «مُحَسَّرٌ» مَغَانِي قَدْ كَادَتْ عَلَى الْعَهْدِ تَخْلُقُ
ذَكَرْتُ بِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ زَمَانَا وَذَكَرُكَ رَسْمَ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ
مَقَاماً لَنَا عِنْدَ الْعِشَاءِ وَمَجْلِساً بِهِ لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُعَوِّقُ
وَمَمْشَى قَتَاةٍ بِالْكِسَاءِ تَكُنُّنَا بِهِ تَحْتَ عَيْنٍ بَرُقْهَا يَتَأَلَّقُ
يُلُّ أَعَالِي الثَّوْبِ قَطَرٌ وَتَحْتَهُ شِعَاعٌ بَدَا يُعْشِي الْعَيُونَ وَيُشْرِقُ
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ بَدَأَ أَوَّلَ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ إِذَا تَنَفَّرَقُ
ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متوالية من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل
بالسبابة والوسطى ، وذكر المشامي أنه من منحول يحيى .
[عمر وليل بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحرزمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مصعب قال : لقي عمر بن أبي ربيعة ليلي بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسب بها ، فقال : جعلني الله فداك ، عرّجني ها هنا أسمعك بعض ما قلته فيك . قالت : أو قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هات . فأنشدها ² : [من الوافر]

صوت

ألا يا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخِلْتِ فَنَوَّلِينَا

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقد حضرَ الرَّحِيلُ وِحَانًا مَنَا فِرَاقُكَ فَاَنْظُرِي مَا تَأْمُرِينَا
 فقالت : أَمَرَكُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ . ثُمَّ صَاحَتْ بِبَغْلَتِهَا وَمَضَتْ .
 وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثَقِيلٌ بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أَنَّهُ
 من مَنَحُولِهِ إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ . وفيهما رَمْلٌ طُنبُورِيٌّ لِأَحْمَدَ بْنِ صَدَقَةَ .
 أخبرني بذلك جَحْظَةُ عَنْهُ . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازِي قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ
 الْحَارِثِ الْخَزَّازُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : أَنَّ لَيْلَى هَذِهِ كَانَتْ جَالِسَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَرَأَتْ عُمَرَ بْنَ أَبِي
 رِيْعَةَ ، فَوَجَّهَتْ إِلَيْهِ مَوْئِلًا لَهَا فَجَاءَهَا بِهِ . فقالت له : يَا ابْنَ أَبِي رِيْعَةَ ، حَتَّى مَتَى لَا تَزَالُ سَادِرًا فِي
 حَرَمِ اللَّهِ تُشَبِّبُ بِالنِّسَاءِ وَتُشِيدُ بِذِكْرِهِنَّ ؟ أَمَا تَخَافُ اللَّهَ ؟ قال : دَعَيْنِي مِنْ ذَلِكَ وَاسْمَعِي مَا قُلْتُ .
 قالت وما قُلْتُ ؟ فَأَنْشَدَهَا الْأَبْيَاتَ الْمَذْكُورَةَ . فقالت له القول الذي تَقَدَّمَ أَنَّهَا أَجَابَتْهُ بِهِ . قال :
 وقال لها : اسْمَعِي أَيْضًا مَا قُلْتُ فَيْكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَهَا قَوْلَهُ¹ :

أَمِنَ الرَّسْمَ وَأُطْلَالَ الدَّمَنَ	عاد لي وَجَدِي وَعَاوَدْتُ الْحَزْنَ
إِنْ حُبِّي آلَ لَيْلَى قَاتِلِي	ظَهَرَ الْحُبُّ بِجِسْمِي وَبَطْنُ
يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ	فَاتَمَّرَ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٌ
الْتِمَسُ لِلْقَلْبِ وَصْلًا عِنْدَهَا	إِنْ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يُمْنٌ
عَلِقَ الْقَلْبُ ، وَقَدْ كَانَ صَحَا	مِنْ بَنِي بَكْرِ غَزَالًا قَدْ شَدَنُ ²
أَحْوَرَ الْمُقْلَةَ كَالْبَدْرِ ، إِذَا	قُلْدُ الدُّرِّ قَلْبِي مُمْتَحَنٌ
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتِكُمْ	غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أَجَنَ
خُلِقَتْ لِلْقَلْبِ مَنِي فِتْنَةً	هَكَذَا يُخْلَقُ مَعْرُوضُ الْفَتَنِ

قال : وفيها يقول³ :

إِنْ لَيْلَى وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَشْيَا	لَمْ تَدْعَ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيْبَا
هَاجِرٌ بَيْتَهَا لِأَنْفُسِي عَنْهَا	قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ عَيْبَا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن
 عائشة ثَقِيلٌ أَوَّلُ ، يقال : إِنَّهُ أَوَّلُ ثَقِيلٍ غَنَاهُ ، كَانَ يُغْنِي الْخَفِيفَ ، فَعَيَّبَ بِذَلِكَ فَصْنَعَ هَذَا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 شَدَنَ : شَبَّ .

3 لم يرد البيتان في ديوانه .

اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأبلِّي رَمْلٌ عن الهشامي .
والغناء في :

[من الخفيف]

إِنَّ لَيْلِي وَقَدْ بَلَغْتُ الْمَشِيْبَا

لاين سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو أيضاً .
وذكر إبراهيم أَنَّ فِيهِ لَحْنًا لَعَطَرِي ، ولم يجنسه .
[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خَلَفَ بن المَرْزَبَان قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن منصور الأَزْدِي قال حَدَّثَنِي
أَبِي عن الهيثم بن عدي قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفت من المُرْدَلِفَةِ يريد مِنِّي إذ
بَصُرَ بامرأة في رَحَالَةٍ فَفَتِنَ ، وسمع عَجُوزاً معها تُنَادِيهَا : يَا نَوَارُ اسْتَتِرِي لَا يَفْضَحُكَ ابْن
أَبِي ربيعة . فَاتَّبَعَهَا عمر وقد شَغَلَتْ قلبه حتى نزلت بِمِنِّي في مَضْرَبٍ قد ضُرِبَ لها ، فنزل
إلى جنب المَضْرَبِ ، ولم يزل يَتَلَطَّفُ حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أَحْسَنُ النَّاسِ وجهاً
وأَحْلَاهُ مَنَطِقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أَرَادَ معاودتها فتعذَّرَ ذلك عليه ،
وكان آخر عهده ؛ فقال فيها¹ :

[من الكامل]

صوت

وَصَبَا فَلَمْ تَتْرَكْ لَهُ عَقْلَا	عَلِقَ النَّوَارُ فُؤَادُهُ جَهْلَا
أَمْسَى الْفَوَادُ يَرَى لَهَا مِثْلَا	وَتَعَرَّضْتُ لِي فِي الْمَسِيرِ فَمَا
تَغْدُو بِسَقَطِ صَرِيْمَةٍ طِفْلَا ²	مَا نَعِجَّةٌ مِنْ وَحْشٍ ذِي بَقَرٍ
وَأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِهَا : مَهْلَا	بِالَّذِ مِنْهَا إِذْ تَقُولُ لَنَا
تَجْزِي وَلَسْتُ بِوَاصِلٍ حَبْلَا	دَعْنَا فَإِنَّكَ لَا مُكَارِمَةَ
أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلَا	وَعَلَيْكَ مَنْ تَبَلَ الْفَوَادُ وَإِنْ
فَدَعِيَ الْعِتَابَ وَأَحْدِثِي بَذْلَا ³	فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَحَبَّ مُكَلَّفٌ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خفيف ثَقِيلٌ بالسَّيْبَةِ في مَجْرَى الْبَنْصَرِ عن إِسْحَاق . وفيه ثَانِي ثَقِيلٌ
بِالْبَنْصَرِ يَنْسَبُ إِلَى ابْنِ عَائِشَةَ .

1 ديوان عمر : 334 .

2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : منتهها .

3 مكلف : مثل كلف .

[عمر وأمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العنكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : حجّت امرأة من بني أمية يقال لها أمّ الحكم ، فقدمت قبل أوّان الحجّ مُعتمِرة . فبينما هي تطوف على بَغلة لها إذ مرّت على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدثون وقد فرّعهم¹ طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم شارةً وعارضةً وبياناً ، فمالت إليهم ونزلت عندهم ، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت . ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيام الحجّ ، فرحلت إلى الشام . وفيها يقول عمر : [من المتقارب]

تَأَوَّبُ لَيْلِي بِنَصَبٍ وَهَمٍّ وَعَاوَدْتُ ذِكْرِي لِأُمِّ الْحَكَمِ²
فَبِتُّ أُرَاقِبُ لَيْلَ التَّمَامِ ، مَنْ نَامَ مِنْ عَاشِقٍ لَمْ أَتَمِّ
فَإِنْ تَرِنِي عَلَى مَا عَرَا ضَعِيفَ الْقِيَامِ شَدِيدَ السَّعَمِ
قَدْ كَتَبَ فَوْقَ الْفِرَاشِ مَا إِنْ تُقِلُّ قِيَامِي قَدَمِ
بَأَنَسَةٍ طَيِّبٍ نَشْرَهَا هَضِيمِ الْحَشَا عَذْبَةَ الْمُبْتَسَمِ

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت : [من المتقارب]

صوت

وَفَتَيَانِ صَدَقِ صَبَاحِ الْوَجُو هَ لَا يَجِدُونَ لَشَيْءٍ أَلَمَ³
مِنْ آلِ الْمُغِيرَةِ لَا يَشْهَدُونَ عِنْدَ الْمَجَازِرِ لَحْمَ الْوَضَمِ⁴

الغناء في هذه الأبيات للمالك خفيف ثقيل الثاني بالنصر وهو الذي يقال له الماخوري ، عن عمرو . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودحمان . وفيه لابن المكيّ خفيف رمل .

[حديث عمر مع سكينه بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدثنا أبو هَفَّانَ عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيري قال : اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف ، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه ، فتشوّقن إليه وتمنّينّه ؛ فقالت سَكِينَةُ بنت الحسين عليهما السلام : أنا لَكُنَّ به . فأرسلت إليه رسولاَ وواعدته الصّوّرين ، وسَمّت له الليلة والوقت ، وواعدت

1 فرعهم : زاد عليهم طولاً .

2 النصب : الغناء . لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

3 ديوان عمر : 389 .

4 الوضم : خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم ؛ ولحم الوضم : لحم يقطع للميسر ، وهو يفرق على الفقراء .

صواحباتها ؛ فوافاهنَّ عمر على راحلته ، فحدّثهنَّ حتى أضاء الفجر وحنَّ انصرافهنَّ . فقال
لهنَّ : والله إنِّي ل محتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أحلّط
بزيارتكنَّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال¹ :

صوت

قالت سَكِينَةُ والدموعُ ذَوَارِفٌ منها على الخَدَّيْنِ والجلْبَابِ
ليستَ المُعِيرِي الذي لم أَجْزِهِ فيما أطالَ تَصِيدِي وِطْلَابِي
كانتَ تردُّ لنا المُنَى أُنَامَنَا إذ لا نُلَامُ على هَوَى وَتَصَالِي
خَبِرْتُ ما قالتَ فَبِتُّ كَأَنَّمَا تَرْمِي الحَشَا بِنَوَافِذِ النُّشَابِ
أُسْكِنُ ما ماءُ الفَرَاتِ وِطْيُهُ مِنِّي على ظِلْمٍ وَقَدَّ شَرَابِ
بِالَّذِ مَلَكَ وَإِنْ نَأَيْتَ وَقَلَمَا ترعى النساءُ أَمَانَةَ الغِيَابِ
الغناء للهِذَلِيِّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهشامي . وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن
حَبَشٍ . قال وقال فيها :

صوت

أَحِبُّ لِحَبْلِكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَفِيّاً لِنَفْسِي ولا صاحِبَا
وَأَبْذُلُ نَفْسِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأَعْتَبُ مَنْ جَاءَ كَم عَائِلَا
وَأَرْغَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبَا
ولو سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ مِنْ الأَرْضِ وَاعْتَزَلْتُ جَانِبَا
لِيَمَمْتُ طِبَّتَهَا ، إِنَّنِي أَرَى قُرْبَهَا العَجَبَ العَاجِبَا
فما ظَبِيَّةٌ مِنْ ظِلَاءِ الأَرَا لِكَ تَقْرُو دَمِيثَ الرُّبِيِّ عَاشِبَا²
بأَحْسَنَ مِنْهَا عَدَاةَ الغَمِيمِ وَقَدْ أَبَدَتْ الخَدَّ والحَاجِبَا³
عَدَاةٌ تَقُولُ على رِقْبَةٍ لَخَادِمِهَا : يَا أَحْسِي الرَّاكِبَا
فَقَالَتْ لَهَا : فِيمَ هَذَا الكَلَامُ وَأَبَدْتُ لَهَا عَابِساً قَاطِبَا
فَقَالَتْ كَرِيمٌ أَتَى زَائِراً يَمُرُّ بِكُمْ هَكَذَا جَانِبَا

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .

2 يقرؤ : يتنَّبَع ، ودميث الربي : السهل اللين منها .

3 الغميم : اسم موضع بين مكّة والمدينة .

شريفٌ أتى رُبْعًا زائراً فأكْرَهُ رجعتَه خائباً

[بغوم وأسماء]

غنى في الأوّل والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكيّ، ولحنه رملٌ من رواية المشاميّ: وحَدَّثني وكيعٌ وابن المزيان وعميُّ قالوا حَدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حَدَّثنا إبراهيم بن المنذر الحراميُّ قال حَدَّثنا محمد بن معنٍ الغفاريُّ قال حَدَّثني سُفيان بن عُيينة قال: بينا أنا ومِسْعَرُ بن كِدَامٍ مع إسماعيل بن أميّة ببناء الكعبة إذا بعجوزٌ قد طلعت علينا غوراء متكئةً على عصا يُصَفِّقُ أحدَ لَحْيَيْها على الآخر، فوقفت على إسماعيل فسَلَّمْتُ عليه، فردّ عليها السلام، وساءلها فأحْفَى¹ المسألة، ثم انصرفت. فقال إسماعيل: لا إله إلا الله؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها؟ ثم أقبل علينا فقال: أتعرفان هذه؟ قلنا: لا والله، ومن هي؟ قال: هذه «بُغُوم» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها:

حَبِّذا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا ۚ وَعَيْصُ يَكْنُنا وَخَلَاءُ²

أنظرا كيف صارت، وما كان بمكة امرأة أجمل منها. قال: فقال له مِسْعَر: لا وربّ هذه البَيْتَةِ، ما أرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قطُّ. وفي هذه الأبيات يقول عمر³: [من الخفيف]

صوت

صَرَمْتُ حَبْلَكَ الْبُغُومُ وَصَدَّتْ	عَنْكَ فِي غَيْرِ رَيْبَةٍ أَسْمَاءُ
وَالْعَوَائِي إِذَا رَأَيْتُكَ كَهَلًا	كَانَ فِيهِنَّ عَنْ هَوَاكَ التَّوَاهُ
حَبِّذا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا	ۚ وَعَيْصُ يَكْنُنا وَخَلَاءُ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَةَ الْجَزْلِ لَمَّا	أَخْضَلْتُ رِبْطِي عَلَى السَّمَاءِ ⁴
لَيْتَ شِعْرِي، وَهَلْ يُرَدُّنَ لَيْتٌ،	هَلْ لِهَذَا عِنْدَ الرَّبَابِ جِزَاءُ
كُلُّ وَصَلٍ أُمْسَى لَدَيَّ لِأَنْتِ	غَيْرِهَا وَصَلُهَا إِلَيْهَا أَدَاءُ
كُلَّ خَلْقٍ وَإِنْ دَنَا لَوْصَالٍ	أَوْ نَأَى فَهُوَ لِلرَّبَابِ الْفِدَاءُ
فَعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُبَيِّلِي	إِنَّمَا يَنْفَعُ الْحَبَّ الرَّجَاءُ

1 أحْفَى المسألة: بالغ وأطال في السؤال.

2 العيص: الشجر الكثيف.

3 ديوان عمر: 15.

4 الجزل: اسم موضع قرب مكة.

لمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفٌ ثَقِيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ وذنانيرَ ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصعب عن ذهبية مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أُمّة الواحد أو أُمّة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُبْد¹ الذي في بيت سُكينة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنيان ، يقال لإحدهما البُغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أُمّةُ المجيد بنت عمر تحت محمد بن مُصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُبْد هذه الأبيات . فلَمّا انتهى إلى قوله :

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزَلِ لما أُخْضِلْتُ رِطْطِي عَلَيَّ السماءُ

خرجتِ البُغومُ ثم رجعتُ إليه فقالت : ما رأيتُ أكْذَبَ منك يا عمر ! تزعم أنك بالِجَزَلِ وأنت في جُبْد محمد بن مصعب ، وتزعم أن السماءَ أُخْضِلْتُ رِطْطَكَ وليس في السماء قَرَعَةٌ² ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأْن .

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المُسيبي ومحمد بن سَلَام أن عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله :

حَبَّذَا أَنْتِ يَا بَغُومُ وَأَسْمَا ۖ وَعَيْصُ يَكُنْنا وَخِلاءِ

فقال له : ما أبقيت شيئاً يُمَنِّى يا أبا الخطَّاب إلا مِرْجَلاً يُسَخِّنُ لكم فيه الماء للغُسل .

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المَرْزبان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : حَجَّتْ أُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ مُرْوان بن الحَكَم ، فَلَمَّا قَضَتْ نُسُكَهَا أَتَتْ عَمْرَ بْنَ أَبِي ربيعة وقد أَحْفَتْ نفسها في نِسوة ، فحدثها مَلِيًّا . فَلَمَّا انصرفت أَتَتْها عَمْرُ رَسُولاً عَرَفَ موضعها وسأل عنها حتى أَثْبَتَهَا ؛ فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إِيَّاهَا . فقالت : نَشَدْتُكَ اللهُ أَنْ تَشْهَرَنِي بِشِعْرِكَ ؛ وَبَعَثْتَ إِلَيْهِ بِالْفِ دِينَار ، فَقَبِلَهَا وَابْتاعَ بِهَا حُلًّا وطيباً فأهداه إِيَّاهَا ، فَرَضَتْهُ . فقال لها : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلِيهِ لِأَنْهِيَنَّهُ ، فَيَكُونُ مشهوراً ؛ فَقَبِلَتْهُ وَرَحَلَتْ . فقال فيها³ :

1 الجُبْد : بناء مرتفع مستدير .

2 القرع : ما تنثر من الغيم .

3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ ابْتِكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تَهَامَةٍ الْأَوْطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ صَاحِحًا سَلِمَا فُفْوَادِي بِالْخَيْفِ أُمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الدَّهْرِ كَانَ خَتْمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمَيْنِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

الغناء لابن مُحَرَّرٍ ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالخِنْصَرِ في مجرى الوُسْطَى عن إسحاق ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسْطَى عن ابن المَكِّي . وفيه لُذْكَاءُ وَجْهِ الرُّزَّةِ الْمُعْتَمِدِيَّ ثَقِيلِ أَوَّلِ من جَيِّدِ الغناء وَاخِرِ الصَّنْعَةِ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ طَبَقَتِهِ وَأَهْلِ صَنَعَتِهِ مِثْلُهُ . وَأَنْشِدَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ قَوْلَ عَمْرِ هَذَا ، فَقَالَ : اللَّهُ أَرْحَمُ بَعَادِهِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ مَا سَأَلْتَهُ لِيَتِمَّ لَكَ فَسَقْتُكَ .

[عمر وحَمِيدَةُ جَارِيَةُ ابْنِ تَفَاحَةَ]

أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمَرْزِيَانِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْقَرَشِيُّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَزْدِيِّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الرِّوَاةِ : أَنَّ عَمَرَ كَانَ يَهْوَى حَمِيدَةَ جَارِيَةَ ابْنِ تَفَاحَةَ ؛ وَفِيهَا يَقُولُ¹ : [مَنْ الْخَفِيفُ]

صوت

حُمِّلَ الْقَلْبُ مِنْ حُمِيدَةٍ ثَقَلَا إِنَّ فِي ذَاكَ لِلْفُؤَادِ لَشُغْلَا
إِنْ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتَ فَقُولِي حَمْدُ خَيْرًا وَاتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلَا
وَصَلِّينِي فَأُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي لَسْتُ أَصْفِي سِوَاكَ مَا عَشْتُ وَصَلَا

الغناء لمُعَبِدٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ بِالْوُسْطَى عَنْ يَحْيَى الْمَكِّيِّ وَالْهَشَامِيِّ . وَفِيهَا يَقُولُ² : [مَنْ الْكَامِلُ]

صوت

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمِيدَةَ زَاغُرُ أَمْ أَنْتَ مُدَكِّرُ الْحَيَاءِ فَصَابُرُ
فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي حَمِيدَةَ مُوجِعُ وَالذَّمْعُ مُنَحَدِرُ وَعَظْمِي فَاتِرُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَتْنِي قَبْلَ الَّذِي فَعَلْتُ عَلَى مَا عِنْدَ حَمْدَةِ قَادِرُ
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْ حُمِيدَةٍ خُلْتِي بَيْنَ وَكُنْتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَادِرُ

الغناء لمُعَبِدٍ خَفِيفٍ ثَقِيلٍ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَصْرِ عَنْ إِسْحَاقَ .

1 ديوان عمر : 337 .

2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جوارى بني أمية في موسم الحج]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال : أدركتُ مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حدثني عن عمر بحدث غريب ؛ فقال : نعم ، كنتُ معه ذات يوم ، فاجتاز به نسوة من جوارى بني أمية قد حَجَجْنَ ، فتعرضَ لهنَّ وحادثهنَّ وناشدهنَّ مدةً أيام حجَّهنَّ ؛ ثم قالت له إحدىهنَّ : يا أبا الخطاب ، إنا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرة تكون عندك تذكرنا بها . فسُرَّ بذلك ووجهَ بي إليهنَّ في السَّحَرِ ، فوجدتهنَّ يركبن ، فقلنَّ لعجوزٍ معهنَّ : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي اتحفناه بها . فأخرجت إليَّ صندوقاً لطيفاً مقللاً مختوماً ؛ فقلنَّ : ادفعه إليه وارتلنَّ . فجننته به وأنا أظنُّ أنه قد أودِعَ طيباً أو جوهرأ . ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضاربِ (وهي الكيرنجات)¹ ، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مُجَانِ مَكَّةَ ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أميرُ مَكَّةَ ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحك وقال : تماجنَّ عليَّ ونَفَذَ² لهنَّ . ثم أصلح مَأْذِبَةً ودعا كلَّ واحدٍ منهنَّ له اسم في تلك المضارب . فلما أكلوا واطمأنوا للجلوس قال : هاتِ يا غلام تلك الوديعة ، فجننته بالصندوق ؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه . فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فَرَعَ وقال : ما هذا أخزأك الله ! فقال له : رويداً ، اصبر حتى ترى . ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرَّقها فيهم ؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي . فقالوا له : وَجَّكَ ! ما هذا ؟ فحدثهم بالخبر فعَجِبُوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهرأ طويلاً ويضحكون منه .

[قومي تصدي له]

قال وحدثني هذا المولى قال : كنت مع عمر وقد أَسَنَّ وَضَعُفَ ، فخرج يوماً يمشي متوكفاً على يدي حتى مرَّ بعجوزٍ جالسة ، فقال لي : هذه فلانة وكانت إلفاً لي ، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها³ : [من المنسرح]

صوت

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمْمِثِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ

1 الكيرنجات : ما كان في شكل عضو الرجل .

2 نفذ لمن التماجن : أي جاء نافذاً مصيباً .

3 ديوان عمر : 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات .

بَيْضاً حِسَاناً نَوَاعِمًا قُطِفَا
قَالَتْ لِتَرْبٍ لَهَا تُلَاظِفُهَا
يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقَرِ
لِنَفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عَمْرِ
ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتِ فِي خَفَرٍ
ثُمَّ اسْبِطْرَتِ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي¹
بَلْ يَا خَلِيلِي عَادَنِي ذِكْرِي
بَلْ اعْتَرَبَنِي الْهُمُومُ بِالسَّهْرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها
لِسنانِ الكاتب رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأبجر خفيف رملٍ بالوسطى عنه .
وفي : [من المنسرح]

قالت لتربٍ لها تُلَاظِفُهَا

لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالبصر عن الهشامي ، وفيه للدلال خفيفٌ ثقيلٌ عنه أيضاً .
ولأبي سعيد مولى فائِدٍ في الأول والثاني ثقيل أولٌ عن الهشامي أيضاً ، ومن الناس من ينسب لحنه
إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .
[ملأ فمه ماء ومجّه في وجوههن]

قال : وجلس معها يحدّثها ، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطاب
عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتن تشتهيْن أن تزيّنه فتعالين . فجتن إلى مضربٍ قد حُجِرَ به
دون بابها فجعلن يثقبينه ويضعن أعينهن عليه يُصِرْنَ . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب
أحبُّ إليك ؟ قال : الماء . فأتني بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهن في
وجوههن من وراء الحاجز ؛ فصاح الجوّاري وتهاربن وجعلن يضحكن . فقالت له العجوز :
ويلك ! لا تدع مُجُونَك وسفَهك مع هذه السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما
سمعت من حرّ كاتهن أن فعلت ما رأيت .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني
قال حدّثني علي بن طريف الأسدي قال : سمعتُ أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف
بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم
أتاها فحدّثها وناشدها وناشدته وخطبها . فقالت : إنّ هذا لا يصلح هاهنا ، ولكن إن جئتني
إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوجتك . فلمّا ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

1 اسبَطَرَت : أَسْرَعَتْ .

إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً أُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَا هِيَ ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ فَرَكِبَ نَجِييًّا لَهُ وَأَرْكَبَهُ نَجِييًّا آخَرَ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَا يُصْلِحُهُ ، وَسَارَ لَا يَشْكُ السَّهْمِيَّ فِي أَنَّهُ يَرِيدُ سَفَرَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ؛ فَمَا زَالَ يَحْفَدُ¹ حَتَّى لَحِقَ بِالرُّفْقَةِ ، ثُمَّ سَارَ بِسِيرِهِمْ يُحَادِثُ الْمَرْأَةَ طَوْلَ طَرِيقِهِ وَيُسَايِرُهَا وَيَنْزِلُ عِنْدَهَا إِذَا نَزَلَتْ حَتَّى وَرَدَ الْعِرَاقَ . فَأَقَامَ أَيَّامًا ، ثُمَّ رَاسَلَهَا يَتَنَجَّرُهَا وَعِنْدَهَا ؛ فَأَعْلَمَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ مَتَزَوَّجَةً ابْنَ عَمٍّ لَهَا وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَادًا ثُمَّ مَاتَ وَأَوْصَى بِهِمْ وَبِمَالِهِ إِلَيْهَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ ، وَأَنَّهَا تَخَافُ فُرْقَةَ أَوْلَادِهَا وَزَوَالَ النِّعْمَةِ ؛ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَتْ ؛ فَزَادَهَا عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى مَكَّةَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا² :

صوت

نَامَ صَحْبِي وَلَمْ أَتُمْ	مِنْ خِيَالِ بَنَى أَلَمَ
طَافَ بِالرَّكِبِ مَوْهِنًا	بَيْنَ خَاخٍ إِلَى إِضْمٍ ³
ثُمَّ تَبَهَّتْ صَاحِبًا	طَيِّبَ الْخِيَمِ وَالشَّيْمِ
أُرِيحِيًّا مُسَاعِدًا	غَيْرَ نَكْسٍ وَلَا بَرَمٍ
قُلْتُ يَا عَمْرُو شَفَّنِي	لَا عَجُ الْحُبِّ وَالْأَلَمِ
أَيْتَ هِنْدًا فَقُلْ لَهَا	لَيْلَةَ الْخَيْفِ ذِي السَّلَمِ

الغناء لمالك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العباس الرُّبَيْعِيَّ خفيف رَمَلٍ من رواية عمرو بن بَازَّةَ ، وذكر حبش أن لَحْنَ عبد الله بن العباس رَمَلٌ آخر عن الهشامي .

[شهادة جرير في شعر عمر ثلثة |

أخبرني محمد بن خلف قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ جَرِيرٌ إِذَا أَتَشِدَّ شَعَرَ عَمْرٍو بِنِ أَبِي رُبَيْعَةَ قَالَ : شَعْرُ تِيهَامِيٍّ إِذَا أُنْجِدَ وَجَدَ الْبَرْدَ ، حَتَّى أَتَشِدَّ قَوْلُهُ :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَكِي وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيُخْصِرُ

... الأبيات . فقال : مَا زَالَ هَذَا يَهْدِي حَتَّى قَالَ الشَّعْرَ .

1 يخفد : يسعى ويسرع .

2 ديوان عمر : 395 .

3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العتيبي عن أبي زيد الزبيري عن عثمان بن إبراهيم الخاطبي قال : أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرت حتى تفرّق القوم ، ثم دنوت منه ومعّي صاحب لي ظريف وكان قد قال لي : تعال حتى نهيجه على ذكر الغزل ، فنظر هل بقي في نفسه منه شيء . فقال له صاحبي : يا أبا الخطاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العذري وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول :

لو جُدُ بالسيف رأسي في مودّتها لمرّ يهوي سريعاً نحوها رأسي¹

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : والله درّ جنادة العذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك ؟ فقلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينك سلمى بعد معفاها فبت مستنهباً من بعد مسراها

وقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا إن كنت تمثالها أو كنت إياها

من حيث أتمنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينعاها

كيما أقول فراق لا لقاء له وتضمير النفس بأساً ثم تسلاها

ولو تموت لراعنتي وقلت ألا يا بؤس للموت لبت الموت أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيّجتما على ساكناً ، وذكرتهما ما كان عني غائباً ، ولأحدثكما حديثاً خلواً :

[عمر وهند بنت الحارث المريّة]

بينما أنا منذ أعوام جالس ، إذ أتاني خالد الخريّ ، فقال لي : يا أبا الخطاب ، مرّت بي أربع نسوة قبيل العشاء يردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهنّ في بدو ولا حصر ، فيهنّ هند بنت الحارث المريّة ، فهل لك أن تأتيهنّ متكرراً فتسمع من حديثهنّ وتتمعّن بالنظر إليهنّ ولا يعلمنّ من أنت ؟ فقلت له : ويحك ، وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود [ثم اتّهنّ فسلم عليهنّ] ، فلا يشعرنّ إلا بك قد هجّمت عليهنّ . ففعلت ما قال ، وجلست على قعود ، ثم أتيتهنّ فسلمت عليهنّ ثم وقفت بقربهنّ . فسألنني أن أشدهنّ وأحدثهنّ ، فأشدتّهنّ

1 مختلف في نسبه . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجية بن جنادة العذري .

لَكثيرٌ وَجَميلٌ والأحوصُ وَنَصيبٌ وَغيرهم . فقلن لي : وَيَحْك يا أعرابي ؛ ما أَمْلَحَكَ وَأظرفَكَ !
لو نزلت فَتَحَدَّثْتَ معنا يوماً هذا ؛ فإذا أُمْسِيتَ انصرفت في حفظ الله . قال : فَأَنْتُ بَعيري ثُمَّ
تَحَدَّثْتَ معهنَّ وَأَنْشَدْتُهُنَّ ، فَمُسَرَّرُنَّ بِي وَجَدَلُنَّ بَقُرْبِي وَأَعْجَبَهُنَّ حَدِيثِي . قال : ثُمَّ إِنَّهُنَّ تَغَامَزْنَ
وَجَعَلَ بَعْضُهُنَّ يَقُولُ لِبَعْضٍ : كَأَنَّا نَعْرِفُ هَذَا الْأَعْرَابِي ؛ ما أَشْبَهَهُ بِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْحَةَ ! فَقَالَتْ
إِحْدَاهُنَّ : فَهُوَ وَاللهِ عَمْرٌ ، فَمَدَّتْ هُنْدٌ يَدَهَا فَاتَزَعَتْ عِمَامَتِي فَأَلْقَتْهَا عَنْ رَأْسِي ثُمَّ قَالَتْ لِي : هِيَ
بِاللهِ يا عَمْرُ ؛ أَتَرَكَ خَدَعَتْنَا مِنْذُ الْيَوْمِ ، بَلْ نَحْنُ وَاللهِ خَدَعْنَاكَ وَاحْتَلْنَا عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ، فَأَرْسَلَنَاهُ إِلَيْكَ
لِتَأْتِيَنَا فِي أَسْوَأِ هَيْئَةٍ وَنَحْنُ كَمَا تَرَى . قال عَمْرُ : ثُمَّ أَخَذْنَا فِي الْحَدِيثِ ؛ فَقَالَتْ هُنْدُ : وَيَحْك يا عَمْرُ ؛
اسْمِعْ مِنِّي ، لَوْ رَأَيْتَنِي مِنْذُ أَيَّامٍ وَأَصْبَحْتَ عِنْدَ أَهْلِي ، فَأَدْخَلْتَ رَأْسِي فِي جَيْبِي ، فَظَنَنْتُ إِلَى حِرِّي
فَإِذَا هُوَ مِلٌّ الْكَفِّ وَمُتَيْئَةُ الْمُتَمَنِّي ، فَنَادَيْتُ يا عُمَرَاهُ يا عُمَرَاهُ ، قال عَمْرُ : فَصَبَحْتُ يا لَبِيكَا يا
لَبِيكَا¹ ؛ ثَلَاثًا وَمَدَدْتُ فِي الثَّلَاثَةِ صَوْتِي ، فَضَحَكْتُ . وَحَادِثُهُنَّ سَاعَةً ، ثُمَّ وَدَّعْتُهُنَّ وَانْصَرَفْتُ .
فَذَلِكَ قَوْلِي² :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالمُتَرَبِّعَا	يَبْطُنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلَقَعَا
إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْمُغَمَّسِ بَدَلْتُ	مَعَالِمُهُ وَثَلَاً وَنُكْبَاءَ زَعَزَعَا
لَهْنِدٍ وَأَتْرَابٍ لَهْنِدٍ إِذِ الْهَوَى	جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَّصِدَعَا
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ	كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّيحَ الْمُشْعَشَعَا ³
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى	لَوْاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَوْضِعَا ⁴

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشامي ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن
جامع وابن عبادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء : [من الطويل]

صوت

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ	وَجَوْهَ زَهَابِهَا الْحَسَنُ أَنْ تَتَقَنَّأَ
تَبَالَهْنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتَنِي	وَقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا ⁵

1 ل : يا للبيك للبيك (مع تصحيف) .

2 ديوان عمر : 227-229 .

3 كما في ل : إذا .

4 موضعا في ل : مطمعا .

5 في رواية : لما عرفني . أكل : تعب ؛ أوضعا : أسرع .

وَفَرَّسَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيْمٍ يَقيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعَا
 الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عَنِ الْمَشَامِيِّ . وفيه لابن جامعٍ لَحْنٌ مِنْ كِتَابِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرُ مَجْنَسٍ .
 [هذه الأبيات مقرونة بالأولى ، والصنعة في جميعها مختلفة ، يُغْنِي الْمَغْنُونُ بَعْضُ هَذِهِ وَبَعْضُ
 تِلْكَ وَيَخْلُطُونَهُمَا ، وَالصَّنْعَةُ لِمَنْ قَدَّمْتُ ذِكْرَهُ] . وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، ذَكَرْتُ مِنْهَا مَا فِيهِ
 صَّنْعَةٌ .
 وَمَا قَالَهُ فِي هِنْدٍ هَذِهِ وَغَنَّى فِيهِ قَوْلُهُ ¹ :

[من الطويل]

صوت

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزَلَ الْخَلْقَ بِرُقَّةٍ ذِي ضَالٍ فَيُخَيِّرَ إِنْ نَطَقَ ؟²
 ذَكَرْتُ بِهِ هِنْدًا فَظَلْتُ كَأَنِّي أَخُو نَشْوَةٍ لَأَقَى الْحَوَانِيتَ فَاغْتَبَقَ
 الغناء لِعَطْرِدٍ وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ
 إِسْحَاقٍ . وَفِيهِ لِمَعْبِدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنِ الْمَشَامِيِّ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِلْغَرِيضِ ثَانِي ثَقِيلٍ
 بِالْوَسْطَى . وَمِنْهَا ³ :

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ مَهِيضًا رَاجَعَ الْحُبَّ الْغَرِيضًا⁴
 وَأَجَدَّ الشَّوْقَ وَهْنًا أَنْ رَأَى بَرْقًا وَمِيضًا
 ثُمَّ بَاتَ الرُّكْبُ نُورًا مَا وَلَمْ أَطْعَمْ غُمُوضًا
 ذَاكَ مِنْ هِنْدٍ قَدِيمًا تَرَكُهَا الْقَلْبَ مَهِيضًا⁵
 وَتَبَدَّدَتْ ثُمَّ أَبْثَدَتْ وَاضِحَ اللَّوْنِ نَحِيضًا⁶
 وَعَذَابَ الطَّعْمِ غُرًّا كَأَقَاجِي الرَّمْلِ يَبِيضًا
 الغناء لابن مُحَرَّرٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ . وَفِيهِ لِحَكَمٍ هَزَجٌ بِالْوَسْطَى
 عَنْ عَمْرٍو ، وَقِيلَ : إِنَّهُ يَمَانٍ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ لَحْنَ ابْنِ مُحَرَّرٍ إِلَى ابْنِ مِسْجَحٍ .

1 ديوان عمر : 278 .

2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .

3 ديوان عمر : 221 .

4 مهيضاً في رواية : «مريضاً» .

5 تركها في ل : رجعها .

6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها¹ : [من الطويل]

صوت

أَرَبْتُ إِلَى هِنْدٍ وَتَرَبَّنَ مَرَّةً
[لَتَعْرِيجَ يَوْمٌ أَوْ لَتَعْرِيسَ لَيْلَةً
فَقُلْنَ لَهَا لَوْلَا ارْتِقَابُ صَحَابِيَةٍ
وَقَالَتْ فَنَاءَ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّهَا
لَهْنٌ ، وَمَا شَاوَرْنَاهَا ، لَيْسَ مَا أَرَى
فَقُلْنَ لَهَا لَا شَبَّ قَرْنُكَ فَافْتَحِي
وَهِيَ أَيْبَاتٌ . الغناء للغريض وَلَحْنُهُ مِنَ الْقَدَرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخَصْرِ فِي
مَجْرَى الْبِنَصْرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ ابْنُ الْمَكِّي أَنَّهُ لَابَنُ سَرِيحَ . ومنها⁴ : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمَّتْ بِأَصْحَابِي وَقَدْ هَجَعُوا
فَقُلْتُ مَنْ ذَا الْمُحَيِّيِّ وَانْتَبَهْتُ لَهُ
أَلَّا انْزَلُوا نَعِمَتَ دَارٍ بِقَرْبِكُمْ
فُبَدِّلَ الرِّبْعُ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهُ
الغناء لابن سريح رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليونس خفيف ثقيل .
وفيه لأبي⁵ فارة هَزَجٌ بِالْبِنَصْرِ . وأول هذه القصيدة التي فيها ذكرُ هند قوله⁶ : [من البسيط]

يَا صَاحِبِي قَفَا نَسْتَخِيرُ الدَّارَا
وَقَدْ أَرَى مَرَّةً سِرْبًا بِهَا حَسَنًا
فِيهِنَّ هِنْدٌ وَهِنْدٌ لَا شَبِيهَ لَهَا
أَقُوتُ وَهَاجَتْ لَنَا بِالنَّعْفِ تَذَكُّارَا
مِثْلَ الْجَادِرِ لَمْ يُمَسِّنْ أَبْكَارَا
فِيَمِنْ أَقَامَ مِنَ الْأَحْيَاءِ أَوْ سَارَا

1 ديوان عمر : 234 .

2 أَرَبْتُ : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .

3 لَا شَبَّ قَرْنُكَ : لَا كَبُرَتْ .

4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ل : لابن .

6 ديوان عمر : 142-143 .

تقول لَيْتَ أبا الخَطَّابِ وافقنا
فلم يَرُعْهُنَّ إِلَّا العَيْسُ طالعةً
وفارسٌ يحمل البازي فقلن لها
لما وَفَّقْنَا وَعَنَّا رَكابِنَا
كي تَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشَدَ أشعارا
بالقوم يَحْمِلُنَ رُكبانًا وأكوارا¹
ها هُمُ أولاء وما أَكْثَرَنَ إكثارا
بُدِّلَنَ بالعرفِ بعد الرجْعِ إنكارا²
ومنها³ :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرُبْعَ عَلَى الطَّلَلِ وَمَغْنَى الْحَيِّ كَالخِلَلِ
هَنَدٍ إِنْ هَنداً حُبُّهَا قَدْ كَانَ مِنْ شُعْلٍ
[فلَمَّا أَنْ عَرَفْتُ الدَا رَعِبْتُ لِرِسْمِهَا جَمَلٍ
وَقَلْتُ لَصُحْبَتِي عَوْجُوا فَعَاجُوا هِزَّةَ الْإِبِلِ]
وَقَالُوا قِفْ وَلَا تَعْجَلْ وَإِنْ كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
قَلِيلٌ فِي هَوَاكَ الْبُو مَ مَا نَلْقَى مِنَ الْعَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ
عن المشامي وحَبَشَ . ومنها⁴ :

[من مجزوء الخفيف]

صوت

هَاجَ ذَا الْقَلْبَ مَنْزُلُ بِالْبَلَيْسِ مُحْصُولُ
غَيَّرَتْ آيَهُ الصَّبَا وَجُنُوبٌ وَشَمَالُ
إِنْ هَنداً قَدْ أَرْسَلْتُ وَأَخُو الشَّوْقِ مُرْسِلُ
أَرْسَلْتُ تَسْتَحْجِسُنِي وَتَفْذِي وَتَعْذِلُ
أَيْنَا بَاتَ لَيْلَهُ بَيْنَ غُصْنَيْنِ يُوبَلُ
تَحْتَ عَيْنٍ يَكُنُّنَا بُرْدُ عَصَبٍ مُهْلَهْلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر إسحاق أنه لمالك ، وذكر

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .

2 وعَنَّا في ل : وغيننا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجْع : ترديد النظر .

3 ديوان عمر : 291 .

4 قارن بديوان عمر : 299-300 وفيه أنَّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنه لابن مُحَرِّز . وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً للمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنه لابن زُرَّار الطائفي خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى ، وروثٌ مثل ذلك دنائيرٌ عن فُلَيْح . وفيها لابن سريح رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعته ورواية الهشامي . وفيه لحكمٌ هَزَجٌ بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه للحجبي¹ رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه ثقيلٌ أولُ نسبه ابن المكي إلى ابن مُحَرِّز ، وذكر الهشامي أنه منحول . وفيه خفيف رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لحن ابن مُحَرِّز . ومنها² : [من الكامل]

صوت

يا صاح هل تدري وقد جَمَدْتُ عَيْني بما أَلْقَى من الوَجْدِ³
لما رأيتُ ديارها دَرَسْتُ وتبدَّلتُ أعلامها بَعْدِي
وذكرتُ مَجْلِسَها ومجلِسنا ذاتَ العِشاءِ بمَهْبطِ النَّجْدِ
ورسالةً منها تُعَاتِبُنِي فردَدْتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ
الغناء ليحيى المكي رَمَلٌ بالوسطى . وفيه لغيره الخان آخر . ومنها⁴ : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً انْجَزَتْنا ما تَعَدُّ وشَفَّتْ أنفُسنا مِمَّا تَجِدُ
وأَسْبَدْتُ مَرَّةً واحدةً إنَّما العاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُّ
ولقد قالتَ لجاراتِها ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ تَبَرَّدُ

ويروى : زَعَمُها سَأَلْتُ جاراتها

أَكْما يَنْعَتُنِي بُصِيرَتِي عَمَرُكُنَّ اللهُ أَمْ لا يَقْتَصِدُ
فَتَضاحَكْنَ وقد قَلْنَ لها حَسَنٌ في كُلِّ عَيْنٍ من تَوَدُّ
حَسداً حُمِلَتْه من أَجْلِها وقديماً كان في الناسِ الحَسَدُ

الغناء لابن سريح رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ للمالك من كتاب يونس غير مجنس . وفيه لابن سريح خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لحن

1 ل : ليحيى .

2 ديوان عمر : 104-105 .

3 ألقى في ل : أخفى .

4 ديوان عمر : 101 .

المالك ، ويقال إنه مُتَمِّمٌ . ومنها¹ :

[من مجزوء الرجز]

صوت

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكْرُ لَمَّا غَدَوْا فَاَنْشَمَرُوا²
عَلَى بَغَالٍ شُحَّجٍ قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ³
فِيهِنَّ هِنْدٌ لِيَتَنِي مَا عُمِّرَتْ أَعْمُرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا خَفَّ أَتَانِي الْقَدَرُ

لابن سُرَيْجٍ فِيهِ لَحْنَانٌ : رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ رَمَلٍ عَنِ
الْهَشَامِيِّ . ومنها⁴ :

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ ذَنْفٍ مُغْرَمٍ هَامَ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلَمْ
هَامَ إِلَى رَيْمٍ هَضِيمٍ الْحَشَا عَذَبَ الثَّانِيَا طَيِّبِ الْمُبْسِمِ
لَمْ أَحْسَبِ الشَّمْسَ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمٍ
قَالَتْ أَلَا إِنَّكَ ذُو مَلَّةٍ يَصْرِفُكَ الْأَذْنَى عَنِ الْأَقْدَمِ
قُلْتُ لَهَا بَلْ أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ فِي الْوَصْلِ يَا هِنْدُ لَكِي تَصْرِمِي

الْغَنَاءُ لَابْنِ سَرِيحٍ رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لُبْدِيحٌ لَحْنٌ قَدِيمٌ .
وَقِيلَ : إِنَّ فِيهِ رَمَلًا آخَرَ لِعَمَارَةَ مَوْلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ . ومنها⁵ :

[من الطويل]

صوت

تَصَالِي وَمَا بَعْضُ النَّصَابِيِّ بِطَائِلٍ وَعَاوَدَ مِنْ هِنْدٍ جَوَى غَيْرُ زَائِلٍ
عَشِيَّةً قَالَتْ صَدَّعَتْ غَرْبُهُ النَّوَى فَمَا مِنْ تَلَاقٍ قَدْ أَرَى دُونَ قَابِلٍ
وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أَنْسَ مَجْلِسًا لَنَا مَرَّةً مِنْهَا بِقَرْنِ الْمَنَازِلِ
بَنَخْلَةٍ بَيْنَ النَّخْلَتَيْنِ يَكُنُّنَا مِنَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْعَيْنِ بُرْدُ الْمَرَاوِلِ⁶

1 ديوان عمر : 196-197 .

2 انشعروا : مضوا مسرعين .

3 الشحيج : صوت البغل .

4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ديوان عمر : 302 .

6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثقیل أولُ بالبِصر عن عمرو . وفيه للعمانيّ خفيفٌ ثقیلٌ عن دنائير
والهشامي . ومنها¹ :

صوت

لَجَّ قلبي في النَّصايي وازْدَهَى عَنِّي شَبَابِي
وَدَعَانِي لِهُوَى هِنْدَ سِدِّ فَوَاذَ غَيْرِ نَابِي
قَلْتُ لَمَّا فَاضَتْ الْعَيْدَ نَنَانِ دَمْعاً ذَا انْسِكَابِ
إِنْ جَفَّتْنِي الْيَوْمَ هِنْدُ بَعْدَ وَدِّ وَاقْتِرَابِ
فَسَبِيلُ النَّاسِ طُرّاً لِفَنَاءٍ وَذَهَابِ
الغناء لأهل مَكَّةَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأُسْدِيُّ ، وَهُوَ بَشْرُ بْنُ مُوسَى بْنِ
صَالِحٍ ، قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ جَالِساً
بِمَنْىَ فِي فَنَاءٍ مُضَرَّبَةٍ وَغُلْمَانُهُ حَوْلَهُ ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ بَرْزَةٌ² عَلَيْهَا أَثَرُ النُّعْمَةِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
عُمَرُ السَّلَامَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَنَا هُوَ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ لَهُ :
حَيَّاكَ اللَّهُ وَقَرَّبَكَ ! هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَتَمِّهِمْ خُلُقًا ، وَأَكْمَلِهِمْ أَدْبًا ،
وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا ؟ قَالَ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ ذَلِكَ ! قَالَتْ : عَلَى شَرْطٍ . قَالَ : قُولِي . قَالَتْ : تُمَكِّنُنِي مِنْ
عَيْنِيكَ حَتَّى أَشُدَّهِنَّ وَأَقْوِدَكِ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْتُ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُرِيدُ حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثُمَّ أَفْعَلُ ذَلِكَ
بِكَ عِنْدَ إِخْرَاجِكَ حَتَّى أَنْتَهِيَ بِكَ إِلَى مُضَرَّبِكَ . قَالَ : شَأْنُكَ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَلَمَّا
انْتَهَيْتُ بِي إِلَى الْمُضَرَّبِ الَّذِي أَرَادْتُ كَشَفْتُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ عَلَى كُرْسِيِّ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ
جَمَالًا وَكَمَالًا ، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ . فَقَالَتْ : أَنْتَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ قُلْتُ : أَنَا عُمَرُ . قَالَتْ : أَنْتَ
الْفَاضِحُ لِلْحَرَائِرِ ؟ قُلْتُ : وَمَا ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَتْ : أَلَسْتُ الْقَائِلَ³ : [مِنْ الْكَامِلِ]

صوت

قَالَتْ وَعَيْشُ أَخِي وَنِعْمَةُ وَالِدِي لِأُنْبِئَنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ⁴

1 ديوان عمر : 31 .

2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدّثهم .

3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .

4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَبَسَمْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَتَنَاوَلْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجٍ¹
فَلِئِمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرِبْتُ النَّزِيفَ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ²
الغناء لمعد ثقیل أول بالینصر عن یونس وعمرؤ .

ثم قالت : قم فاخرج عني ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشددت عيني ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي ، وانصرفت وتركني . فلحلت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبث ليلى ، فلما أصبحت إذا أنا بها ، فقالت : هل لك في العود ؟ فقلت : شأئك . ففعلت بي مثل فعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي . فقالت : إيه يا فضأح الحرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءك ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وناهديةً التدين قلتُ لها أتكي على الرمل من جبانة³ لم توسد⁴
فقالت على اسم الله أمرك طاعةً وإن كنت قد كلفت ما لم أعود
فلما دنا الإصباح قالت فضحتني فقم غير مطرود إن شئت فازدد
الغناء لأهل مكة ثقیل أول عن الهشامي . ثم قالت قم فاخرج عني . فقممت فخرجت ثم رددت . فقالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوف الفوت ، ومحبتني لمناجاتك والاستكثار من محادثتك ، لأقصيتك ؛ هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني .
فكلمت أدب الناس وأعلمهم بكل شيء . ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت ، فأخذت أنظر ، إذا أنا بتور⁵ فيه خلوق⁶ ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في ردي . وجاءت تلك العجوز فشددت عيني ونهضت بي تقودني ، حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب ، ثم صرت إلى مضربي ، فدعوت غلماي فقلت : أياكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .

2 النزيف : الشدид العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

3 الجبانة هنا : الصحراء .

4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .

5 تور : إناء صغير .

6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريةً ، وإذا المضربُ مضربُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذت في أهبة الرّحيل ؛ فلما نفرتُ نفرتُ معها ، فبصرتُ في طريقها بقبابٍ ومضرب وهيئة جميلة ، فسألتُ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت ترسلها إليه : قولي له نَشْدُكَ الله والرّحم أن تصحبني ، ويحك ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرف ولا تفضحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوجّه إليّ بقميصها الذي يلي جلدّها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفًا . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك¹ :

ضاق الغداةً بجاجتي صدري ويئستُ بعد تقاربِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةً التي علقتُها عَرْضًا فيا لحوادثِ الدَّهرِ
وفي هذه القصيدة ممّا يُغنى فيه قوله :

صوت

مَمْكُورَةٌ رَدْعُ العَيبِرِ بِهَا جَمُّ العِظَامِ لَطِيفَةُ الخَصْرِ²
وَكَأَنَّ فَاهَا عِنْدَ رَقْدَتِهَا تَجْرِي عَلَيْهِ سُلَافَةُ الخَمْرِ³
الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقلٍ من جامعهِ . وفيهِ لُتَيْمَ رَمَلٌ من جامعها أيضًا . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة :

فَسَبَّتْ فَوَادِي إِذْ عَرَضْتُ لَهَا يَوْمَ الرّحِيلِ بِسَاحَةِ القَصْرِ
بِمَزَيْنِ رَدْعُ العَيبِرِ بِهِ حَسَنُ التَّرَائِبِ وَاضِحُ النَّحْرِ
وَبِجِلِّ آدَمَ شَادِنٍ خَرِقٍ يُرْعَى الرِّيَاضَ بِلَدَةٍ قَفْرٍ⁴
لَمَّا رَأَيْتُ مَطْيِئَهَا حَزَقًا خَفَقَ الفَوَادُ وَكُنْتُ ذَا صَبْرِ⁵
وَتَبَادَرَتْ عَيْنَايَ بَعْدَهُمْ وَانْهَلَّ دَمْعُهُمَا عَلَى الصَّدْرِ

1 ديوان عمر : 179-180 .

2 مكمورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .

3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .

4 آدم : أسمر . والشادن : الطيبي . خرق : ذو حيرة .

5 الحزق : الجماعات .

ولقد عَصَيْتُ ذَوِي الْقَرَابَةِ فِيكُمْ طُرًّا وَأَهْلَ الْوُدِّ وَالصُّهْرِ¹
حتى لقد قالوا وما كَذَبُوا أَجْنَيْتَ أَمْ بَكَ دَاخِلُ السَّحْرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدثني الوليد بن هشام القحزمي عن أبي معاوية القرشي قال : لما قَدِمْتُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فَرَقًا من عبد الملك بن مروان ومن الْحِجَاجِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَتَوَعَّدُهُ إِنْ ذَكَرَهَا أَوْ عَرَّضَ بِاسْمِهَا . فَلَمَّا قَضَتْ حَجَّهَا وَارْتَحَلَتْ أَنْشَأَ يَقُولُ² :

[من الخفيف]

صوت

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ فِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفْتُ عَيْنَهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانَا يَلْقَى بُلْبُ أَصِيلِ³
لَوْ خَلَّتْ خُلَّتِي أَصْبَتْ نَوَالًا أَوْ حَدِيثًا يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ⁴
وَلَطَلَّ الْخُلْخُلُ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَثْنَاءِ حِمْيَةٍ مَقْتُولِ
فَلَقَدْ قَالَتِ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثَرَةُ النَّاسِ جُلُدْتُ بِالتَّقْبِيلِ

غَنَى فِيهِ ابْنُ مُحَرَّرٍ وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مِنْ أَصْوَاتِ قَلِيلَةِ الْأَشْيَاءِ عَنْ إِسْحَاقَ وَفِيهِ لِعَبَادِلَ خَفِيفِ
ثَقِيلِ بِالْبِنَصْرِ عَنْ عَمْرٍو ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِلْهَذَلِيِّ . وَفِيهِ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي غَسَّانَ ثَانِي ثَقِيلٍ عَنْ الْهَشَامِيِّ .
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ بْنِ الْمَرْزَبَانِ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
حَبِيبٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ فِي فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ⁵ : [من المديد]

صوت

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذَّكْرُ وَحُمُولُ الْحَيِّ إِذْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِيَابِ لَهَا وَأَدِيرْتُ حَوْلَهَا الْحُجْرُ

1 ذوي القرابة في ل : ذوي أقاربها .

2 ديوان عمر : 296-297 .

3 يلقى في ل : يلهمي .

4 التنويل : الأعطاء .

5 ديوان عمر : 184-186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ بِهَا زُمَرًا تَحْتُهَا زُمَرُ¹
 وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ أَثَرُ²
 وَأَخٌ لَمْ أَخْشَ نَبَوْتَهُ بَنَوَاحِي أَمْرِهِمْ خَيْرُ³
 فَإِذَا رِيمٌ عَلَى فُرُشٍ فِي حِجَالِ الْخَزْ مُخْتَدِرُ²
 حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقِيهِ نُومٌ مِنْ طَوْلِ مَا سَهَرُوا
 شَبَهُ الْقَتْلَى وَمَا قَتَلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا
 فَدَعَتْ بِالْوَيْلِ ، ثُمَّ دَعَتْ حُرَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
 ثُمَّ قَالَتْ لِلتِّي مَعَهَا وَبِحَ نَفْسِي قَدْ أَتَى عَمْرُ
 مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
 لِشَقَائِي كَانَ عُلُقْنَا وَلِيَحْيِي سَاقِهِ الْقَدَرُ
 قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ وَلِمَنْ نَاوَاكُمُ الْحَجَرُ

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع :

وطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا

للغريض

وفي : يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذِّكْرُ
 وفي : قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ
 وفي : ثُمَّ قَالَتْ لِلتِّي مَعَهَا
 وفي : مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا

[ثاني ثقیل بالوسطی عن عمرو]

وفي : ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِيَابِ لَهَا

وما بعده أربعة متوالية خفيف رمل بالوسطی للهدلي .

وفي : «وطَرَقْتُ» وبعدة : «إِذَا رِيمٌ» وبعدة : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقیل بالوسطی عن عمرو . وفيها بعينها ثقیلٌ أَوَّلُ يُقالُ إِنَّهُ لِلأَبَجَرِ ، ويُنسب إلى غيره عن الهشامي .

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .

2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنّها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتق الله ولا تقل هجراً ؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيت . فقال للجارية : أقرّيها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول إلّا خيراً¹ . وقال فيها² :

صوت

لعاثشة ابنة التيميّ عندي	جيمى في القلب ما يُرعى جيمها
يذكرني ابنة التيميّ ظبيّ	يرودُ بروضةٍ سهلي رباها
فقلتُ له ، وكاد يُراغ قلبي ،	فلم أر قطّ كالיום اشتباها
سوى حمشٍ يساقك مُستبين	وأنّ شواك لم يُشبه شواها ³
وأنّك عاطلٌ عارٍ وليست	بعارية ولا عطّل يداها
وأنّك غيرُ أفرع وهي تُدلي	على المتنين أسحم قد كساها ⁴
ولو قعدت ولم تكلف بوذ	سوى ما قد كلفت به كفاها
أظّل إذا أكلّمها كأنّي	أكلّم حيّة غلبت رفاها
تبّيت إليّ بعد النوم تسري	وقد أمسيت لا أخشى سراها

الغناء في البيتين الأولين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيف أول . وفيهما لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ خفيف ثقيف جميعاً عن الهشاميّ . وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسب إلى معبد ؛ وهو يُشبه غناؤه إلّا أنّه لم يروّه عن ثبّت⁵ ولم يذكر طريقته . قال : وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فتیان بني تميم ، أبلغهم إياه فتى منهم قال لهم : يا بني تميم بن مرة ، هاللك ليقدفنّ بنو مخزوم بناتنا بالعظام وتغفلون ، فمشى ولد أبي بكر وولد

1 ل : حسناً .

2 ديوان عمر : 442 .

3 حمش : دقة الساقين .

4 أفرع : طويل الشعر .

5 ثبّت : ثقة .

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي أولها¹ :

صوت

يا أمّ طلحة إنّ البين قد أفدا قلّ التواء لئن كان الرّحيل غدا²
أمسى العراقي لا يذري إذا برزت من ذا تطوّف بالأركان أو سجدا

الغناء لمبعد ثقل أول بالنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحجّ ويطوف حولها ويتعرّض لها وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كراهة يا فاسق ، فقال³ : [من الكامل]

صوت

إنّي وأول ما كلّفتُ بذكرها عجبّ وهل في الحبّ من متعجّب⁴
نعت النساء فقلتُ لستُ بمبصير شَبَّها لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجّهت للحجّ ، موعدها لقاء الأحشب⁵
أقبلت أنظر ما زعمن وقلن لي والقلب بين مُصدّق ومكذب⁶
فلقيتُها تمشي تهادي موهناً ترمي الجمار عشيةً في موكب
غراء يعشي الناظرين بياضها حوراء في غلواء عيشٍ مُعجب
إنّ التي من أرضها وسمائها جليت لحينك ليتها لم تجلب

الغناء لمبعد في الأوّل والثاني والرابع والسابع ثقل أول بالوسطى عن عمرو . وفيها للغيرض خفيف ثقيل عن الهشامي ، يُبدأ فيه بالثالث .

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال أخبرني مُصعب الزبيري : أنّ عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : فني حتى

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : اقرب .

3 ديوان عمر : 49 ، 50 .

4 في الحب في ل : في الدهر .

5 الأحشب : أحد جبلين بمكة .

6 زعمت في ل : عزم .

أَسْمِعْكَ مَا قُلْتُ فِيكَ . قَالَتْ : أَوْقَدْ قُلْتُ¹ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَوَقَفْتُ فَأَنْشَدَهَا² : [من البسيط]

صوت

يا رَبَّةَ البَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هل لك في أن تُنْشِرِي مَيْتًا لا تُرْهِقِي حَرَجًا³
[ويروى : هل لَكُمْ في عاشقٍ دَفِيفٍ]
قالت بدائك مُتْ أو عِشْ نُعَالِجْهُ فما نَرَى لك فيما عندنا فَرَجًا
قد كنتَ حَمَلْتَنَا غِظًا نُعَالِجْهُ فإن تُقْدِنَا فقد عَنَيْتَنَا حِجَجًا⁴
حَتَّى لَوْ اسْطِيعُ مِمَّا قد فعلتَ بنا أَكَلْتُ لِحْمَكَ من غِظٍ وما نَضِجَا

الغناء لابن سريج سريج ثقیل أول مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاق ولم يُجَنِّس منها إلّا واحداً ، وذكر المشامي أن أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أن الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا ورب هذه البنية ! ما عَنَيْتَنَا طَرْفَةً عَيْنٍ قَطُ . ثم قالت لبلغتها : عَدَسٌ⁵ ، وسارت . وتمام هذه الأبيات :

فقلت لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له ما مَحَّ حُبُّكَ من قلبي ولا نَهَجَا
ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسْرُ به مُدًّا بَانَ منزلُكم مِنَّا ولا تَلَجَا
ضُنْتُ بنائِلها عنه فقد تَرَكْتُ في غير ذنبِ أبا الخَطَّابِ مُخْتَلَجَا
قال : فلم تَرَلِ عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك⁶ :

إِنَّ مَنْ تَهَوَّى مع الفجرِ طَعَنُ لِلْهَوَى والقلبِ مِتْبَاعُ الْوُطْنِ
بانتِ الشمسُ وكانت كلُّما دُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنُ⁷

1 ل : أو قد فعلت .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أفاد به : قابله بالقصاص ؛ عناه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أخرى في الديوان ص 414 .

7 الددن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ فأتَمِرُ أَمَرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٌ
نظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً تَرَكْتُ قَلْبِي لَدَيْهَا مُرْتَهِنٌ
ليس حُبٌّ فَوْقَ مَا أُحِبُّهُأ غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجِنَ

فيها ثاني ثقل بالوسطى نسبه عمرو بن بانه إلى ابن سُرَيْج ، ونسبه ابن المكِّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مكّة .

ومما يُغْنَى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أولها¹ : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ أُمْسَى رَهِيناً مُعْنًى مُسْتَكِيناً قَدْ شَفَّهَ مَا أَجَنَّا²
إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتْ ذَاكَ شَخْصاً نَازِحَ الدَّارِ بِالْمَدِينَةِ عَنَّا
لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهْنَا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف ومحمد بن خلف قالوا حدثنا محمد بن زكريّا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التميمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية ، فأرسل إليها رسولاً فضربتها وحلقتُها وأحلقتُها ألا تعاود ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحامها رسُلُه . فابتاع أُمّةً سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها : إن أوصلت لي رُفْعَةً إلى كلثم فقرأتها فأنت حُرّة ولك معيشتك ما بقيت . فقالت اكتب لي مكاتبةً واكتب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أُمّة لها فسألها عن أمرها ؛ فقالت : مكاتبة³ لبعض أهل مولاتك جئتُ أستعينها في مكاتبتني ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إن بالبواب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا أدب . فقالت : ائذني لها ،

1 ديوان عمر : 406 .

2 رهينا في ل : حزينا .

3 المكاتبة : أمة قد كسب لها سيدها أن يحررها لقاء تدفعه مقسطاً .

فدخلت . فقالت : مَنْ كَاتَبُكَ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فاقْرئي مكاتبتني . فمدت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئنيها ؛ فإن كان منك إلي شيء مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروه ؛ فعاهدتها وفطنت . وأعطتها الكتاب ، فإذا أوله¹ : [من السريع]

من عاشقٍ صَبَّ سِرُّ الهوى قد شَفَّه الوجدُ إلى كَثْمٍ
رأتكَ عَيْنِي فدعاني الهوى إليك للحين ولم أعلم
فَقَتَلْنَا ، يا حَبْذا أنتم ، في غير ما جُرْمٍ ولا مُاتَمٍ
واللهُ قد أنزَلَ في وَحْيِهِ مُبِيناً في آيِهِ الْمُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظالماً ولم يُقِدْهَا نَفْسَهُ يَظْلِمِ
وأنتِ ثَارِي فتلافي دَمِي ثم اجعليه نعمةً تُنْعِمِي
وحكْمِي عَدلاً يَكُنْ بَيْنَنَا أو أنتِ فيما بَيْنَنَا فاحْكُمِي
وجالسيني مَجْلِساً واحداً من غير ما عارٍ ولا مُحَرَمِ
وخبريني ما الذي عندكم بالله في قتل امرئٍ مُسْلِمِ

قال : فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداعٌ مَلَقَ ، وليس لما شكاه أصل . قالت : يا مولاتي ، فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظفرَ ببعيته ؛ فقولي له : إذا كان المساءُ فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهب لها . فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلمَ وجلس . فتركته حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرني عنك يا فاسق ! ألسنَ القائل² :

هلاً استَحَبَّتِ فترحمي صَبَاً صَدْيَانِ لم تدْعِي له قَلْباً³
جَشِمَ الزَّيَارَةَ في مَوَدَّتِكُمْ وأرادَ ألا تُرْهَقِي ذَنْبَا
ورجاً مُصَالِحَةً فكان لكم سَلَاماً وكنْتِ تَرَيْنَهُ حَرْباً⁴
يا أيها المُعْطِي مودته مَنْ لا يَرَاكَ مُسَامِياً خُطْباً⁵

1 ديوان عمر : 390-389 .

2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .

3 استَحَبَّتِ في ل : ارعوت .

4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .

5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحَبَّيْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
 وَصِلَ الْحَبِيبَ إِذَا شَغَفَتْ بِهِ وَاطْلُو الزِّيَارَةَ دُونَهُ غَيًّا
 فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَّيَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
 لَا بَلَّ يَمْلُكَ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَكِي¹

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ القلبَ إِذَا هَوَى نطقَ اللسانَ بما يَهْوَى . فمكثَ عندها شهرًا لا يدري أهله أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن² فَضَحْتَنِي ؟ لا والله لا تخرج إلَّا بعد أن تتزوَّجني . ففعل وتزوَّجها ؛ فولدت منه ابنين أحدهما جُوَانُ ؛ وماتت عنده .
 [عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس]

أخبرني حبيب بن نصير المهلبِّي قال حدَّثنا الزبير بن بَكَّار قال حدَّثني عبد الجبار بن سعيد قال حدَّثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدِّه : أنَّ عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خلقِ الله ، فكاد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها³ : [من الكامل]

صوت

وَدَعَّ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
 الْبَثُّ يَعْمَرُكَ سَاعَةً وَتَأْتِيهَا
 قَالِ اتَّمِرْ مَا شِئْتَ غَيْرَ مُخَالَفٍ
 لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً
 حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ
 خَرَجْتَ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّمَا
 رَحَبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا فَتَبَسَّمتْ
 وَجَلَا الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً
 وَاسْأَلْ فَإِنَّ قُلَالَتهُ أَنْ تَسْأَلَا⁴
 فَعَلَّ مَا بَخِلْتَ بِهِ أَنْ يَنْدَلَا
 فِيمَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ نَعْجَلَا
 مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطْيُ مُعْقَلَا⁵
 أُمُّ يَسِيبُ عَلَى كَيْتِبٍ أَهْيَلَا⁶
 لَتَحْيِي لَمَّا رَأَتْني مُقْبِلَا
 غَرَاءُ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَلَا

1 هاه : كلمة وعيد .

2 ل : أبعد ما .

3 ديوان عمر : 311 .

4 قلاله : قليلة .

5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .

6 تأطر : تتشى . الأيم : الحية .

فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ يُرْقَى بِهِ مَا اسْطَاعَ أَلَّا يَنْزِلَا

عَنِّي فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَعْبِدٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، ابْتَدَاؤُهُ نَشِيدٌ . وَفِيهَا لَابِنٌ سَرِيحٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ أَيْضاً . وَفِيهَا لَابِنٌ سَرِيحٌ فِي الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ مِنَ الْأَيَّاتِ رَمَلٌ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ ، وَلَأَبْيَ ذُلْفَ الْقَاسِمِ بْنِ عِمْسَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْبَنْصَرِ ، وَابْتَدَاؤُهُ نَشِيدٌ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ لِحَمْدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُصْعَبٍ هَزَجٌ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَجَّ الْعَمْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلَ إِلَيْهِ مَعْبِدٌ فَعَنَاهُ :
[من الكامل]

وَدَّعْ لِبَابَةِ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا

فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مَعَهُ لَمَّا رَحَلَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، فَعَنَاهُ فِي الْمَنْزِلِ بِهِ حَتَّى أَرَادَ الرَّحِيلَ ، فَحَمَلَهُ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَذَهَبَ غَلَامٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ ؛ فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : أَمْضِي مَعَهُ حَتَّى أَجِيءَ بِالْبَغْلَةِ . فَقَالَ : هِيَاهُ ! ارْجِعْ يَا بَنِي ، ذَهَبَتْ وَاللَّهِ لِبَابَةُ بَيْغَلَةِ مَوْلَاكَ . وَقَدْ رَوَى هَذَا الْخَبَرَ لُغَيْرِ الْعَمْرِ بْنِ يَزِيدَ .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو :

تَشْكِي الْكَمَيْتِ الْجَرِيِّ لَمَّا جَهَّدَتْهُ

[عمر والثريا]

يَقُولُهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي الثَّرِيَا بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَصْغَرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَهَمَّ الَّذِينَ يَقَالُ لَهُمُ الْعَبْلَاتُ ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ لَجِدَّةٍ لَهُمْ يَقَالُ لَهَا عِبْلَةُ بِنْتُ عُيَيْدٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ خَازِلِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَآةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَهِيَ مِنْ بَطْنِ مَنْ تَمِيمٍ يَقَالُ لَهُمُ الْبَرَاكِمُ ، غَيْرُ بَرَاكِمِ بَنِي أُسْدٍ .

[نسب الثريا بنت علي]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ : كَانَتْ عِبْلَةُ بِنْتُ عُيَيْدٍ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ خَازِلِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جُشَمٍ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، فَبِعَتْهَا بِأَنْخَاءٍ¹ سَمِيٍّ تَبِيعَهَا لَهُ بِعُكَاظَ ، فَبَاعَتْ السَّمْنَ وَرَاحِلَتَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا ، وَشَرِبَتْ بِشَمْنِهَا الْخَمْرَ . فَلَمَّا نَفَدَتْ ثَمَنَهَا رَهَنْتِ ابْنَ أَخِيهِ وَهَرَبَتْ ، فَطَلَّقَهَا . وَقَالَتْ فِي شَرْبِهَا الْخَمْرَ :
[من المتقارب]

1 أَنْخَاءُ : جَمْعُ نَخِي وَهُوَ الزَّقُّ .

شَرِبْتُ بِرَاحِلَتِي مِجْحَنٌ فَيَا وَيْلَتِي ، مِجْحَنٌ قَاتِلِي
وَبَابِي أَخِيهِ عَلَى لَدَّةٍ وَلَمْ أُحْتَفَلْ عَدَلُ الْعَاذِلِ

قال : فتزوجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدت له أُمَيَّةُ الأصغر وعبدُ أُمَيَّةَ وَنُوفَلًا ،
وهم الْعَبَّاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بَكَار عن عمِّه : أَنَّ الثَّرِيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن
أُمَيَّةَ الأصغر ، وَأَنَّهَا أُخْتُ محمد بن عبد الله المعروف بِأبي جِرَابِ الْعَبْلِيِّ الذي قتله داود بن علي ؛
وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكي :

ثَلَاثُ حَوَائِجٍ وَلَهْنٌ جِئْنَا فَقُمُ فِيهِنَّ يَا ابْنَ أَبِي جِرَابِ
فَإِنَّكَ مَاجِدٌ فِي بَيْتِ مَجْدٍ بَقِيَّةُ مَعْشَرٍ تَحْتَ التَّرَابِ

قال : وله يقول ابن زياد المكي أيضًا :

إِذَا مِتُّ لَمْ تُوصَلْ بِعُرفِ قَرَابَةٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا رَجَاءٌ لِسَائِلِ
قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إنما أدرك
سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وَوَرِثَ بَعْدَهُ في النَّسَبِ دار عبد شمس بن عبد مناف ،
وَحَجَّ معاويةُ في خلافته ، فجعل ينظر إلى الدار ، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بِمِجْحَنٍ
ليضربه به وقال : لَا أَشْبِعُ اللهَ بِطَنِكَ ، أَمَا تَكْفِيكَ الْخِلاَفَةُ حَتَّى تَطْلُبَ هَذِهِ الدَّارَ ؟ فخرج
معاوية يضحك .

[ترجيح المؤلف لنسب الثريا]

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبير عندي ، والثريا أن تكون بنت عبد الله بن
الحارث أشبهُ من أن تكون أُخْتُ الذي قتله داود بن علي ؛ لِأَنَّهَا رَبَّتُ الْغَرِيضَ الْمُغْنِيَّ وَعَلَّمَتْهُ
النُّوحَ بِالْمِرَاثِي عَلَى مَنْ قَتَلَهُ يَزِيدُ بن معاوية من أهلها يوم الحرة . وإذا كانت قد رَبَّتْ الْغَرِيضَ
حَتَّى كَبُرَ وَتَعَلَّمَ النُّوحَ عَلَى قَتْلِ الْحَرَّةِ [وهو رجل] ، وهي وَقَعَتْ كَانَتْ بِعَقِبِ مَوْتِ معاوية ،
فَقَدْ كَانَتْ فِي حَيَاةِ معاوية امرأةً كبيرةً ، وَبَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ مَنْ قَتَلَهُ داود بن علي من بني أُمَيَّةَ نَحْوُ
ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَقَدْ شَبَّ بِهَا عُمَرُ بن أبي ربيعة في حياة معاوية ، وَأَنشَدَ عبد الله بن عباس
شِعْرَهُ فِيهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ أُخْتُ الذي قَتَلَهُ داود بن علي وَقَدْ أَدْرَكَتْ عبد الله بن عباس وهي
امرأةٌ كبيرةٌ ! وقد اعترف الزبير أيضًا في خبره بأن عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية
وهو شيخ كبير ؛ فَقَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا بَنَتْهُ ، أَصُوبٌ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَرَنَهَا بِمَنْ قَتَلَهُ داود بن علي .

وهذا القول الذي قلته قولُ ابن الكلبي وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان ، قال وحَدَّثني به جماعةٌ من أهل العلم بنسب قريش .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حَدَّثنا الزبير بن بكار قال حَدَّثني مَسْلَمَةُ بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن أيوب بن مسلمة ، أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مُسَهَّباً¹ بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت غُرْصَةً ذلك جَمَلاً وتاماً ، وكانت تصيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل² الرُّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار فيبْلَهُم . فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرفنا خيراً ، إلا أنني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصيحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقط عني اسمه . فقال عمر : الثريا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليّة ، فوجه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كدء³ ، وهي أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا وقد توقّعتَه وهي تتشوق له وتُشرف ، فوجدها سليمة عيمة ومعها أختها رُضَيّا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختير ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر⁴ :

تَشَكَّى الكَمَيْتُ الجَرِيَّ لَمَّا جَهَدْتُهُ	وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ ⁵
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً	فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكِلَ وَتَسَامَا
لِلَّذِكِّ أَثْنِي دُونَ خَيْلِي رِبَاطُهُ	وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
عَدِمْتُ إِذَا وَفَرِي وَفَارَقْتُ مُهَجِّي	لَنْ لَمْ أَقِلَّ قَرْنًا إِنْ اللَّهَ سَلَمَا

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلتُ لأَيُّوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفَّة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيّات : [من لخفيف]

جَبَّذَا الحَيْجُ والثَّرِيَا وَمَنْ بَال	خَفِيفٌ مِنْ أَجْلِهَا وَمُلَقَى الرَّحَالِ
يَا سَلِيمَانُ إِنْ تُلَاقِ الثَّرِيَا	تَلَقَّ عَيْشَ الْخُلُودِ قَبْلَ الْهَلَالِ
دُرَّةٌ مِنْ عَقَائِلِ الْبَحْرِ بِكُرٍّ	لَمْ تَشْنِهَا مَنَاقِبُ اللَّالِ

1 المسهب : السقيم من الحب .

2 ل : فيسائل .

3 كدء : جبل في أعلى مكة .

4 ديوان عمر : 341 .

5 ديوان ابن الرقيّات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112-113 .

تَعْقِدُ الْمِزَرَ السُّخَامَ مِنَ الْخَدِّ سَزَّ عَلَى حَقْوِي بِإِدْنِ مِكَسَالٍ¹

[عمر ورملة الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عَمَّنْ أَسَدٌ إِلَيْهِ أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ عَنْهُ الْحَرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤَمِّنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَفْلَحٍ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَالَ حَدَّثَنِي بِلَالُ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشَ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ قَدِيمَ لِلْحَجَّ ، فَأَتَاهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ . فَلَمَّا قَضَى سَلَامَهُ وَمُسَاءَلَتَهُ عَنْ حَجَّهِ وَسَفَرِهِ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَبَا الْخَطَّابِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُ فِي بُلْهَنِيَّةٍ² مِنَ الْعَيْشِ . قَالَ : وَأَنْتَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : حَجَّتُ رَمْلَةً بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيَّةِ فَقَالَ فِيهَا³ :

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا	مُقْصَدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ	أُمَيْدُ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَ ⁴
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا	قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَدَّ	تَ عَسَى أَنْ يَجْرُ شَأْنُ شُؤُونَا
وَنَرَى أَنْتَا عَرَفْنَاكَ بِالْعَدِّ	تَ بَظَنُّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
بِسَوَادِ النَّيْتَيْنِ وَنَعْتِ	قَدْ نَرَاهُ لَنَاظِرٍ مُسْتَبِينَا

غَنَّى مَعْبُدٌ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ . وَغَنَّى فِي الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ ابْنُ سَرِيحٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِّ عَنْهُ أَيْضًا . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِلْغَرِيضِ أَيْضًا لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبِنْصَرِّ . قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ الثَّرِيَّا ، فَلَبَّغَتْهَا إِيَّاهُ أُمُّ نَوْفَلٍ ، وَكَانَتْ غَضَبِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَتْ⁵ خَبْرُهُ عَنِ الثَّرِيَّا حَتَّى بَلَغَهَا مِنْ جِهَةٍ أُمُّ نَوْفَلٍ وَأَنْشَدَتْهَا قَوْلَهُ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا مُقْصَدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ

1 السخام : اللين .

2 في بلهنية : في عيش مرفه .

3 ديوان عمر : 425-426 .

4 أُمَيْدُ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَ : أَسَمَ سَوَالِكَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ .

5 ل : استتر .

فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَوْ قَاحَ صَنَعٌ¹ بِلِسَانِهِ ، وَلَئِنْ سَلِمْتُ لَهُ لِأَرْدَدَنَّ مِنْ شَأُوهِ ، وَلَأُثْبِتَنَّ مِنْ عِثَانِهِ ، وَلَأُعَرِّفَنَّهُ نَفْسَهُ . فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أَمِيدُ سُؤَالِكَ الْعَالَمِينَ
فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَسَالٌ مُلِجٌ ، [قُبْحًا لَهُ] وَلَقَدْ أَجَابْتَهُ إِنْ وَقَتْ . فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَالَتْ : غَمَزَتْهُ الْجَهْمَةُ² ، فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنَا عَسَى أَنْ يَجِرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
قَالَتْ : رَمَتْهُ الْوَرَهَاءُ³ بَأَخَرٍ مَا عِنْدَهَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ . وَهَجَرَتْ عُمَرَ .
أَخْبَرَنِي الْحِرْمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَيُّ مُصْعَبٌ : أَنَّ
رَمْلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ حَجَّتْ ، فَتَعَرَّضَ لَهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ فِيهَا : [من الخفيف]
أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينَا مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
وَقَالَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَرَأْتُ جِرْصِي الْفَتَاةَ فَقَالَتْ خَبَرِيهِ ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا ؟
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنَا عَسَى أَنْ يَجِرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
قَالَ الزَّبِيرُ : وَرَمْلَةُ هَذِهِ أُمُّ طَلْحَةَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَهِيَ أُخْتُ طَلْحَةَ
الطَّلَحَاتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخُرَاعِيِّ .
[كثير يتغزل بنسوة من قريش ردًا على عمر]

قَالَ : فَلَبِغْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ كَثِيرًا ، فَغَضِبَ لَذَلِكَ وَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَتَمَارَى أَنْ سَيَجُرُّ شَأْنُ
شُؤُونَا . ثُمَّ ذَكَرَ نِسْوَةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَاقِهِنَّ فِي شَعْرِهِ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى بَلَغَ بَهْنَ إِلَى مَلَلٍ⁴ ، ثُمَّ أَشْفَقَ
فَجَازَ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا⁵ :

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .

2 الجهمه : الضعيفة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 ملل : موضع بين مكة والمدينة .

5 ديوان كثير : 395-400 .

ما عَنَّاكَ الْغَدَاةَ مِنْ أَطْلَالٍ . دَارِسَاتِ الْمَقَامِ مُذْ أَحْوَالِ

صوت

قُمْ تَأْمَلْ فَأَنْتَ أَبْصُرْ مَنِّي هل تَرَى بِالْغَمِيمِ مِنْ أَجْمَالِ¹
 قاضياتِ لُبَانَةٍ مِنْ مُنَاخٍ وَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ بِالْجِيَالِ²
 قَلَنْ عُسْفَانَ ثُمَّ رُحْنَ سِرَاعاً هَابِطَاتِ عَشِيَّةٍ مِنْ غَزَالِ³
 وَاِرْدَاتِ الْكَدِيدِ مُجْتَرِعَاتِ جُرْنَ وَاِدي الْحَجُوجِ بِالْأَثْقَالِ⁴
 قَصْدٌ لِفَتْ وَهْنٌ مُتْسِقَاتُ كَالْعَدُولِي لَاحِقَاتِ التَّوَالِي⁵
 طَالَعَاتِ الْغَمِيسِ مِنْ عَبُودِ سَالِكَاتِ الْخَوِيِّ مِنْ أُمَلَالِ⁶
 فَسَقَى اللَّهُ مُتَوًى أُمَّ عَمْرُو حَيْثُ أَمَّتْ بِهَا صُدُورُ الرِّجَالِ
 حَبِذَا هُنَّ مِنْ لُبَانَةِ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
 رَبُّ يَوْمٍ أَتَيْتُهُنَّ جَمِيعاً عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ مِكَسَالِ⁷
 غَيْرَ أَنِّي أَمْرُوْتُ تَعَمَّمْتُ جِلْمًا يَكْرَهُ الْجَهْلُ وَالصَّبَا أَمْثَالِي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر المشامي أن فيها للحجبي رملاً بالنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك :
 مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

فبلغ ابن أبي عتيق قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تُذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره .

- 1 الغميم : موضع قرب المدينة .
- 2 بالجيال يروى أيضاً «بالخيال» .
- 3 عسفان : موضع قريب من مكة . غزال : قرن غزال وهو واد .
- 4 الكديد : موضع بين عسفان وراغ .
- 5 لفت : واد قريب من عقبة هرثى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .
- 6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السبالة وملل .
- 7 أتيتهن في ل : رأيتهن .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةً¹ الوجه ، عظيمة الأنف ، حسنة الجسم ، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في محاربة الخوارج مع أبي فُذَيْك² كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذي ذكرته . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال : لما بلغ الثريا قول عمر بن أبي ربيعة في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتَهُ نُوْرَ بَدْرِ يُضِيءُ لِلنَّاطِرِينَا

قالت : أفَّ له ما أكذبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة .

[رحل بابتها لئلا يشبب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن ذاب : أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مَكَّة ، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً . فقال أبوها : كائتي بها وقد كبرت ، فشبب بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أقمتُ بمَكَّة . فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابتها إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنته من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تر أحدًا من بني جُمَحَ حضر جنازته ، ولا وجدت لها مُسْعِدًا ولا عليها داخلًا . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نَحْنُ ؟ ومن أي البلاد نحن ؟ فخبرتها . فقالت : لا جرم والله لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة ! فباعت الضيعة والدار ، وخرجت في أيام الحج . وكان عمر يُقَدِّمُ فيعتمر في ذي القعدة ويحلُّ ، ويلبس تلك الخُلَّلَ والوُشْيَ ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع³ والدَّيْبَاج ، ويُسَبِّلُ لِمَتِهِ ، ويلقى العرافيات فيما بينه وبين ذات عرق مُحَرِّمَات ، ويتلقى المَدَنِيَّات إلى مرٍّ ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعرافيات فإذا قِيَّةٌ مكشوفة فيها جارية كأنها القمر ، تُعَادِلُها جارية سوداء كالسبجة⁴ . فقال للسوداء : مَنْ أنتِ ؟ ومن أين أنت يا خالة ؟ فقالت : لقد أطال الله تعبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .

2 أبو فديك : عبد الله بن ثور ، تغلبى خرج في البحرين أيام بني أمية .

3 القطوع : الطنافس .

4 السبجة : ثوب أوقميص أسود .

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ هَذَا الْعَالَمَ مَنْ هُمْ وَمَنْ أَيْنَ هُمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَسَى أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ شَأْنٌ .
قَالَتْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ فَمَكَّةُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ وَرَحَلْنَا إِلَى
بَلَدِنَا ؛ فَضَحِكُ . فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى سَوَادِ ثِيَابِي قَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ :
عَمْرُ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ . قَالَ : وَبِمِمْ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَتْ : بِسَوَادِ ثِيَابِكَ وَبِهَيْئَتِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا
لِقَرِيشٍ ؛ فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

قَلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمَيْدُ سَوَائِكَ الْعَالَمِينَا

وَذَكَرَ الْأَبْيَاتِ . فَلَمْ يَزَلْ عَمْرُ بِهَا حَتَّى تَزَوَّجَهَا وَوَلَدَتْ لَهُ .

أخبر صلح الثريا وعمر

قال : فَلَمَّا صَرَمَتِ الثَّرِيَا عَمْرَ قَالَ فِيهَا¹ :

أمن الخفيف

صوت

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ دَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

سَلَبْتَنِي مَجَاجَةً الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلَّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

أُبْرِزُوهَا مِثْلَ الْمُهَاقِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ

ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قَلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ²

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو ، وذكر حبش أنه لملك .

أبن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤَمِّنٌ بْنُ عَمْرِ بْنِ
أَفْلَحَ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ قَالَ أَخْبَرَنِي بِلَالٌ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ : أُنْشِدَ ابْنَ أَبِي
عَتِيقٍ قَوْلَ عَمْرٍ :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ دَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنِّي أَرَادْتُ بِبَنِي نَوْهٍ ، لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْلًا حَتَّى أَشْخَصَ فَأُصْلِحَ
بَيْنَهُمَا ، وَنَهَضُ وَنَهَضْتُ مَعَهُ ؛ فَجَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُمْ نَجَابُ لَهْمٍ
فُرَّةً يُكْرَهُنَّهَا ، فَافْتَرَى مِنْهُمْ رَاحِلَتَيْنِ وَأَعْلَى لَهْمٍ . فَقُلْتُ لَهُ : اسْتَؤْضِعُهُمْ أَوْ دَعْنِي أَمَا كَسَهُمْ ؛
فَقَدْ اسْتَطَوْا عَلَيْكَ . فَقَالَ : وَنَحْكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ؟ ثُمَّ رَكِبَ

1 ديوان عمر : 59-60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحداهما وركبت الأخرى ، فسار سيرا شديداً ؛ فقلتُ : أبقي على نفسك ؛ فإنَّ ما تريد ليس يَفُوتَكَ . فقال : وَبِحَكَ ،

أَبَادِرُ حَبْلِ الْوَدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا

وما حلاوة الدنيا إنَّ تَمَّ الصَّدْعُ بينَ عَمَرٍ والثَّريَّا ؟ فَقَدِمْنَا مَكَّةَ لَيْلاً غيرَ مُحْرَمِينَ ، فَدَقَّ على عمرِ بابِهِ ، فخرجَ إليه وسلَّمَ عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركبْ أَصْلِحُ بَيْنَكَ وبينَ الثَّريَّا ؛ فَأَنَا رَسُولُكَ الَّذِي سَأَلْتَ عَنْهُ . فركب معنا وَقَدِمْنَا الطَّائِفَ ، وقد كانَ عَمَرُ أَرْضَى أُمَّ نُوْفَلٍ فكانت تطلبُ له الحَيْلَ لِإِصْلَاحِهَا فلا يمكنها . فقال ابنُ أَبِي عَتِيقٍ للثَّريَّا : هذا عَمَرٌ قد جَشَمْنِي السَّفَرُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَيْكَ ، فَجِئْتُكَ بِهِ مُعْتَرِفاً لَكَ بِذَنْبٍ لَمْ يَبْغِهِ ، معْتذراً إِلَيْكَ من إساءته إِلَيْكَ ؛ فدعيني من التَّعْدَادِ والتَّردَادِ ؛ فَإِنَّهُ من الشَّعْرَاءِ الَّذين يَقُولون ما لا يفعلون ؛ فصالحته أحسنَ صُلْحٍ وأتمَّةً وأجملَه ، وَكَرَرْنَا إلى مَكَّةَ ، فلم ينزلها ابنُ أَبِي عَتِيقٍ حتَّى رحل . وزاد عَمَرُ في أُمِّيَّاتِهِ¹ :

أَزْهَقْتُ أُمَّ نُوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهَجَّتِي ، مَا لِقَائِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدَّعَاءِ كَمَا لَبَّ سَى رَجُلٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ
قال الزبير : وما دَعَتْهَا أُمَّ نُوْفَلٍ إِلَّا لِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، ولو دَعَتْهَا لَعَمْرُ مَا أَجَابَتْ . قال :
وسألتُ عَمِّي عن أُمَّ نُوْفَلٍ ، فقال : هي أُمُّ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَبِي الثَّريَّا . وسألته عن
قوله :

..... كَمَا لَبَّ سَى رَجُلٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

فقال : كَرَّرْتُ فِي التَّلْبِيَةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُحْرِمُ ، فَقَالَتْ : لَيْتَكَ لَبَّيْتَكَ .
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا الزبير بن بَكَارَ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ بَعْضَ الْمَكِّيِّينَ قَالَ : كَانَتْ
الثَّريَّا تُصَبُّ عَلَيْهَا جَرَّةَ مَاءٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ فَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ فَخِذَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ عِظَمِ عَجِيزَتِهَا .
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عَمَرُ بْنُ شُبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بِخَبَرِ
الثَّريَّا هَذَا مَعَ عَمَرٍ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ مَا ذَكَرَهُ الزَّبِيرُ ، وَقَالَ فِيهِ : لَمَّا أَنَاخَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ بَابَ الثَّريَّا
أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ عَمَرِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ وَأَنْشَدَهَا الشَّعْرَ . فَقَالَتْ : ابْنُ
أَبِي رِبِيعَةَ فَارِغٌ وَنَحْنُ فِي شُغْلٍ ، وَقَدْ تَعَيَّتْ فَأَنْزِلْ بِنَا . فَقَالَ : مَا أَنَا إِذَا بَرَسُوا . ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعاً
إِلَى ابْنِ أَبِي رِبِيعَةَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العنزي قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحي ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عبيدة ، وأخبرني به الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قدم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما استلقى قال : أوّه ! [من الخفيف]
من رسولٍ إلى الثريّا فأنّي ضيقُ دُرْعاً بهجرها والكتاب

فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن بلغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصلّى مرّ بنصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا محجن . قال لبيك ! قال : أتودعُ إلى سلمى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تقول لها يا ابن الصديق : إنك مررت بي فقلت لي : أتودعُ إليها شيئاً ، فقلت :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلَمَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بَحْسَنَ الْعَرَمِ مِنْكَ جَدِيرٌ¹
وَكَيْدَتْ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَى بَارِقَ نَحْوِ الْحِجَارِ أَطِيرُ

قال : فمرّ بسلمى وهي في قرية يقال لها «القَسْرِيَّة»² ، فأبلغها الرسالة ؛ ففرقت زفرةً كادت أن تفرق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن جوابك أحسن من رسالته ، ولو سمعك الآن لنعق وصار غراباً . ثم مضى إلى الثريّا فأبلغ الكتاب . فقالت له : أما وجد رسولاً أصغر منك ؟ انزل فأرح . فقال : لستُ إذاً برسولٍ ، وسأله أن ترضى عنه ، ففعلت . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خَشِيتُ أَنْ تُضَيِّعَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ . قالت : أدّى الله عنك أمانتك . قال : فما جوابُ ما تَجَسَّمْتُهُ إِلَيْكَ ؟ قالت : تشيده قوله في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتُهُ ضَوْءَ بَدْرِ أَضَاءَ لِلنَّاطِرِينَا

فقال : أعيذكُ بالله يا ابنة أخي أن تغلبنني بالمثل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : «حريصٌ لا يرى عمله» . قالت : فما تشاء ؟ قال : تكفيني إليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجع من فورِهِ حتى قدِمَ مكة ، فأتى عمر . فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من حيث أرسلتني . قال : وأنت ذلك ؟ قال : من عند الثريّا ، أفرخَ رَوْعَكَ ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتان في مجموع شعر نصيب (الدكتور داود سلوم) :

[تغني ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن علي ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غني «من رسولي إلى الثريا . . .» ؛ فسكت عنه فلم يجبه . فقال له جليس له : أيقول لك غني فلا تجيبه ؟ فسكت . فقال له الحسن : مالك ؟ ويحك ، أباك خيال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك إليها ، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغني لنا ، فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أؤخير لك أي الصوتين أغني : أقوله¹ : [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريا فإني ضافني الهم واعتزني الهموم
يعلم الله أنني مستهام بهواكم وأنسي مرحوم

أم قوله :

مَنْ رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب
فقال له الحسن : أسأنا بك الظن أبا جعفر ، غنّ بهما جميعاً ، فغناهما . فقال له الحسن : لولا أنك تغضب إذا قلنا لك : أحسنت ، لقلت لك : أحسنت والله ، قال : ولم يزل يرددهما بقیة يومه .

[ينشد عمر ابن أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يعقوب بن إسحاق الرّبيعيّ عن أبيه قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله :

لَمْ تَرَ العينَ للثريا شبيهاً بمسيلِ التلاع يومَ التقينا
فلما بلغ إلى قوله :

ثم قالت لأختها قد ظلمنا إن ردّناه خائباً واعتدنا
قال : أحسنت والهدايا² وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق ممثلاً قول الشاعر :

أرني جواداً مات هزلاً لعلني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلصاً³

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .

2 والهدايا : قسم ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحج .

3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خلَاءٍ من الأنيسِ وأمنٍ

قال ابن أبي عتيق : أمكنت للشارب العُدْر «مَنْ عَالَ بعدها فلا تنجبر»¹ . فلما بلغ إلى قوله :

فمكثنا كذاك عشراً تباعاً في قضاءٍ لَدَيْنَا واقتضينا

قال : أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه ، فلا عَرَفَكُمَا الله قبيحاً ! فلما بلغ إلى قوله :

كان ذا في مَسِيرِنَا إِذْ حَجَجْنَا عِلْمَ اللهِ فِيهِ مَا قَدْ نَوْنَا

قال : إنَّ ظاهرَ أمرِكَ لِدَلُّ على باطنه ، فأرود² التفسير ، ولئن مُتْ لَأَمُوتَنَّ مَعَكَ ، أفَّ للدنيا بعدكَ يا أبا الخطاب . فقال له عمر : بل عليها بعدكَ العَفَاءُ يا أبا محمد .

قال : فَلَقِيَ الحارثُ بنَ خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تتحللاً مِنِّي³ ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يا أبا عمرو ، إنَّ ابنَ أبي ربيعة يُبرئ القَرَحَ ، ويضعُ الهناءَ مواضعَ النُّقْبِ⁴ ، وأنتَ جميلُ الخَفَضِ . فضحك الحارث بن خالد وقال : «حُبُّكَ الشَّيْءُ يُعْمِي وَيُصِمُّ» . فقال : هيهات أنا بالحسن عالمَ نَظَارٍ !

[خير السواد في ثنيتي عمر]

وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمِّه مُصعب في خبره : أنَّ امرأةً غارت عليه فاعترضته بمسواكٍ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودَّتَا .

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المسيبي وأبي الحسن المدائني : أنَّه أتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصل بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا الستر وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعت . فقال لها : إنه ليس مِنَّ أَحْتِشِمُهُ ولا أَحْفِي عنه شيئاً ؛ واستلقى فضحك ، وكان النساءُ إِذْ ذَاكَ يتختمن في أصابعهن العَشْرَ ، فخرجت إليه فضربت به بظاهر كفها ، فأصابته الخواتيم ثنيتيه العُلَيَّيْنِ فَنَعَضَتَا وكادتَا تَسْقُطَانِ⁵ ، فقدم البصرة فعولجتا له ، فثبَّتَا واسودَّتَا . فقال الحزين الكِنَانِي يُعِيرُ بذلك ، وكان عدوه وقد بلغه خبره :

[من البسيط]

1 من عال بعدها فلا تنجبر : هذا مثل ، أي من افقر بعد هذا فلا استغنى .

2 أرود : ترفع ؛ وربما قرنت فأورد .

3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حل .

4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .

5 ل : فنعضتا ، وكادت أن تقتلعهما وخاف أن يسقطا .

ما بالُ سَيْتِكَ أُمَ ما بالُ كَسْرِهِما أَهَكَذا كُسِرَا في غيرِ ما باس¹
 أُمَ نَفْحَةً مِنْ فَنَاءَةٍ كُنْتُ تَأَلَّفُهَا أُمَ نَالَهَا وَسَطُ شَرْبِ صَدْمَةِ الْكَاسِ
 قال : ولقيه الحزبن الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذهبْ اذهبْ ،
 وَيْلَكَ ، فَإِنَّكَ لَا تُحَسِّنُ أَنْ تقول² :

صوت

لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ
 وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البصر عن إسحاق ، وخفيف رملٍ
 [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي . ولما لك [فيه] ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشامي .
 وتُثَمِّمُ ثاني ثَقِيلٍ عن ابن المعتز . وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مُخَارِقٍ أَنَّ خفيف الرمل ليحيى
 المكيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :
 اسْلَمِي يا دارُ مِنْ هَند

اخبر الثرياء مع الحارث أخي عمر

حدثني علي بن صالح قال حدثني أبو هَفَّانَ عن إسحاق الموصليّ عن رجاله المذكورين :
 أَنَّ الثريّا واعدتْ عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرته ، فصادفت
 أخاه الحارث قد طرّفه وأقام عنده ، ووجّه به في حاجة له ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه ، فلم
 يشعر الحارث إلا بالثريّا قد أَلْقَتْ نَفْسَهَا عليه تُقَبِّلُهُ ، فانتبه وجعل يقول : اغزبي عني فليستُ
 بالفاسق ، أخزأكما الله ، فلَمَّا عَلِمَتْ بالقِصَّة انصرفتْ . ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها ؛
 فاغتمّ لِمَا فَاتَهُ منها ، وقال : أَمَا وَاللَّهِ لَا تَمْسُكُ النَّارُ أَبَدًا وَقَدْ أَلْقَتْ نَفْسَهَا عَلَيْكَ . فقال له
 الحارث : عليك وعليها لعنةُ الله .

وأخبرني بهذه القِصَّة الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكَّار عن يعقوب بن إسحاق
 الربيعي عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْصِ الثَّقَفِيّ : أَنَّ الحارث بن عبد الله زار
 أخاه ، ثم ذكر نحوه من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : فبلغ عمر خبرها ، فجاء إلى أخيه
 الحارث وقال له : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، مَا لَكَ وَلَأَمَةِ الْوَهَّابِ ابْنَتِكَ ؟ أَتُنْكُ مُسْلِمَةً عَلَيْكَ فَلَعْنَتَهَا
 وزجرتها وتهدّدتها ، وها هي تيك باكية . فقال : وإنها لهي ، قال : وَمَنْ تَرَاهَا تَكُونُ ؟ قال :
 فأنكسر الحارث عنه وعن لَوَمِهِ .

1 ما بالُ كسرهما في ل : أُم ما شأن حسنهما .

2 ديوان عمر : 101-102 .

[سهيل يتزوج الثريا]

أخبرني عليُّ بن صالح قال حدثني أبو هفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمَّار . ورواه أيضاً حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العمَّاريِّ ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا ، وقال الزبير : بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنَّه كان هناك منزله ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

الغناء للغريض خفيف ثقیل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقیل بالبنصر . وأوَّل هذه القصيدة¹ :

أَيُّهَا الطَّارِقُ الَّذِي قَدْ عَنَانِي بَعْدَ مَا نَامَ سَامِرُ الرُّكْبَانِ

زَارَ مِنْ نَازِحٍ بَغِيرِ دَلِيلٍ يَتَخَطَّى إِلَيَّ حَتَّى أَتَانِي

وذكر الرِّياشيُّ عن ابن² زكريا الغلابيِّ عن محمد بن عبد الرحمن التَّيميِّ عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزوميِّ قال : كان عمرُ بن أبي ربيعة قد ألحَّ على الثريا بالهوى . فشقَّ ذلك على أهلها ، ثم إنَّ مَسْعَدَةَ بنَ عمرٍ أخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرَضَ له ، وتزوَّجت الثريا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر ، فقال :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

وذكر الأبيات . وقال في خبره : ثم حمَّله الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها³ :

كَتَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابَ مُؤَلِّهِ كَمَدٍ

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أولها «أَيُّهَا الْمُنْكِحُ» .

2 هو محمد بن زكريا الغلابي .

3 ديوان عمر : 114 .

كَتَبَ وَكَيْفَ الْعَيْنِ سَنَ بِالْحَسَرَاتِ مُنْفَرِدٍ
يُورِقُهُ لَهَيْبُ الشَّوْ قِي بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَيدِ¹
فِيْمَسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدٍ

وكتبه في قُوْهِية² وششفه وحسنه وبعث به إليها . فلما قرأته بكت بكاءً شديداً ، ثم
تمثلت :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ³
وكتبت إليه تقول⁴ :

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ أَمِيدٌ بِكَافُورٍ وَمِسْلٍ وَعَنْبَرٍ
وَقِرَاسُهُ قُوْهِيةٌ وَرِبَاطُهُ يَعْقِدُ مِنَ الْيَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرٍ
وَفِي صَدْرِهِ : مَنِي إِلَيْكَ خَمِيَّةٌ لَقَدْ طَالَ تَهَامِي بِكُمْ وَتَذَكَّرِي
وَعُتُوَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ إِلَى هَائِمٍ صَبَّ مِنَ الْحَزَنِ مُسْعِرٍ
قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشعره مُضَعَّفٌ يدل على ذلك ،
ولكني ذكرته كما وقع إلي .

[الترتيا عبد الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مولى فائِدٍ وَمَنْ ذكر خبره مع الترتيا : فمات عنها سُهَيْلٌ أَوْ طَلَّقَهَا ، فخرجت إلى
الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في ذِيْنِ عليها ؛ فَبَيْنَا هِيَ عِنْدَ أُمِّ الْبَيْتِ بِنْتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مِرْوَانَ ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهَا الْوَلِيدُ فَقَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَالَتْ : التَّرْتِيَا جَاءَتْنِي ، تَطْلُبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ دَيْنٍ
عَلَيْهَا وَخَوَاجٍ لَهَا . فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا الْوَلِيدُ فَقَالَ : أَتُرَوِّينَ مِنْ شِعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ شَيْئاً ؟ قَالَتْ :
نَعَمْ ، أَمَا إِنَّهُ يَرْحِمُهُ اللَّهُ كَانَ عَفِيفاً عَفِيفَ الشَّعْرِ ، أُرْوِي قَوْلَهُ⁵ :

صوت

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبَلْبَلِيِّينَ لَوْ بَيَّ سَنَ رَجَعَ السَّلَامُ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فِيَالِي قَصْرِ ذِي الْعُسْثِيرَةِ فَالْصَّا يُفِ أُمْسَى مِنَ الْأُنَيْسِ يَبَا⁶

1 - السحر : الرثة .

2 - قُوْهِية : قطعة قماش من صنع قوهستان .

3 - الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 لليل نرثي قيس .

4 - النظر خزائن الأدب : 1 : 31 وما بعدها .

5 - ديوان عمر : 40 .

6 - ذو العُسْثِيرَةِ : موضع بالضمان . الصائغ : من نواحي المدينة .

6 - كتاب الأغاني - ج 1

وبما قد أرى به حيَّ صِدْقٍ ظاهري العيشَ نعمةً وشباباً
إذ فؤادي يَهْوَى الرِّبَابَ وَأَتَى الدُّ هرَ حَتَّى المَمَاتِ أَنْسَى الرِّبَابَ
وحساناً جَوَارِيَا حَفِرَاتٍ حافظاتٍ عند المَوى الأحسابِ
لا يُكْثَرْنَ في الحديثِ ولا يت جعنَ يَنْعَقْنَ بِالْهَامِ الظُّرَابِ¹

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلما خلا الوليدُ بأُمِّ الْبَيْنِ قال لها : اللَّهُ دُرُّ الثَّرْيَا ، أَتَدْرِينَ ما أرادتُ بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إِنِّي لَمَّا عَرَضْتُ لها به عَرَضْتُ لي بأن أُمِّي أُعْرَابِيَّةٌ . وأُمُّ الوليدِ وسليمان وَلَادَةُ بنتُ العبَّاسِ بنِ جزيِّ بن الحارثِ بن زهير بن جَذِيمةِ العَبِسيِّ .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لما لك بن أبي السَّمَحِ خفيفِ الثَّقِيلِ بإطلاق الوتر في مجرى البَنْصَرِ . وفيها لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البَنْصَرِ . وفيها لإبراهيم خفيف ثَقِيلٍ بالسَّبابَةِ في مجرى البَنْصَرِ كلها عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أيضاً أَنَّ فيها لابن مَسْجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانه أن لابن مُحْرِزٍ فيها خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى .

ومَّا يُعْنَى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها «من رسولٍ» :

صوت

وَتَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جُنَّ قَلْبِي حال دوني وَلَائِدٌ بِالثِّيَابِ
يا خَلِيلِي فاعْلَمَا أَنَّ قَلْبِي مُسْتَهَامٌ بِرَبَّةِ المِحْرَابِ²

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها :

[من الخفيف]

صوت

أَقْتُلْنِي قَتْلًا سَرِيعًا مُرِحًا لا تَكُونِي عَلَيَّ سَوَطَ عَذَابِ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقٌ جَنْدِيٌّ فهي كالشمس من خِلَالِ السَّحَابِ³

الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٍ بالبَنْصَرِ عن عمرو . ومنها :

[من الخفيف]

1 يعني أَنَّهُ لَسَنَ رَاعِيَاتِ غَنَمٍ ، يصحن زَجْرًا لها بين الروابي (الظُرَابِ) .

2 المِحْرَابِ هنا : العَلِيَّةُ .

3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي أَتُحِبُّ الْبَتُولَ أُخْتَ الرَّيَّابِ¹
 قلتُ وَجَدِي بها كَوَجْدِكَ بالما إِذَا ما مُيْعَتَ بَرْدِ الشَّرَابِ
 الغناء للملكِ رَمَلٍ مُطْلَقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَذْكُرْتَنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا بَرَزْتَ من دُجْنَةِ وَسْحابِ
 أَزْهَقْتَ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، ما لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ
 حينَ قالتَ لها أَجِيبِي فَقالتُ مَنْ دَعَانِي ؟ قالتُ أَبُو الْخَطَّابِ
 الغناء للغريضِ خفيفُ رَمَلٍ عن الهشامِي وَهَّادِ بنِ إِسْحاقَ . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَباً ثُمَّ مَرْحَباً بالتي قا لَتْ غَدَاةَ الْوَدَاعِ عندَ الرَّحِيلِ
 لِلثَّرِيَّا قُولِي لَهُ أَنْتَ هَمِّي وَمُنَى النَّفْسِ خَالِياً وَخَلِيلِي
 الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنْصَرِ عن إِسْحاقَ . وفيه لابن سريج خفيف
 رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها³ : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بَانَ الْبَيْنَ بَعْدَ غَدٍ فَالْقَلْبُ مِمَّا أَزْمَعُوا يَجِفُّ⁴
 تَشْكُو وَنَشْكُو ما أَشْتَّ بِنَا كُلُّ لَوْشَكِ الْبَيْنِ يَعْتَرِفُ
 حَلَفُوا لَقَدْ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَحَلَفْتُ أَلْفًا مِثْلَ ما حَلَفُوا
 الغناء للغريضِ خفيفٌ ثَقِيلٌ بالوسطى . ومنها⁵ : [من الخفيف]

صوت

فَلَوْتُ رَأْسَهَا ضِرَاراً وَقالتُ لا وَعَيْشِي وَلَوْ رَأَيْتُكَ مِتّاً

1 البتول في ل : القتل .

2 ديوان عمر : 301-302 .

3 ديوان عمر : 258 .

4 وجف يجف : خفق .

5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آتَرْتَ بِالْمُودَةِ غَيْرِي وَتَنَاسَيْتَ وَصَلْنَا وَمَلَلْنَا
قَدْ وَجَدْنَاكَ إِذْ خُبِرْتَ مَلُولاً طَرِفاً لَمْ تَكُنْ كَمَا كُنْتَ قُلْتَنَا¹

الغناء للمالك رمل ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي ، وكذا رَوَتْهُ دنانير عن فليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

يَا خَلِيلِي سَائِلَا الْأَطْلَالَ وَمَحَلًّا بِالرُّوضَتَيْنِ أَحْالًا³
وَيُرَوَى : بِالْبَلَدَيْنِ إِنْ أُحْرَنَ سُؤَالًا⁴

وَسَفَاهُ لَوْلَا الصَّبَابَةُ حَبْسِي فِي رُسُومِ الدِّيَارِ رَكْبًا عِجَالًا
بَعْدَ مَا أَقْفَرْتُ مِنْ آلِ الثَّرِيَا وَأَجَدْتُ فِيهَا النَّعَاجُ ظِلَالًا

الغناء لابن سريج هزج خفيف مطلق في معجى البصر عن إسحاق . وفيه لحكم الوادي ثقيل أول من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أن فيه لابن عائشة لحناً لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أن فيه لدحمان لحناً ولم يُجَنِّسه . وقال حبش : فيه لإسحاق ثقيل أول بالوسطى .

[سهل ينقل الثريا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي ، يعني أبا العيناء ، عن القحذمي عن أبي صالح السعدي قال : لما تزوج سُهَيْل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشام ، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله ، فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه . فلما أدرهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى متكرراً حتى مرَّ بالخيمة ؛ فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضنتها : كلميه ؛ فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرّجُل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودّعها وبكى طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول⁵ : [من البسيط]

1 الطرف : الملول .

2 ديوان عمر : 321-322 .

3 الروضتان : مثني يراد به المفرد .

4 أحرن : رجعن ، رددن .

5 ديوان عمر : 315-317 مع بعض اختلاف .

عن حالٍ مَنْ حَلَّه بِالْأَمْسِ مَا فَعَلَا
 إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنِ فَاحْتَمَلَا
 فِي الْفَجْرِ يَحْتَثُ حَادِي عَيْسِهِمْ زَجَلَا¹
 هَوَاتِفُ الْبَيْنِ وَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلَا
 بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
 مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْنِي بِهِ جَدَلَا
 فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقَلَا
 فِي بَعْضِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرَّجُلَا²
 وَإِنْ أَتَى الذَّنْبَ مَنْ يَكْرَهُ الْعَذَلَا
 مَا آبَ مُغْتَابُهُ مِنْ عَيْنِنَا جَدَلَا
 وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى ذِي اللَّبِّ مَنْ هَزَلَا
 وَقَدْ أَرَى أَنَّهُ لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا³
 وَلَا الْفَوَادُ فَوَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا
 فَمَا عَيَّاتُ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوَلَا⁴
 مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَاشِي إِذَا مَجَلَا⁵
 وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَّنِي زَلَلَا

يا صاحبي قِفَا نَسْتَخْبِرِ الطَّلَا
 فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ
 وَخَادَعْتُكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ
 لَمَّا وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَّخَتْ
 صَدَتْ بِعَادًا وَقَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا
 وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتَ وَاسْتَمِعِي
 حَتَّى يَرَى أَنْ مَا قَالَ الْوُشَاةُ لَهُ
 وَعَرَفِيهِ بِهِ كَالْهَزْلِ وَاحْتَفَظِي
 فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ
 لَوْ عِنْدَنَا اغْتَيْبَ أَوْ نِيلَتْ نَقِصَتُهُ
 قُلْتُ اسْمَعِي فَلَقَدْ أُلْبَغْتَ فِي لَطْفٍ
 هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْدِرِهَا
 مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ
 أَمَا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أَتَيْتَ بِهِ
 مَا إِنْ أَطَعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ
 إِنِّي لِأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطَتِهِ
 وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي شِعْرِهِ .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المزيان
 قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني
 كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل أبيات شعر أنح
 بها على الثريا فقلت :

- 1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .
- 2 في بعض في الديوان : في غير .
- 3 لأعذرهما في الديوان : لتعذرهما .
- 4 الحول : الحيلة .
- 5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

[من الخفيف]

صوت

أَلَا يَا عَيْنُ مَا لَكَ تَدْمَعِينَا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيتِ فَتَكْهَلِينَا
أَمْ أَنْتِ حَزِينَةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونَا

غنى الغريض في هذين البيتين لحناً من خفيف الثقل الأول بالوسطى عن عمرو ويحيى المكي والمشامي وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن ثعلبة بن عبد الله بن صعير : أن عمر بن أبي ربيعة نظر في الطواف إلى امرأة شريفة ، فرأى أحسن خلق الله صورةً ، فذهب عقله عليها ، وكلّمها فلم تجبه ؛ فقال فيها : [من البسيط]

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِمَّنْ تَسْحَبُ الرِّيحُ
كَيْمَا تَجُرُّ بِنَا ذَيْلًا فَتَطْرَحُنَا عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُعْبَرَةٌ سُوْحُ
أَنْتِي بِقُرْبِكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أُمْسَتْ لَنَا رُوحُ
فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِجُ
إِحْدَى بُنَيَاتِ عَمِّي دُونَ مَنَزَلِهَا أَرْضٌ بَقِيعَانَهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ

فبلغها شعره فجزعت منه . فقيل لها : اذكره لزوجك ؛ فإنه سينكر عليه قوله . فقالت : كلاً والله لا أشكوه إلا إلى الله . ثم قالت : اللهم إن كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فضرَب الدهرُ من ضربه ، ثم إنه غدا يوماً على فرس فهبَّت ريحٌ فنزل فاستتر بسلمة² ، فعصفت الريح فخذشه غصنٌ منها فذمي وورم به ومات من ذلك .

1 ديوان عمر : 89 .

2 ل : فنزل فاستندى .

[6] - أخبار ابن سريج ونسبه¹

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويُكنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مناف . وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال : ابن سريج مولى لبني ليث ، ومنزلُه مكة .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عتبة اللّهمي عن ابن سريج فقال : هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفي بني عائذ يقول الشاعر :

فإن تَصْلُحْ فإنك عائذي وصلحُ العائذي إلى فساد²

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن نوفل بن عمار : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدّم سنّاطاً³ في عينيه قبل⁴ ، بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصلح فكان يلبس جُمّة⁵ مركبة ، وكان أكثر ما يرى مُقنعاً ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال : كان ابن سريج مُحَنّاً حول أعمش يُلقب «وجه الباب» ، وصلح فكان يلبس جُمّة ؛ وكان لا يُغني إلا مقنعاً يُسبل القناع على وجهه .

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين : كان ابن سريج أحسن الناس غناء ، وكان يُغني مُرتجلاً ويُوقع بقَضيب ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .

2 من قصيدة لحسان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزائن 6 : 103-104 .

3 سنّاط : لا يثبت شعر في لحيه .

4 القبل : ضرب من الحول .

5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهِبِيِّ يَرُوي مثل ذلك فيه ، وذكر أن قبره بنخلة¹ قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسان قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناء . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذلي : سمعت ابن جريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيد .

قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيوب بن سلمة المخزومي قال : كان في عين ابن سريج قبل حُلُوِّ لا يبلغ أن يكون حوْلاً ، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صلغ في جبهته ، وكان يلبس جُمَّةً مُرَكَّبَةً فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يُلقَّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تُرْكِيًّا .

وقال أبو أيوب المدني : كان ابن سريج ، فيما روينا عن جماعة من المكِّيِّين ، مولى بني جندع بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنى سَدَلَ قِنَاعَهُ على وجهه حتى لا يُرى حوله ، وكان يُوقَّع بقصيب ، وقيل : إنه كان يضرب بالعود ، وكانت عِلَّتُهُ التي مات منها الجُدَام .

[ابن سريج أول من ضرب بالعود الفارسي على الغناء العربي]

قال إسحاق وحدثني أبي² قال : أخبرني مَنْ رأى عود ابن سريج وكان على صَنَعَةِ عيدانِ الفُرس ، وكان ابن سريج أول من ضرب به على الغناء العربي بمكة . وذلك أنه رآه مع العَجَم الذين قَدِمَ بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أهدق الناس .

[أم ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيري : أن أم ابن سريج مَولاة لآلِ الْمُطَّلِبِ يقال لها «رائقة» ، وقيل : بل أمُّه هند أختُ رائقة ؛ فمن ثم قيل : إنه مولى بني المُطَّلِبِ بن حنطب . وكان ابن سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلِب بن عبد الله بن المُطَّلِب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قريش ووجهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجح .

[أصول الغناء العربي]

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعة نفر : مكِّيَّان ومدينيَّان ؛ فالمكِّيَّان : ابن سريج وابن محرز ، والمدينيان : معبد ومالك .

1 هي نخلة اليمانية .

2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أول شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : أخبرني بذلك مَنْ شِئْتَ مِنْ مَشِيخَتِنَا : أَنْ يَوْمًا شُهِرَ فِيهِ ابْنُ سَرِيحٍ بِالْغِنَاءِ فِي خِتَانِ ابْنِ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ . قَالَ لَأُمُّ الْغَلَامِ : خَفَضَنِي عَلَيْكَ بَعْضُ الْغُرَمِ وَالْكَفَّةِ ؛ فَوَاللَّهِ لَأَلْهَيْنَ نِسَاءَكَ حَتَّى لَا يَدْرِينَ مَا جِئْتَ بِهِ وَلَا مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ .

[شهادة هشام بن المُرِّيَّة في ابن سريج]

قال إسحاق : وَسَأَلْتُ هِشَامَ بْنَ الْمُرِّيَّةِ ، وَكَانَ قَدْ عُمِّرَ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْغِنَاءِ فَلَا يُبَارَى فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَحَدُ النَّاسِ بِالْغِنَاءِ ؟ فَقَالَ لِي : أُتَجِبُ الْإِطَالَةَ أَمْ الْإِخْتِصَارَ ؟ فَقُلْتُ : أَحَبُّ الْإِخْتِصَارِ الَّذِي يَأْتِي عَلَى سَوَالِي . قَالَ : مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ دَاوُدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَلَا صَاغَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا أَحَدَقَ مِنْهُ بِالْغِنَاءِ ، وَيَذُكُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَعْبَدًا كَانَ إِذَا أَعْجَبَهُ غَنَاؤُهُ وَقَالَ : أَنَا الْيَوْمَ سَرِيحِي .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أَدْرَكْتُ يُونُسَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبَ فَحَدَّثَنِي عَنْ الْأَرْبَعَةِ : ابْنِ سَرِيحٍ وَابْنِ مُحَرَّرٍ وَالْغَرِيضِ وَمَعْبَدٍ . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً ؟ فَقَالَ : أَبُو يَحْيَى . قُلْتُ : عَبِيدُ ابْنِ سَرِيحٍ ؟ قَالَ نَعَمْ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتَ فَسَرْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَجْمَلْتُ . قُلْتُ : أَجْمَلُ . قَالَ : كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ ، فَهُوَ يُعْنِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَا يَشْتَهِي .

[شهادة إبراهيم الموصلي فيه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةَ قَالَ قَالَ حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ : أَخْبَرَنِي أَبِي عَنِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ قَالَ : سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ لَيْلَةً وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ النَّبِيذُ : مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ غِنَاءً ؟ فَقَالَ لِي : مِنَ الرِّجَالِ أُمُّ مِنَ النِّسَاءِ ؟ فَقُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ . فَقَالَ : ابْنُ مُحَرَّرٍ . قُلْتُ : وَمَنِ النِّسَاءِ ؟ قَالَ : ابْنُ سَرِيحٍ . ثُمَّ قَالَ لِي : إِنْ كَانَ ابْنُ سَرِيحٍ إِلَّا كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهُوَ يُعْنِي لَهُ مَا يَشْتَهِي !

[شهادة إسحاق الموصلي فيه]

أخبرني جَحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمُنَجِّمُ قَالَ : أُرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مَصْعَبٍ إِلَى إِسْحَاقَ أَسْأَلُهُ عَنْ لَحْنِهِ وَلَحْنِ ابْنِ سَرِيحٍ فِي : [من الطويل]

تَشَكَّى الْكَمِيتُ الْجَرِي لَمَّا جَهَّدَتْهُ

أَيُّهُمَا أَحْسَنُ ؟ فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ فَرَعَرْتُهَا وَأَتَحْتُهَا وَقَمْتُ بِهَا فَمَا بَلَغَتْهُ . فَرَجَعْتُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ لَحْنَهُ أَحْسَنُ مِنْ لَحْنِ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَلَقَدْ تَحَامَلُ ابْنُ سَرِيحٍ عَلَى نَفْسِهِ ،

ولكن لا يدع تعصبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحوه ما ذكره جَحْظَةُ في خبره ولم يقل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جحظة في خبره : قال علي بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنه قلما غني في صوت واحد لحنان فسقط خبرهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحن إسحاق ، وقد ترك لحن ابن سريج ، فقل من يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايع المغنين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبحر]

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال : يقولون : إن ابتداء غناء إسحاق الذي في¹ :

[من الطويل]

تَشْكِي الكُمَيْتِ الجَرِي لما جَهْدُهُ

إنما أخذه من صوت الأبحر :

[من الطويل]

يقولون ما أبْكَكَ والمالُ غامر²

نسبة هذا الصوت صوت

[من الطويل]

يقولون ما أبْكَكَ والمالُ غامر عليك وضاحي الجلد منك كَبِينُ
فقلت لهم لا تسألوني وانظروا إلى الطَّربِ النَّزاعِ كيف يكون
غناه الأبحر ثقيلاً أول بالبصر ، عن عمرو ودنانير . وذكر الهشامي أن فيه لعزة المرزوقية
ثاني ثقيل بالوسطى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سباط قال : كان ابن سريج أول من غنى الغناء المتفنن بالحجاز بعد طويس ، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطَّاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُعْنَى نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة³ بالمدينة ، فعلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعر هو

1 ل : الذي فيه الصباح .

2 أبْكَكَ في ل : أبْلاك (حيث وردت) .

3 اسمه مسلم بن عقبة ولقب مسرفاً لأنه صاحب معركة الحرّة .

اليوم داخل في أغانيه ، وهو :

[من السريج]

يا عينُ جودي بالدموع السفاح وابكي على قتلى قُرَيْشِ البطاح
فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أول ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا : أن سَكِينَةَ بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخل في غنائه . والشعر :

[من الكامل]

يا أرضُ ويحك أكرمي أمواتي فلقد ظفرت بسادتي وحماتي
فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف .

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكنت جميعاً : أن سَكِينَةَ بعثت إليه بمملوك لها يقال له عبد الملك ، وأمرته أن يُعلمه النباح ، فلم يزل يُعلمه مدة طويلة ، ثم توفي عنها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام ، وكان ابن سريج غليلاً علة صعبة فلم يقدر على النباح . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أنوح لك نوحاً أنسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تحسن ذلك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نوح غريض ؛ فلقّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية ، فقال لهم : فمن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلام سَكِينَةَ . قال : فهل جوز الناس نوحه ؟ قالوا : نعم وقدّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح وعدل إلى الغناء ، فلم ينح حتى ماتت حبابه ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنّت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم ينح بعده حتى هلك . قال : ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغني صوتاً إلا عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضر أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذي طوى¹ ، وعليه ثياب مصبغة وفي يده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ويجذبها به كلما تخلّفت ؛ فقال له عطاء : يا فتان ، ألا تكف عما أنت عليه ؟ كفى الله الناس مؤوتك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجرادتي ؟ فقال له : تفنّهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلّم ، وبحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عليك ، إلّا ما سمعت منّي بيتاً من الشعر ، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أقسم بالله وبحقّ هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك منّي بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلن ذلك . فأطمع ذلك عطاء في ابن سريج ، وقال : قل . فاندفع يغني شعر جرير¹ :
[من الكامل]

صوت

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غَادَرُوا وَشَلًّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا²
غِيَصُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى عن ابن المكيّ والحشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل .
ولإسحاق فيه رملٌ آخرٌ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريض . قال :
فلما سمعته عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريجياً ، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلّا
بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو
خير من الأخبار ، لا يجيبه إلّا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُشيد هذا الشعر حتى
صلى المغرب ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له .

[ابن سريج ويّزید بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ
قال حدثني الفضل بن محمد البيديّ قال حدثني إسحاق عن ابن جامع عن سباط عن يونس
الكاتب قال : لما قال عمر بن أبي ربيعة :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنَى وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّخَرُّجُ عَارِمٌ
غَنَى فِيهِ ابْنُ سَرِيحٍ .

قال : وحجّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن
سريج على نَجِيبَيْنِ رِحَالَتَاهُمَا³ مُلبَّستان بالذّيباج ، وقد خضبا النجيين ولبسا حُلَّتَيْنِ ، فجعلا
يتلقيان الحاجّ ويتعرّضان للنساء إلى أن أظلم الليل ، فعَدَلَا إلى كَتِيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ
يُضِيءُ ، فجلسا على الكتيب ، وقال عمر لابن سريج : غنني صوتك الجديد ؛ فاندفع يغني ،
فلم يستتمّه إلّا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلم ثم قال : أيمكنك ، أعزّك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .

2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .

3 الرحالة : سرج من جلد يتخذ للخيال والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم وَنُعْمَةً عَيْنٍ ، على أن تنزل وتجلس معنا . قال : أنا أَعْجَلُ من ذلك ، فإن أَجْمَلْتَ وَأَنْعَمْتَ أَعَدْتَهُ ، وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حَيَّاكَ الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حَيَّاكَ الله يا أبا الخَطَّابِ ؛ فقال له : وأنت فحْيَاكَ الله ، قد عَرَفْنَا فَعَرَفْنَا نَفْسَكَ . قال : لا يمكنني ذلك . فَغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثب إليه عمر فأعظمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبلَ رِكابه ؛ فنزع حُلَّتَهُ وخاتمَهُ فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِقَ ثَقَلَهُ . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إِيَّاهُما ، وقال له : إنَّ هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرَفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمهُ ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحَدَّثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حَدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : حَجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نسيب له مخضوب بالحناء مشهَر الرَّحْلِ بِقَرَابٍ¹ مذهب ، ومعه عبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جَنَادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحَجَّلاً ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسميه «الكوكب» ، في عنقه طوق ذهب ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر² : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَادٍ خُذِ السيفَ واشتملْ
عليه برفقٍ وارْقُبِ الشمسَ تَغْرُبْ
وأُسْرِجْ لي الدَّهْمَاءَ واعجَلْ بِمِمْطَرِي
ولا تُعْلِمَنَّ خَلْقاً من الناس مَذْهَبِي³

الغناء لَزُرَّزُرٍ غلامٍ المارقي خفيفٌ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعهُ ، قال : ومع عمر جماعةٌ من حَشَمِهِ وَغِلْمَانِهِ وَمَوَالِيهِ وعليه حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان⁴ مرتفعان ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إِلَّا عَجِبَ من حسن هيئتهم ، وكان عمر من أَعْظَرَ الناس وأحْسَنِهِمْ هَيْئَةً ، فخرجوا من مكة يومَ التَّروِيَةِ بعد العَصْرِ يريدون مِنِّي ، فَمَرُّوا بمنزل رجلٍ من بني عبد منافٍ بمِنًى قد ضُرِبَتْ عليه فساطيطُهُ وخِيَمُهُ ، ووافي الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من

1 القراب : شبيه الجراب .

2 ديوان عمر : 55-56 .

3 المِمْطَر : معطف يتقي به المطر . خَلْقاً في الديوان : حياً .

4 ثوب هروي : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتْهَا ، وسَتَرَ جوارِها دون القُبَّة لئلا يراها مَنْ مَرَّ . فأشرف عمر على النَّجِيب فنظَرَ إليها ، وكانت من أحسن النساء وأجملهن . فقال لها جوارِها : هذا عمر بن أبي ربيعة . فرفَعَتْ رأسها فنظرت إليه ، ثم سَتَرَتْها الجواري وولائدها عنه وبَطَنَ دونها بِسَجْفِ القُبَّة حتى دخلت . ومضى عمر إلى منزله وفساطيطه بمِئى ، وقد نظَرَ من الجارية إلى ما تَيَمَّه ومن جمالها إلى ما حَيَّرَه ، فقال فيها¹ :

نظَرْتُ إليها بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِئى	ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمْ
فقلتُ أَشْمَسَ أم مَصايِجُ يَبْعَة	بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالمٌ
بَعِيدُهُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لَنَوَقُلْ	أبوها وإمَّا عَبْدُ شمسٍ وهاشِمٌ
وَمَدَّ عليها السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْها	على عَجَلٍ تُبَاغِها والخَوادِمُ
فلم أَسْتَطِعْها غَيْرَ أنْ قد بدا لنا	على الرَّغْمِ منها كَفُّها والمعاصِمُ ²
مَعاصِمٌ لم تَضْرِبْ على البَهِمِ بالضُّحى	عَضاها ووجهٌ لم تَلَحْه السَّمائِمُ
نَظِيرٌ تَرى فيه أَساريِعَ مائه	صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الأَكُفُ النُّواعِمُ
إذا ما دَعَتْ أترابها فاكْتَفَنَها	تَمَائِلُنَ أو مَالَتْ بهنَّ المآكِمُ
طَلَبَنَ الصِّبا حتى إذا ما أَصْبَنَها	نَزَعْنَ وهنَّ المُسْلِماتُ الظَّوالمُ

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيى ، إِنِّي تَفَكَّرْتُ في رجوعنا مع العَشِيَّة إلى مَكَّة مع كثرة الزَّحام والغبار وِجَلَّة الحاجِّ فنقل عليّ ، فهل لك أن تَرُوحَ رَواحاً طَيِّباً معترلاً ، فَرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلها ، ونرى أهلَ العراق وأهلَ الشَّام وتعلَّل في عَشِيَّتينا وليلتنا ونستريح ؟ قال : وأنَّى ذلك يا أبا الخَطَّاب ؟ قال : على كَتِيبِ أَبِي شَحْوَة³ المُشْرِف على بطن يَأْجِج⁴ بين مِئى وسَرِف ، فَنُبْصِرُ مرورَ الحاجِّ بنا ونزاهم ولا يَرَوْنَا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله يا سيّدي . فدعا بعضُ خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمَكَّة ، فاعملوا لنا سَفْرة واحملوها مع شرابٍ إلى الكَتِيب ، حتى إذا أُبرَدنا ورمينا الجمره صرنا إليكم ؛ قال : والكتيب على خمسة أميال من مَكَّة مُشْرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كَتِيبٌ شامخٌ مُسْتَدِقٌ أعلاه منفردٌ عن الكتبان ؛ فصارا إليه فأكلا وشربا . فلمَّا انتشيا أخذ ابن سريج

1 ديوان عمر : 348-349 .

2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .

3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .

4 يَأْجِج : موضع قريب من مَكَّة .

الدُّفَّ ففقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج . فلما أُمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الرُّكبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تنقي الله قد حبست الناس عن مناسكهم ؛ فيسكت قليلاً ، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، إلى أن مرَّت قطعة من الليل ، فوقف عليه في الليل رجل على فرس عتيقٍ عربيٍّ مَرَحٍ مُسْتَنٍّ¹ فهو كأنه ثملٌ ، حتى وقف بأصل الكئيب وثني رجله على قُرْبُوسٍ² سرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهلُ عليك أن ترُدَّ شيئاً ممَّا سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عينٍ ، فأيتها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ :

أَلَا يَا غُرَابَ اللَّيْلِ مَا لَكَ كَلَمًا نَعَبْتَ بِفَقْدَانِي عَلَيَّ تَحُومٌ
أَبَالَيْنٍ مِنْ غَفَاءٍ أَنْتَ مُخْبِرِي عَدِمْتُكَ مِنْ طِيرٍ فَأَنْتَ مَشُومٌ

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازدد إن شئت . فقال : غنّني :

أَمَسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ³
شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي⁴
وَنُوْهَتْ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ⁵

فغناه ، فقال له : الثالث ولا أَسْتَرِيدُكَ . فقال : قل ما شئت . فقال : تُغنّيني .

[من المنسرح]

يَا دَارُ أَقْوَتٍ بِالْجِرْعِ فَالْكَتَبِ بَيْنَ مَسِيلِ الْعُدْبِ فَالرُّحْبِ⁶
لَمْ تَقْنَعْ بِفَضْلِ مِزْرَهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدٌ فِي الْعَلْبِ⁷

فغناه . فقال له ابن سريج : أَبَقَيْتَ لَكَ حَاجَةٌ ؟ قال : نعم ، تنزل إلي لأخاطبك شفاهاً بما أريد . فقال له عمر : انزل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أَنِّي أريد وداع الكعبة وقد تقدّمني ثَقَلِي وغلّمني لأَطَلْتُ المَقَامَ مَعَكَ وَلَنْزَلْتُ عِنْدَكَ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ يَفْضَحَنِي الصُّبْحُ ، وَلَوْ كَانَ ثَقَلِي

1 مستنّ : مَرَحٍ نشيط .

2 قروبوس السرج : مقدمه ومؤخره .

3 نداء «مسلمة» مرخم .

4 حبلٌ في رواية : «جزء» .

5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكرى وما كان ميتاً .

6 الكتب : اسم وادٍ . انظر ديوان جرير : 67 .

7 العلب : جمع علبة ، إثناء لحفظ اللين (يعني أنها ليست بدويّة) .

معي لما رَضِيتُ لك بالهُوينا ، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخَاتَمِي ولا تُخَدِّعِ عنهما ؛ فإنَّ شراءَهما ألفٌ وخمسمائة دينار . وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْخَصْبِ مِنْ مِنيٍّ وليَ نظِرْتُ لولا التَّحَرُّجُ عارِمْ
فقلتُ أَشْمَسُ أمْ مَصابِيحُ بَيْعَةٍ بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفَرِ أمْ أَنْتَ حَالِمٌ
بعيدةٌ مَهْوى القُرطِ إِمَّا لَنَوْفَلٍ أبوها وإِما عَبْدُ شَمْسٍ وهاشمٌ
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالسَّيِّبَةِ في مجرى البَنْصَرِ عن إسحاق .
وفيه لابن سريج رَمَلٌ بالسَّيِّبَةِ في مجرى البَنْصَرِ عنه . وقد نُسِبَ في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

[من الطويل]

أَلا يا غُرَابَ الْبَيْتِ مالَكَ كُلِّما نَعَبْتُ بِفَقْدَانٍ عَلَيَّ تَحُومٌ
أَبالْبَيْتِ مِنْ عَفْراءَ أَنْتَ مُجَبِّرِي عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فَأَنْتَ مَشُومٌ
الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إِنَّهُ لَغَيْرُهُ¹ . والغناء لابن سريج رَمَلٍ بالوسطى عن
الحشامي .

صوت

[من الطويل]

أَمْسَلَمَ إِنِّي يا ابنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ويا فارسَ الْهَيْجَا ويا قمرَ الْأَرْضِ²
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ الثَّقَى وما كُلُّ مَنْ أَوَّلِيتهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي
وَنَوَّهَتْ لِي بِاسْمِي وما كانَ خاملاً ولكنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ
الشعر لأبي نُحَيْلَةَ الْحِمَّانِيِّ . والغناء لابن سريج ثَانِي ثَقِيلٍ بالوسطى ، وقد أُخْرِجَ هذا
الصوت مع سائر أخبار نُحَيْلَةَ في موضعٍ آخَرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ
قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي خَلِيفَةَ قَالَ : كَانَ أَبِي نَازِلًا فِي غُلُوٍّ ، فَكَانَ الْمَغْنُونُ يَأْتُونَهُ . قَالَ فَقُلْتُ :

1 لعلَّه لعروة بن حزام ، فعفراء صاحبه ، ولابن ذريح لبني .

2 ويا قمر في رواية «ويا جبل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غناءً ؟ قال : لا أدري ، إلّا أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سكّوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شُبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ ومحمد بن سلام عن المُحرز بن جعفر عن عمر¹ بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمعَ غناءً ، فلمّا انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه ، فقالوا : إنّ بك لشرّاً . قال : إنّ ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إنّ كان من الجنّ إنّهُ لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنس فما انتهى مُنتهاه شيء ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى :

صوت

أُمنَ رَسْمِ دارِ بوايِ غُدْرَ لجاريةٍ مِن جَواري مُضَرَّ²
خَدَلَجَةِ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ سَلُوسِ الوِشاحِ كَمَثَلِ القَمَرِ³
تَرينُ النساءَ إذا ما بَدَتْ ويُيْهَتُ في وجهها مَنَ نَظَرُ⁴

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مرّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنّى :

بَتَّ الخَلِيطُ قُوى الحَبَلِ الذي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُّ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائني : وبلغني من وجه آخر أنّه سمِعَهُ يُغَنِّي :

قَرَّبَ جيراننا جِمالَهُم ليلاً فاضْحَوْا معاً قد ارتَفَعُوا⁵
ما كنتُ أدري بوشكٍ بَيْنَهُم حتى رأيتُ الخُدادةَ قد طَعَعُوا

فقال هذه المقالة .

1 ل : عمير .

2 غدر : من مخاليف اليمن .

3 خدلجة : ممتلئة الذراعين . سلوس : (الوشاح) لِيَتَهُ .

4 ييهت : يدهش .

5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

بَتَ الْخَلِيطُ قَوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا إِذْ وَدَّعُوكَ فَوَلُّوا ثُمَّ مَا رَجَعُوا
وَأَذْنُوكَ بَيِّنٍ مِنْ وَصَالِهِمْ فَمَا سَلَوْتَ وَلَا يُسْلِيكَ مَا صَنَعُوا
يَا ابْنَ الطَّوِيلِ وَكَمْ أَثَرْتَ مِنْ حَسَنِ فِينَا وَأَنْتَ بِمَا حُمِلْتَ مُضْطَلِعُ
نَحْطِي وَنَبْقَى بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَنَا فَإِنْ هَلَكْتَ فَمَا فِي مَلَجٍ طَمَعُ

الشعر للأخوص ، والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر على إسحاق وذكر حبش أن فيه رملًا بالوسطى عن الهشامي .

نسبة الصوت الآخر

صوت

[من المنسرح]

قَرَبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلًا فَأَضْحَوْا مَعًا قَدْ ارْتَفَعُوا
مَا كُنْتُ أَدْرِي بِوَشْكَ بَيْنِهِمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحِدَادَةَ قَدْ طَلَعُوا
عَلَى مَصْكُكَيْنِ مِنْ جِمَالِهِمْ وَغَتَّرِيسَيْنِ فِيهِمَا خَضَعُ¹
يَا قَلْبُ صَبْرًا فَإِنَّهُ سَفَهُ بِالْحُرِّ أَنْ يَسْتَفْزِرَهُ الْجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقیلٌ أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه . وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكِّي . وذكرت دنائير والهشامي أن فيه لمعد ثاني ثقیل . وذكر عمرو بن بانه أن الثقیل الأول للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن سريج خفيف ثقیل .

[عدد الأصوات التي غنى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وعنده إسحاق الموصليّ ، فقال إسحاق : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً . فقال لي . ثم جعلاً يُنشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك ، ثم أنشد

1 العتريس : الناقة القويّة الصلبة . المصك : القويّ .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنَّ لحنَ هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني ، ولحنَ الثاني من لحنه الفلاني ، حتى عدَّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُعْنِي¹ الناس بما يشتهون ، فلا يُعْنِيهم صوتاً مُدِح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنه يَعْدِلُ بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نَعُدَّهما اثنين عند التحصيل مِنَّا لغنائه ، فصدقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيتها أولى عندك بالتقدمة ؟ فقال :

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطَهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ

فقال له إبراهيم : أَحْسِبُكَ يَا أبا محمد ، مُتَعْتُ بِكَ ، مَا أُرِدْتُ إِلَّا مُسَاعِدَتِي . فقال : لا ، والله ما إلى هذا قَصْدْتُ ، وإن كنتُ أَهْوَى كُلَّ مَا قُرَّبَنِي مِنْ مُحَبَّتِكَ . فقال له : هذا أَحَبُّ أَغَانِيهِ إِلَيَّ ، وما أَحْسَبُهُ فِي مَكَانٍ أَحْسَنَ مِنْهُ عِنْدِي ، ولا كان ابن سريج يَتَغَنَّاه أَحْسَنَ مِمَّا يَتَغَنَّاه جَوَارِي . ولكن كان ذلك فما هو عِنْدِي فِي حُسْنِ التَجَزُّؤِ وَالْقِسْمَةِ وَصَحَّتُهُمَا مِثْلُ لَحْنِهِ فِي² :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيَّيَا أُمَّ يَعْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى³
أَجْمَعُ الْحَيُّ رَحْلَةً ففَوَادِي كَذِي الْأَسَى
قُلْتُ لَا تُعْجِلُوا الرِّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى

الغناء لابن سريج من القَدَرِ الأوسط من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وفيه للهدلي خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكي . وفيه لملك ثقيل أول بالبنصر عن عمرو . وفيه لحنان من الثقيل الثاني : أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسبه قومٌ إلى ابن مُحرز ، ولم يصح ذلك . قال : فاجتمعا معاً على أَنَّهُ أَوَّلُ أَغَانِيهِ وَأَحَقُّهَا بالتقديم . وأمرني أبو إسحاق بِتَدْوِينِ مَا يَجْرِي بينهما وَيَتَّفِقَانِ عَلَيْهِ ، فَكُتِبَتْ هَذَا الشَّعْرُ . ثم اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الَّذِي يَلِيهِ :

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطَهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ

1 ل : يعاشر .

2 ديوان عمر : 16 .

3 أم يعمر في رواية : أم معمر .

فأثبته أيضاً . ثم تناظراً في الثالث فاجتمعا على أنه : [من الكامل]

ففركته جَزَرَ السَّباع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رأسِهِ والمِعْصَمِ
فقال إسحاق : لو قدَّمناه على الأغاني التي تَقَدَّمَتْ كُلُّهَا لكان يستحقُّ ذلك . فقال أبو
إسحاق : ما سمعته منذ عرفته إلا أُنْكَاني ؛ لأنِّي إذا سمعته أو ترنَّمتُ به وجدتُ غَمراً على
فؤادي لا يَسْكُنُ حتى أبكي . فقال إسحاق : إن مذهبه فيه لِيُوجِبُ ذلك ؛ فدَوْنَهُ ثالثاً . ثم
اتَّفقا على الرابع وأثَّه : [من الطويل]

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظِرٍ ولا كَلِيالي الحَجِّ أَفْتَنَ ذا هَوَى
وتحدَّثنا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتَّفقا على أنه : [من السريع]
عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرُجِي
فأثبته . ثم تناظراً في السادس واتَّفقا على أنه : [من مجزوء الوافر]

ألا هَلْ هاجَكَ الأَطْعَا نُ إذ جَاوَزَ مُطْلَحَا
فأثبته . ثم تناظراً في السابع فاتَّفقا على أنه : [من الكامل]
غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِيهِنَّ وَقُلْنِ لِي ماذا لَقِيتَ مِنَ الْهُوَى وَلَقِينَا
فأثبته . وتناظرا في الثامن فاتَّفقا على أنه : [من الرمل]

تُنَكِّرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنَّ تَسْمَعَ مِنْهُ بِحَبْرٍ
فأثبته . وتناظرا في التاسع فاتَّفقا على أنه : [من الطويل]
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقِيِي أَكَلَفُهَا سَيْرَ الْكَلالِ مَعَ الظَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وَإِذَا مَا عَثَرَتْ فِي مَرْطِهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي .
ومنها : [من الكامل]

صوت

ففركته جَزَرَ السَّباع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رأسِهِ والمِعْصَمِ
الشعرُ لَعَنَتْرَةَ بْنِ شَدَادِ الْعَبْسِيِّ . والغناء لابن سريج ثقيلٍ أوَّلٍ بالوسطى عن

عمرو¹ ومنها :

[من الطويل]

صوت

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كِلْيَالِي الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوًى
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها² :

[من السريع]

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رِثَّةَ الْهَوْدَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَخْرَجِي
الشعرُ للعرجي . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها³ : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأُظْعَا نُ إِذْ جَاوَزَ مُطْلَحَا
الشعر لعمر . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه
للغريض لَحْنَانٌ : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عمرو بن بَانَةَ . وفيه لمبعدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ثَالِثٌ بِالْخَصْرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ .
ومنها :

[من الكامل]

صوت

غَيْضُنْ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
الشعر لجريز . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لإسحاق رَمَلٌ بِالْوَسْطَى . وفيه
للّهذلي ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . ومنها :

[من الرمل]

صوت

تَنْكِيرُ الْإِثْمِيدِ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ
الشعر لعبد الرحمن بن حَسَّانَ . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْوَسْطَى . ومنها :

[من الطويل]

صوت

وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقِيَةً أَكَلَفُهَا سَيْرَ الْكَالِلِ مَعَ الظَّلْعِ
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لإسحاق رَمَلٌ بِالْوَسْطَى .

1 ل : عن الهشامي .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه : أن معبداً تغنى : [من الرمل]

أَبَ لَيْلِي بِهِمُومٍ وَفَكَرٍ مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حَزْنِي وَالسَّهَرُ¹
يَوْمٌ أَبْصَرْتُ غَرَاباً وَاقِعاً سَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

فعارضه مالكٌ فغنى في أبيات من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وَجَرَّتْ لِي طَبِئَةً يَتَبَعُهَا لَيْنُ الْأَطْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
كَلَّمَا كَفَكُفْتُ مَنِّي غَيْرَةً فَاضَتْ الْعَيْنُ بِمُنْهَلٍ دِرَرٍ³

قال : فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين ، فقال كل واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أجودُ صنعةً منك . فتنافرا إلى ابن سريج فمَضَيَا إليه بمكة . فلَمَّا قَدِمَاها سألَا عنه ، فأخبرَا أنه خرج يَطْرُفُ⁴ بالخناء في بعض بساتينها . فاقْتَفَيَا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الخناء ، فقالا له : إِنَّا خرجنا إليك من المدينة لِتَحْكُمَ بَيْنَنَا في صوتين صنعناهما . فقال لهما : لِيُغَنَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صوته . فابتدأ معبدٌ يُغَنِّي لحنه . فقال له : أحسنتَ والله على سوء اختيارك للشعر ! يا ويحك ! ما حَمَلَك على أن ضَمَيْتَ هذه الصنعة الجيدة في حُزْنٍ وسَهَرٍ وهمومٍ وفكر ! أربعة ألوانٍ من الحُزْنِ في بيتٍ واحد ، وفي البيت الثاني شرانٌ في مضراعٍ واحدٍ ، وهو قولك : [من الرمل]

سَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

ثم قال للمالك : هاتِ ما عندك ، فغناه مالك . فقال له : أحسنتَ والله ما شئت ! فقال له مالك : هذا وإنما هو ابن شهره ، فكيف تراه يا أبا يعنى يكون إذا حال عليه الحولُ ؟ قال دحمان : فحدثني معبد أن ابن سريج غضب عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالخناء من يديه وأصابعه وقال له : يا مالك ، إني تقول ابن شهره ! اسمعْ مني ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عبَّاد ، أنشدني القصيدة التي تغنيتمَا فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهت إلى قوله : [من الرمل]

تُنْكَرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَيْرٍ

فضاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنى فيه ؛ فانصرفنا مَقْلُوبَيْنِ مَفْضُوحَيْنِ من غير أن نُقِيمَ بمكة ساعةً واحدةً .

1 وفكر في ل : وذكر .

2 لَيْنُ الْأَطْلَافِ في ل : لَيْنُ الْأَطْرَافِ .

3 أي كالمطر المتتابع .

4 ينطرف بالخناء : يخضب به أطراف أصابعه .

نسبة هذه الأغاني كلها صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْلِي بِهِمُومٍ وَفَكَرَ
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غَرَاباً وَاقِعاً
يَنْتِفِ الرِّيشَ عَلَى عُيْرِيَّةٍ
مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي وَالسَّهَرُ
شَرٌّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ
مُرَّةَ الْمُقْضَمِ مِنْ دَوْحِ الْعُشْرِ¹

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقول في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيهه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .
والغناء لمبعد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر عمرو بن بائة أنه للغريض ، وله لحن آخر في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وَجَرَتْ لِي ظَبِيَّةٌ يَتَبِعُهَا
لَيْنُ الْأُظْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
خَلَفَهَا أَطْلَسٌ عَسَّالُ الضُّحَى
صَادَقَتْهُ يَوْمَ طَلٍّ وَخَصَرِ³
الغناء للمالك خفيف ثقيل بالنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إِنَّ عَيْنَيْهَا لَعَيْنَا جُودِرُ
أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ
تُنْكِرُ الْإِثْمَ لَا تَعْرِفُهُ
غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَيْرِ
الغناء لابن سريج رمل بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكي .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهزاج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد : لما ضاد ابن سريج الغريض وناوَاهُ ، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعض أطراف مكة داراً بآتيانها في كل جمعة ويجتمع لهما ناس كثير ، فيوضع لكل

1 العرية : من شجر السدر .

2 الأظلاف في ل : الأطراف .

3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتز إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويتراءانه . قال : فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناؤه من الناس لقربه من النّوح وشبهه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصّرت الغناء وحذفتّه وأفسدته . فقال له : نعم يا مخنث ، جعلت نّوح على أبيك وأمك ، إليّ تقول هذا ؟ والله لأغنينّ غناء ، ما غنى أحد أثقل منه ولا أجود . ثم تغنى :

تشكّى الكميت الجريّ لما جهده

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرّة قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بدّته وينحرّها عنه ، ويقول : هذا أقلّ حقّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مخلّد بن خدّاش المهلبّي : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبد ، فقديم قادم من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسائله عن الأخبار وهو يُخبره ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أحسنّ الناس غناء . فقيل له : أو لم تكن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومُ سُرّيجيّاً .

[أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائنيّ قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزوميّ ، وكان يصليّ في كلّ يوم ليلة ألف ركعة ، فلما رأيته تجوّز¹ وقال : ما معك من مبيكات ابن سريج ؟ قلت قوله :

وَلَهُنَّ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ طَعَانًا	حَيًّا الْخَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَزَمُ
لَبُثُوا ثَلَاثَ أَبَاطِمٍ مَنَى غَيْطَةٍ	وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ لَعَمْرُكَ مَا هُمُ
مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ	لَوْ قَدْ أَجَدَ تَفَرَّقَ لَمْ يَنْدُمُوا

فقال لي : غنّه ، فغنّيته . ثم قام يصليّ فأطال ، ثم تجوّز إليّ فقال : ما معك من مُطرباته ومُشجّياته ؟ فقلت : قوله :

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطِيُّ مَعْقَلًا
فَقَالَ لِي : غَنَّهُ ، فَعَنَيْتُهُ . ثُمَّ صَلَّى وَتَجَوَّزَ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا مَعَكَ مِنْ مَرْقَصَاتِهِ ؟
فَقُلْتُ :

[من الطويل]

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاضِرٍ وَلَا كَالْيَالِي الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
فَقَالَ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى اتَّحَرَّمْتُ لِهَذَا بَرَكَتَيْنِ .

[تغنى ابن سريج والغريض بسماع من عطاء بن أبي رباح]

قَالَ حَمَادُ : وَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ ، وَذَكَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ
الْحِزَامِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُخْزُومِيُّ قَالَ : أُرْسِلْتَنِي أُمِّي وَأَنَا غَلَامٌ أَسْأَلُ
عَطَاءَ بْنَ أَبِي رِبَاحٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَوَجَدْتُهُ فِي دَارٍ يُقَالُ لَهَا دَارُ الْمُعَلَّى ، وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ فِي خَبْرِهِ : دَارُ
الْمُقَلِّ ، وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعْصِفَرَةٌ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى مَنبَرٍ وَقَدْ خُتِنَ ابْنُهُ وَالطَّعَامُ يَوْضَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ
يَأْمُرُ بِهِ أَنْ يُفَرَّقَ فِي الْخَلْقِ ، فَلهَوَتْ مَعَ الصَّبِيَّانِ أَلْعَبَ بِالْجَوَازِ حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ وَتَفَرَّقُوا وَبَقِيَ مَعَ
عَطَاءٍ خَاصَّتَهُ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَوْ أَذْنَتَ لَنَا فَأَرْسَلْنَا إِلَى الْغَرِيضِ وَابْنَ سَرِيحٍ ! فَقَالَ : مَا
شِئْتُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمَا . فَلَمَّا أَتَيَا قَامُوا مَعَهُمَا وَثَبَتَ عَطَاءُ فِي مَجْلِسِهِ فَلَمْ يَدْخُلْ ، فَدَخَلُوا بِهِمَا
بَيْتًا فِي الدَّارِ ، فَتَغَنَّا وَأَنَا أَسْمَعُ . فَبَدَأَ ابْنُ سَرِيحٍ فَنَقَرَ بِالْذُّفِّ وَتَغَنَّى بِشَعْرِ كَثِيرٍ : [من الطويل]

بَلَّيْتُ وَجَارَاتٍ لِلَيْلَى كَأَنَّهَا نِعَاجُ الْمَلَا تُحْدَى بِهِنَّ الْأَبَاعِرُ¹
أَمْنَقِطِعُ يَا عَزَّ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَشَاجِرُنِي يَا عَزَّ فَيْلُكَ الشَّوَاحِرُ²
إِذَا قِيلَ هَذَا بَيْتُ عَزَّةَ قَازِنِي إِلَيْهِ الْهَوَى وَاسْتَعْجَلْتَنِي الْبَوَادِرُ³
أَصْدُوبِي مِثْلَ الْجُنُونِ لَكِي يَرَى رُؤَاةُ الْخَنَا أَنِّي لِبَيْتِكَ هَاجِرُ

فَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهِمُ السُّبَاتُ ، وَأَدْرَكَهُمْ الْعَشِيُّ فَكَانُوا كَالْأَمْوَاتِ فَمَا تَسْمَعُ
حَسًّا ، ثُمَّ أَصْغَوْا إِلَيْهِ بَادَانَهُمْ وَشَخَصَتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُهُمْ³ وَطَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ . ثُمَّ غَنَّى الْغَرِيضُ
بِصَوْتِ أُنْسِيَّتِهِ بِلَحْنٍ آخَرَ . ثُمَّ غَنَّى ابْنُ سَرِيحٍ وَأَوْقَعَ بِالْقَضِيبِ ، وَأَخَذَ الْغَرِيضُ الذُّفَّ
فَغَنَّى بِشَعْرِ الْأَحْطَلِ :

[من الطويل]

فَقُلْتُ أَصْبَحُونَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ وَمَا وَضَعُوا الْأَنْتَقَالَ إِلَّا لِيَفْعَلُوا
وَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِرَاجِهَا فَأَكْرَمُ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

1 الملا : مثل الغلا .

2 البوادر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَانَتْهَا رَجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبُوا¹
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحَرَّكُوا وَلَا نَطَقُوا إِلَّا مُسْتَمْعِينَ لِمَا يَقُولُ . ثُمَّ غَنَّى الْغَرِيضُ بِشَعْرِ آخِرِ
وهو :

هَلْ تَعْرِفُ الرَّسْمَ وَالْأَطْلَالَ وَالِدَمْعَا زِدْنَ الْفَوَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزْنَا
دَارٌ لَصَفْرَاءَ إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسْنَا
إِذْ تَسْتَبِيكُ بِمَصْفُوقٍ عَوَارِضُهُ وَمُقَلَّتِي جُوذِرٍ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَدْنَا
ثُمَّ غَنَّا جَمِيعاً بِالْحَنِ وَاحِدٍ ؛ فَلَقَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّ الْأَرْضَ تَمِيدُ ، وَتَبَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي عَطَاءٍ أَيْضاً .
وَعَنَى الْغَرِيضُ فِي شَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ² :

كَفَى حَزْنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيبًا لَا أَزُورُكَ كَلْتَنَا
دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزِدُّ حَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَنَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمَا
وَلَيْسَ بَتَرِيقِ اللِّسَانِ وَصَوِّغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالِدَمَّا
وَعَنَى ابْنُ سَرِيحٍ أَيْضاً³ :

خَلِيلِيْ عُوْجَا نَسْأَلُ الْيَوْمَ مَنَزِلَا أَيْبَى بِالْبِرَاقِ الْعُفْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَا
فَفَرَّعَ النَّبِيْتَ فَالْشَّرَى خَفَّ أَهْلُهُ وَبَدَلَ أَرْوَاحًا جَنُوبًا وَشَمَالًا⁴
أَرَادَتْ فَلَمْ تَسْطِيعْ كَلَامًا فَأَوْمَأَتْ إِلَيْنَا وَلَمْ تَأْمَنْ رَسُولًا فَتَرْسِلَا
بِأَنْ يَتَّعَسَى أَنْ يَسْتَرُ اللَّيْلُ مَجْلِسًا لَنَا أَوْ تَنَامَ الْعَيْنُ عَنَّا فَتُقْبِلَا⁵
وَعَنَى الْغَرِيضُ أَيْضاً⁶ :

يَا صَاحِبِيْ قِفَا نَقُصُّ لُبَانَةً وَعَلَى الظُّعَاثَيْنِ قَبْلَ بَيِّكُمَا اغْرَضَا
لَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَقُولَ بِحَاجَةٍ رِفْقًا فَقَدْ زُوْدَتْ زَادًا مُجْرَضَا⁷

1 الشاصيات : صفة للزقاق .

2 ديوان عمر : 390 .

3 ديوان عمر : 309 .

4 البيت والشرى : موضعان . الأرواح : الرياح .

5 فتقبلا في ل : فتغفلا .

6 ديوان عمر : 323-324 .

7 مجرّضاً : بغض بالريق ، وقد تقرأ «محرّضاً» .

ومقالها بالنعفِ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ لِفَتَاتِهَا هَلْ تَعْرِفِينَ الْمَعْرُضَ¹
 هذا الذي أعطى مَوَاسِقَ عَهْدِهِ حَتَّى رَضِيتُ وَقُلْتُ لِي لَنْ يَنْقُضَا
 وَأَغَانِي أَنْسِيَتَهَا ، وَعَطَاءٌ يَسْمَعُ عَلَى مَنْبَرِهِ وَمَكَانِهِ ، وَرَبِّمَا رَأَيْتُ رَأْسَهُ قَدْ مَالَ وَشَفَّتِيهِ
 تَحَرَّكَانِ حَتَّى بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ ، فَقَامَ يَرِيدَ مَنْزَلَهُ . فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُمَا وَقَدْ
 رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا وَتَغْنَيَا بِهِذَا . وَلَمَّا بَلَغَتْ الشَّمْسُ عَطَاءٌ قَامَ وَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغَنَاءِ ،
 فَاطَّلَعَ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَيُّهُمَا أَحْسَنُ غَنَاءً ؟ قَالَ : الرَّفِيقُ
 الصَّوْتُ ، يَعْنِي ابْنَ سَرِيحٍ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

وَلَهْنٌ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةً وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
 لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظُعَانًا حَيًّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَرُ
 وَكَانَتْهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاغِيًا بَيْضٌ بِأَكْنَافِ الْحَطِيمِ مُرَكَّمٌ²
 لَكِبُوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غُبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ لِعَمْرُكَ مَا هُمْ
 مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَجُلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
 غَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشَّعْرُ لَا بِنِ أَدْنِيَّةٍ . وَالْغَنَاءُ لَا بِنِ سَرِيحٍ ثَانِي ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى
 الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَأَخْبَارُ ابْنِ أَدْنِيَّةٍ تَأْتِي بَعْدَ هَذَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر :

لَسْنَا بُبَالِي حِينَ نُنْذِرُكَ حَاجَةً

صوت³

[من الكامل]

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
 وَانْظُرْ بَعَيْنَكَ لَيْلَةً وَتَأْنَهَا فَلْعَلَّ مَا بَخِلْتُ بِهِ أَنْ يُذَلَّ⁴

1 محسر : موضع بين مكة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .

2 لواعبا : متعبات .

3 ديوان عمر : 311-312 .

4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرك ليلة وتأنها .

لسنا نبالي حين نُدركُ حاجةً ما راح أو ظلَّ المطيُّ مُعَقَّلا
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلا¹
خرجتُ تاطرُ في الثيابِ كأنَّها أئيمٌ يسيبُ على كتيبٍ أهيلا

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ثقبيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها . وفيه لمعبد
لحنٌ من خفيف الثقبيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه
ونادرها وصدور صنعتة وما يُقدَّم على كثيرٍ منها .

[الغمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد
الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي قزوة قال : كنت أسيرُ مع العُمَر بن
يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة :

ودَّعُ لُبَابَةَ قَبْلَ أن تترحَّلا واسألُ فإنَّ قَلِيلَه أن تَسْألا
قال ائتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخَالِفٍ فيما هَوَيْتَ فإنَّا لن نُعْجَلا
نَجْزِي أَيَادِي كَنتَ تَبْذُلُهَا لَنَا حقٌّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلا
خرجتُ تاطرُ في الثيابِ كأنَّها أئيمٌ يسيبُ على كتيبٍ أهيلا
رَحَبْتُ لَمَّا أَقْبَلْتُ فَتَعَلَّلْتُ لتحيتي لَمَّا رَأَيْتَنِي مُقْبِلا
فَجَلَا القِنَاعُ سَحَابَةً مشهورةً غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأملا
فَظَلَّلْتُ أَرْقِيَهَا بما لو عَاقِلٌ يُرَقِي به ما اسطاعَ ألا يَنْزِلا
تَدْنُو فَاطْمَعُ ثُمَّ تَمْنَعُ بَذْلُهَا نفسٌ أبَتْ للجُودِ أن تبخِلا²

قال : فأمر غلامه فحملني على بعلته التي كانت تحته . فلَمَّا أراد الانصراف طلب الغلام
مَنِي البغلة ، فقلت : لا أعطيكها ، هو أكرمُ وأشرفُ من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مِنِّي .
فقال للغلام : دَعه يا بُنَيَّ ، ذهبَ واللَّهِ لُبَابَةُ ببغلةٍ مولاك .

[القرشي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن علي عن هارون بن
الزُّيَّات عن حماد عن أبيه قال حدثني عثمان بن حفص الثَّقَفِي عن إبراهيم بن عبد السلام بن

1 غفلة حارسٍ أن يعقلا في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .

2 فاطمَعُ في الديوان : فطمع بالجود .

أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخر من بقي من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك ترقصه : قال : وأبو نافع هذا أخذ غلمان ابن سريج ومن أخذ عنه ، وكان آخر روايته صوتاً . ومنها¹ :

صوت

بَلَيْلى وجاراتِ لَيْلى كأنَّها نِعا جُ المَلّا تُحْدَى بهنَّ الأبا عُرُ
أَمْنَقِطِعْ يا عَزَّ ما كانَ بيننا وشا جَرَّني يا عَزَّ فيكَ الشَّواجرُ
إذا قِيلَ هذا بيتُ عَزَّةَ قادي إليه الهوى واستعجلتني البوا دُرُ
أَصْدُ وبِي مثلُ الجنونِ لَكي يَرى رُواةُ الحَنا أَنِّي لبيتكُ هاجرُ
أَلّا لَيْتَ حَظِّي منكُ يا عَزَّ أَنِّي إذا بَنَتِ باعَ الصبرُ لي عنكَ تاجرُ

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء لمعبد ثقيل أول بالنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحن أوله : «أصد وبى مثل الجنون» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها² :

صوت

أناخُوا فَجَرُوا شاصياتِ كأنَّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَسْرُبُوا
فقلتُ اصْبَحُونِي لا أبا لأبيكمُ وما وضعُوا الأثقالَ إلّا لِيَفْعَلُوا
تَمَرَّ بها الأيدي سَنِيحاً وبارحاً وتُرْفَعُ باللَّهْمَّ حَيَّ وتَنزَلُ

عروضه من الطويل . الشاصيات : الشائلات قوائمها من امتلائها ، يعني الرقاق ؛ يقال : شَصَا يَشْصُو . وشَصَا ببيصره إذا رفعه كالشخص ؛ وأنشد :

وربَّ ربِّ خِماص يَطْعُنُ بالصِياصِ³
ينظرُ من خِصاص بأعْيُنٍ شِواصِ⁴
كفَلَقِ الرِّصاصِ تَسْمُو إلى القَنَاصِ

الشعر للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368-370 (تحقيق إحسان عباس) بيروت 1971 .

2 ديوان الأخطل : 3-4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .

3 ررب : قطع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياص : القرون .

4 خصاص : فنتحات ، كوى .

أسيد بن أبي العيص بن أمية . والغناء للمالك وله فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيفٌ ثقيلٌ أولٌ بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها : [من البسيط]

صوت

هل تعرفُ الرسمَ والأطلالَ والدِّمْنَا
وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدّمت . عروضه من البسيط . الشعرُ لذي الإصبع العدواني .
والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر . ومنها : [من الطويل]

صوت

كفى حَزَنًا أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا

صوت

وهو من المائة المخاطرة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دعي القلبَ لا يَزْدَدْ حَبَالًا مع الذي به مِنْكَ أو دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمًا
وليس بتزويقٍ للسانٍ وصوغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدِّمَّا
عروضه من الطويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . والغناء
لمعبد ثقيل أولٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس أن للمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْتُمْ فُكَّي عَانِيَا بِكَ مُغْرَمًا وَشَدَّي قُوَى حَبْلِ لَنَا قَدْ تَصَرَّمَا
فِيَانِ تَسْعِفِيهِ مَرَّةً بَنَوَالِكُم فَقَدْ طَالَمَا لَمْ يَنْجُ مِنْكَ مُسْلَمًا
كفى حَزَنًا أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا وَأَمْسِي قَرِيبًا لَا أَزُورُكَ كَلْتَمَا
وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق الغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفى عن دحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسنُ ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

فقلت : اذهب بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا تَرُدُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحن ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِهِ ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

ثم قال لي معبد : أسمعُكَ ؟ قلت : نعم ، وأريته أنِّي لم أسمعهُ قبل ، فقال : اسمعه مِنِّي ، فغَنَّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلٍ لإبراهيم بن المهديّ إلى إسحاق الموصليّ . «وكتبْتُ رُفْعَتِي هذه وأنا في غَمْرَةٍ من الحمَى تصدِّفُ عن المفترضات . ولولا خَوْفِي من تشنِيعِكَ وتَجَنُّيكَ لم يكن فيَّ لإلجاءة فَضْلٍ ، غير أنِّي قد تكلفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة عَليّ وما أقالسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِهِ ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدَّثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِمَ علينا فتيان من مَوالي بني أمية يريدون مكة ، فسمعوا معبدًا ومالكًا فأعجبوا بهما ، ثم قدما مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فاتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهُم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيانٌ من قريش ، أتيناك مُسلمين عليك ، وأحبينا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما تَرَوْن . فقالوا : إنَّ الذي نكتفي منك به يَسِيرٌ ، وكان ابن سريج أدبياً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبَابِي وعودِي ، فأتته خادمته بخامئةٍ فسَدَلَهَا على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنَّى لُقبِح وجهه ، ثم أخذ العود فغَنَّاهم ، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغني ، حتى إذا اكتفوا ألقي عودَه وقال : معذرةٌ . فقالوا : نَعَمْ ، قد قَبِلَ اللهُ عذرك فأحسنَ اللهُ إليك ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجبون ممَّا سمِعوا . فمَرُّوا بالمدينة مُنصرفين ، فسمعوا من معبد ومالك ، فجعلا لا يَطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يَطربون . فقال أهلُ المدينة : نَحْلِفُ بالله لقد سمعتم بعدي ابن سريج قالوا : أجل ! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَعَصَ علينا ما بعده .

[تغني رفقاء الخطبة برمل ابن سريج]

وذكر العتَّابي أن زكريَّا بن يحيى حدَّثه قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثماني

عن بعض أهل الحجاز قال¹ : التقى قنديل² الجصاص وأبو الحديد بشعب الصفراء³ ، فقال قنديل لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحبطية رائحة تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي⁴ :

صوت

سقى مأزمي⁵ نجد إلى بئر خالد
وجادت بروق⁶ الرائحات بمزنة
فوادي نضاع فالقرون إلى عمد³
تسح شائباً بمرتجز الرعد
منازل هند إذ توأصلي بها
وتهدي بطيب الريح من جاء من نجد
يئير ظلام الليل من حسن وجهها
الغناء لابن سريج رمل⁷ بالبصر عن المشامي . فرقت خلفها زيف النعامة ، فما انجلت غشاوتي إلا وأنا بالمشاش⁴ حسير⁵ فأودعتها قلبي وخلفته لديها ، وأقبلت أهوي كالرحمة بغير قلب . فقال لي قنديل : ما دفع أحد من المزدلفة أسعد منك ، سمعت شعر ابن عمارة في غناء ابن سريج من رقطاء الحبطية ؛ لقد أوتيت جزءاً من النبوة . قال : وكانت رقطاء هذه من أضرب الناس ؛ فدخل رجل من أهل المدينة منزلها فغنته صوتاً . فقال له بعض من حضر : هل رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه ؟! فطرب المدني وقال : علي العهد إن لم يكن وترها من معى بشكست النحوي ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكست هذا كان نحوياً بالمدينة ، وقُتل مع الشراف⁶ الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف بطالب الحق .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول : غناء كل معن مخلوق من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أضرب ، فضرب مله مطرب يحرك ويستخف ، وضرب ثان له شجاً ورقة ، وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة . قال : وكل هذا مجموع في غناء ابن سريج .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61-62 (الفقرة : 85) .

2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .

3 المأزم : طريق ضيق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .

4 المشاش : واد يجري بعرفات .

5 حسير : متعب كل عن السير .

6 الشراف : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

النقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي ونَغْنَى ابن سلمة بنقاء ابن سريج [

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي بيئر الفصح¹ ، فقال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع نَسْتَمِيع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتَقاً ، قال : فقعدا يتحدّثان ، فمرّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطَرِّبِي الحجاز ، أَلْشَيْء كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعدٍ كان ذلك ، أَفَوَيْسُنَا ؟ قال : فقعدوا يتحدّثون . فلَمَّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد أبهارَ الليل² وساعدك القمر ، فأوقع بَقَهْقَهة ابن سريج وأصيب مَعْنَاك . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بِلَا جُرْمٍ وَصَدَّتْ نَغَضُباً وقالت لِتَرَبِّئَهَا مَقَالَةً عَاتِبِ
سَيَعْلَمُ هَذَا أَتَيْتِي بِنْتُ حُرَّةٍ سَأَمْنَعُ نَفْسِي مِنْ ظُنُونِ كَوَاذِبِ
فَقُولِي لَهُ عَنَّا تَنَحَّ فَإِنَّا أَيَّاتُ فُحْشٍ طَاهِرَاتُ الْمُنَاسِبِ
الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزِفُن³ ويقول : ابْشِرْ حَبِيبِي ، فَلَأَنْتِ أَفْضَلُ مِنْ شُهَدَاءِ قَرْوِينَ . قال : ثم قال ابن سلمة للأخضر : نَعَمْ الْمُسَاعِدُ عَلَى هَمِّ اللَّيْلِ⁴ أَنْتِ ؛ فَأَوْقَعُ⁵ بَنُوْح ابن سريج وَلَا تُعَدُّ مَعْنَاكَ⁶ . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

فَلَمَّا التَّقَيْنَا بِالْحَجُجُونَ تَنَفَّسَتْ تَنَفَّسَ مُحَرَّرُونَ الْفُؤَادِ سَقِيمِ
وَقَالَتْ وَمَا يَرْقَا مِنَ الْخَوْفِ دَمْعُهَا أَقَاطِنُهَا أَمْ أَنْتِ غَيْرُ مُقِيمِ
فَإِنَّا غَدَاً تُحَذِّي بِنَا الْعَيْسُ بِالضُّحَى وَأَنْتِ بِمَا نَلْقَاهُ غَيْرُ عَلِيمِ
فَقَطَّعَ قَلْبِي قَوْلُهَا ثُمَّ أُسْبِلَتْ مَحَاجِرُ عَيْنِي دَمْعُهَا بِسُجُومِ
قال : فجعل أبو السائب يَتَأَفَّفُ ويقول : أَتَعْنِقُ مَا أَمْلِكُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِرْدَوْسِيَّةَ الطَّيْنَةِ ، وَإِنَّهَا بَعْلِمِهَا لِأَفْضَلُ مِنْ آسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ .

1 ل : بيئر الفصيح .

2 ابهار الليل : انتصف .

3 يزفن : يرفض .

4 ل : سهر الليل .

5 ل : فوقع .

6 ل : مَعْنَاكَ .

[نغني الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن غدي قال : بلغني أن أبا دهبيل
الجمحي قال : كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مُغْنِيَّةٍ بالمدينة يقال لها «الذلفاء» ، فغنتنا
بشعر جميل بن معمر العُدري ، واللحن لابن سريج :

صوت

لَهْنٌ الْوَجَى لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالَعٌ وَكَسِيرٌ¹
كَأَنِّي سَقَيْتُ السُّمَّ يَوْمَ تَحْمَلُوا وَجَدَ بِهِمْ حَادٍ وَحَانَ مَسِيرٌ
فقال أبو السائب : يا أبا دهبيل ، نحن والله على خطرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة
وأن يكفيننا كلَّ محدور ، فما آمن أن يهجم بي على أمرٍ يهتكني . قال : وجعل يبكي .
[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعُ قال حدثنا الزُّبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن
مِقَمَّة عن أمه قالت : سمعتُ ابن سريج على أحشَبِ منى غداة النَّفر وهو يغني : [من الخفيف]
جَدَدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي لِحَبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فَتَزَمَّا
ونسبةُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت : فيما تشاء أن تسمع من خبياء ولا
مُضَرِّبٍ حَنِينًا وَلَا أُنَيْنًا إِلَّا سَمِعْتَهُ .
[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يُذَكِّرُ إبراهيم بن
المهدي ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه : هذا صوتٌ قد تَمَعَّبَدَ فيه ابن سريج . فقال
له إبراهيم : ما ظننتُ أنك يا أبا محمد مع علمك وتَقْدِيمِكَ تقول مثلَ هذا في ابن سريج ، فكيف
يجوز أن تقول : تَمَعَّبَدَ ابنُ سريج ، وإنما معبدٌ إذا أحسن قال : أَصْبَحْتُ سُرِيحِيًّا ، قد أغنى الله
ابن سريج عن هذا ورفعَ قَدْرَهُ عن مثله ، وأُعِيدَكَ بالله أن تستشعرَ مثله في ابن سريج . قال : فما
رأيتُ إسحاق دفعَ ذلك ، ولا أباه ، ولا زاد على أن قال : هي كلمةٌ يقولها الناس ، لم أفلها
اعتقادًا لها فيه ، وإنما تكلمتُ بها على العادة .

[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوق عليه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعُ قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال :

1 الوجي : الحفا . وكسير في ل : وحسير .

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غنى فأجاد قال : أنا اليوم سُرَيْجِيُّ .
[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدثني الحرْمِي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني محمد بن سَلَام قال حدثنا شُعَيْب بن صخر قال : كان نعمان المغنِّي عندي نازلاً ، وكان يغني ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيتهم كان أحقُّ ؟ قال : لا أذري ، إلا أنهم كانوا إذا جاء ابن سريج سكَّنوا .
[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال حدثني الهيثم بن عيَّاش قال حدثني عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ قال : بينما نحن بعمى ونحن نريد الغدوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأحوص فقال : أبيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسَّعة . فلما جئته الليل لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماء . قلت : ما لك ؟ قال : [من التقارب]

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لَمَّا حَرَمَ تَ ، ضَلَّ ضَلَاكَ مِنْ مُحَرَمٍ !
تُرِيدُ بِهِ الْبِرَّ يَا لَيْتَهُ كَفَافاً مِنَ الْبِرِّ وَالْمَائِمِ
الغناء لابن سريج ولم يُجَنِّسه . قال قلت : زَنَيْتُ وَرَبَّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لقي ابن سريج فقال : إني قد قلتُ بيتين حسنين أحبُّ أن تُغَنِّيَ بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إِيَّاهما ؛ فغنى بهما من ساعته ، ففتنَ مَنْ حضرَ مِّنْ سمِعِ صَوْتَهُ .
[جرير يذهب من المدينة إلى مكة ليسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال¹ : قديم جرير بن الخطَفَى المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطْلُبُ الشَّعرَ ، فاحتشدنا له ومعنا أشعْبُ . فبينما نحن عنده إذ قام حاجة وأقمنا لم نبرح . وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُباء على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ قلنا : قام حاجة ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِّضْ له وانصَرَفْ ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليك يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأحوص : يا ابن الخطَفَى ، الفرزدق أشرفُ منك وأشعر . قال جرير : مَنْ هذا أخزاه الله ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأُفْلَح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10-11 (رقم 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أأنت القائل : [من الطويل]

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ

قال نعم . قال : فإنه يَقْرُ بِعَيْنِهَا أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفيقرُ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يُرمي بالحلاق فأنصرف ، فبعث إليهم بتمر وفاكهة . وأقبلنا على جرير نسأله ، وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت ، فألح عليه أشعب يسأل . فقال : والله إني لأراك أقبحهم وجهاً وأراك الأمهم حسباً ؛ فقد أترمتني منذ اليوم . قال : إني والله أنفعهم وخيرهم لك . فأنشبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه . فقال : قل ، ويحك ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعَذْلِ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى ألصق برُكْبته رُكْبَتَهُ¹ ، وقال : لعمري لقد صدقت ، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجدته وزنته ، أحسنت والله ، وصله وكساه . فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت ، قال له بعض أهل المجلس : فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء ؟ قال : أو إن له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكة . قال : فلست بمفارق جِجَارَكُم حتى أبلغه . فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنيت فيهم ، فأتيانه جميعاً ، فإذا هو في فتية من قریش كأنهم ألها مع ظرف كثير ، فأدنوا ورحبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه ، وأعظم عبید بن سريج موضع جرير وقال : سل ما تريد فجعلت فداءك ! قال : أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يَا أُخْتَ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعَذْلِ

فغناه ابن سريج ويده قضيب يوقع به ويَنَكْتُ ، فوالله ما سمعت شيئاً قط أحسن من ذلك . فقال جرير لله دَرُكُم يا أهل مكة ، ما أعطيتكم ! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس خطاً ونصيماً ، فكيف ومع هذا بيت الله الحرام ، ووجوهكم الحسان ، ورقة ألسنتكم ، وحسن شاربتكم ، وكثرة فوائدكم !

[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

1 ل : حتى مس برُكْبته رُكْبَتَهُ .

الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلى ابن سريج ، فأشخصه . فلما قَدِم مكَّةَ أيَّاماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنَّه ذَكَرَه ، فقال : ويلكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قال : عليَّ به . فقالوا : أجِبْ أمير المؤمنين . فتهيأَ ولَبِسَ وأقبل حتى دخل عليه فسَلَّمَ . فأشار إليه أن اجلس ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : وَيَحْكُ يا عُبيد ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظُرف لسانك وحلاوة منطقك ومجلسك . فقال : جُعِلْتُ فداءك يا أمير المؤمنين ! «تسمعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه» . قال الوليد : إنِّي لأرجو ألا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هاتِ ما عندك . فاندفع ابن سريج فغَنَى بشعر الأُحوص¹ :

فقد هيجنما للشوقِ قلباً متيماً
وجِدَّةً وصُلِّي حَبْلُهُ قد تَجَدَّما
وحَلَّ بوجَّ جالساً أو تَتَهَّمَا²
رجاءً وطناً بالغيبِ مُرَجَّما
بها صدعُ شُعْبِ الدارِ إلَّا تَتَلَّما
أحياءُ يُبَكِّي أم تراباً وأعظمَا
تُرِلُّ عنك بُؤْسِي أو تُفِيدُكَ أنْعَمَا³
وغيثٌ حيٌّ يحيا به الناسُ مُرْهِمَا⁴
على مُلكِهِ مالاً حراماً ولا دما
ولِيَّاً وكان اللهُ بالناسِ أعلَما
لِيُعَيِّه إلَّا أجابَ وسَلَّما
ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً مَنْ تَشَلَّما

أَمَزَلْتَنِي سَلَمَى على القَدَمِ اسْلُما
وذَكَرْتُنَا عَصَرَ الشَّبَابِ الذي مضى
وإنِّي إذا حَلَّتْ بِبَيْشٍ مَقِيمَةً
يَمَانِيَةً شَطَطَتْ فأصبحَ نَفْعُهَا
أَجِبُ دُنُو الدارِ منها وقد أبى
بكاها وما يَذْري سوى الظنِّ مَنْ بكى
فدَعُهَا وأخْلِفْ للخليفةِ مِدْحَةً
فإنَّ بكفِّهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ
إمامٌ أتاه الملكُ عفواً ولم يُثَبِّ
تَخِيرُهُ ربُّ العبادِ لَخَلْقِهِ
فلَمَّا قضاه اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً
يَنالُ الغنى والعزَّ مَنْ نالَ وَدَّه

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأُحوص ؛ عليَّ بالأُحوص . ثم قال : يا عُبيد هية ؛ فغنَّاه بشعر عدي بن الرِّقاع العاملي يمدح الوليد⁵ :

- 1 شعر الأُحوص : 195-196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .
- 2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً المجلس وهو من نجد . تتهم : نزل تهامة .
- 3 أنعما في ل : مغنما .
- 4 مرهما : وجود بالرهام أي المطر .
- 5 ديوان عدي بن الرِّقاع : 216-221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987 .

صوت

طَارَ الْكَرَى وَلَمْ أَكُنْ
 كَانَ الشَّابُّ قَنَاعاً أُسْكِنُ بِهِ
 فَاسْتَبَدَّلَ الرَّأْسُ شَيْباً بَعْدَ دَاجِيَةٍ
 فَإِنْ تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ
 فَقَدْ أُبَيْتُ أَرَاغِي الْخَوْذَ رَاقِدَةً
 بَرَاقَةَ الْغُرِّ تَشْفِي الْقَلْبَ لَذَّتْهَا
 كَلَامُ قُحْوَانٍ بِضَاحِي الرُّوضِ صَبَّحَهُ
 صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ
 عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً
 هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ
 عَلَيْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَتَفْقِدَهُ
 إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ
 لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ

فقال له الوليد : صدقت يا عبيد ! أننى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو
 غيرَ هذا قلت لأحسنْتُ أدبَكَ . قال ابن سريج : ذلك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . قال الوليد :
 يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فضلِ ربِّي لِيُبَلِّغُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ .
 قال الوليد : لَعَلَّكُمْ وَاللهُ أَكْبَرُ وَأَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ غِنَائِكَ ! غَنَّنِي . فغَنَّنَاهُ بِشعرِ عَدِيَّ بنِ
 الرَّفَاعِ الْعَامِلِيِّ يمدح الوليد⁴ :
 [من الكامل]

عَرَفَ الدَّيَّارَ تَوَهُماً فَاغْتَاذَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا شَمَلَ الْبِلَى أَبْلَاذَهَا
 وَلَرُبَّ وَاضِحَةٍ الْعَوَارِضِ طِفْلَةٍ
 كَالرَّيْمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْتَادَهَا⁵

- 1 الكنع : حضر .
- 2 نزع : صلع خفيف .
- 3 أراغي في ل : أناغي .
- 4 ديوان عدي بن الرفاع : 82-95 .
- 5 طفلة في ل : برزة .

إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصِلْ بِي خُلْتِي وَتَبَاعَدْتُ مَنِّي اغْتَفَرْتُ بِعَادَهَا
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
وَإِذَا الرَّبِيعُ تَتَابَعْتُ أَنْوَاهُ فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الْأَحْصُ فَجَادَهَا¹
نَزَلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا غَيْثًا أَغَاثَ أَنْبَسَهَا وَبِلَادَهَا
أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلَّهَا أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا
وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَّاكَهَا مِنْ أُمِّهِ إِصْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا
أَعْمَرْتَ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَأَقْبَلْتُ وَكَفَفْتُ عَنْهَا مَنْ يَرُومُ فَسَادَهَا
وَأَصْبَبْتُ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مُصِيبَةً عَمَّتْ أَقَاصِيَّ غَوْرَهَا وَنِجَادَهَا
ظَفَرًا وَنَضْرًا مَا تَسَاوَلَ مِثْلُهُ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا²
فَإِذَا نَشَرْتُ لَهُ الشَّاءَ وَجَدْتُهُ جَمَعَ الْمَكَارِمَ طِرْفَهَا وَبِلَادَهَا

فأشار الوليد إلى بعض الخدم ، فعطّوه بالخَلَع ووضَعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبَدَرًا من الدرّاهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولى بني نوفل بن الحارث ، لقد أوتيتُ أمراً جليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله مُلكاً عظيماً وشرافاً عالياً ، وعِزّاً بَسَطَ يَدَكَ فِيهِ فَلَمْ يَقْبِضْهُ عَنْكَ وَلَا يَفْعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فأدام الله لك ما ولّاك ، وَحَفِظَكَ فِيما اسْتَرْعَاكَ ؛ فَإِنَّكَ أَهْلٌ لِمَا أَعْطَاكَ ، وَلَا تَزْعُ مِنْكَ إِذْ رَأَاكَ لَهُ مَوْضِعاً . قال : يا نَوْفَلُ ، وَخَطِيبُ أَيضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نطقُ ، ولبسانك تكلُّمُ ، وبعزك بَيِّنُ . وقد كان أمر بإحضار الأَحْوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرِّقَاع العاملي . فلَمَّا قَدِمَا عَلَيْهِ أَمَرَ بِإِزْهَامَا حَيْثُ ابْنُ سَرِيح ، فَأَنْزَلَا مَنْزَلاً إِلَى جَنْبِ ابْنِ سَرِيح . فَقَالَا : وَاللَّهِ لَقُرْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ قُرْبِكَ يَا مَوْلَى بَنِي نَوْفَل ، وَإِنْ فِي قُرْبِكَ لَمَّا يَلْدُنَا وَيَشْعَلُنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا نُرِيد . فَقَالَ لهُمَا ابْنُ سَرِيح : أَوْ قِلَّةُ شُكْرٍ ؟ فَقَالَ لَهُ عَدِي : كَأَنَّكَ يَا ابْنَ الْخِئَاءِ تَمُنُّ عَلَيْنَا ! عَلَيَّ وَعَلَى إِنْ جَمَعْنَا وَإِيَّاكَ سَقَفُ بَيْتٍ أَوْ صَحْنُ دَارٍ إِلَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمَّا الْأَحْوصُ فَقَالَ : أَوْ لَا تَحْتَمِلُ لِأَنِّي يَحْيَى الزَّلَّةَ وَالْهَفْوَةَ ؟ وَكَفَّارَةَ يَمِينٍ خَيْرٌ مِنْ عَدَمِ الْمَحَبَّةِ ، وَإِعْطَاءِ النَّفْسِ سُؤْلَهَا خَيْرٌ مِنْ لُجَاجٍ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ ! فَتَحَوَّلَ عَدِي ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ الْأَحْوص . وَبَلَغَ الْوَلِيدُ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ ، فَدَعَا ابْنَ سَرِيحَ وَأَدْخَلَهُ بَيْتاً وَأَرْخَى دُونَهُ سِتْراً ، ثُمَّ أَمَرَهُ إِذَا فَرَّغَ الْأَحْوصُ وَعَدِي مِنْ كَلِمَتَيْهِمَا أَنْ يُعْنِيَ . فَلَمَّا دَخَلَا وَأَنْشَدَاهُ مَدَائِحَ فِيهِ ، رَفَعَ ابْنُ سَرِيحِ

1 خناصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .

2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرَوْنَهُ وضرب بعوده . فقال عديّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقَابَ قريشٍ والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخْفِضُهُ أُخرى فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، لِيَسْمَعَ غناؤه ؟ فقال : ويحك يا عديّ ! أَوَلَا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قطُّ ولا سمعتُ مثله حسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجِنَّ يَتَغَنُّون . فقال : اخرجْ عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حقُّ لهذا أن يُحمل ؛ حقُّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثلٍ ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غناه ابن سريج من شعرِ عمر بن أبي ربيعة¹ :

بالله يا ظيّي بني الحارث	هل من وفى بالعهد كالنّاكث
لا تخذعني بالمنى باطلاً	وأنت بسي تلعب كالعابث
حتى متى أنت لنا هكذا	نفسى فداء لك يا حارثي
يا منتهى همي ويا منيتي	ويا هوى نفسي ويا وارثي

[غاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أنّ رجلاً من [الأشراف من] قريش من موالى ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزين بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، امرأته طالقٌ إن أنت لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حملك على هذا ؟ قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ قد فعلتُ . فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طلقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلما توسّطوا الدار قال : امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزب عني يا لكع ، ثم بدّر الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : أنطلق امرأته وتحمل وزر ذلك ؟ قال : فوزر الغناء أشدُّ . قالوا : كلّاً ما سوى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب :

ألّيسَتْ بالتي قالتُ	لمولاةٍ لها ظهرا
أشيري بالسلام له	إذا هو نحونا خطراً

وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ لِرِزْبَ نَوَلِي عَمْرَا
أَهَذَا سِحْرُكَ النِّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرْتَنِي الْخَبْرَا

فقال للجماعة : هذا والله حسن ، ما بالحجاز مثله ولا في غيره . وانصرفوا .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عُمَيْر اللَّيْثِي
لابن سريج : لو تركت الغناء ، وعاتبته على ذلك . فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، لو سمعته ما تركته . ثم
قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيق له كان معه
فقال : ما تنتظر ؟ ادخل بنا وإلا طَلَقْتُ امرأة الرجل . فدخلوا مع ابن سريج ، فغنى بشعر
الأحوص :

صوت

لَقَدْ شَاقَكَ الْحَيُّ إِذْ وَدَّعُوا فَعَيْنُكَ فِي إِثْرِهِمْ تَدْمَعُ
وَنَسَادَاكَ لِلْبَيْتِ غَرْبَانُهُ فَظَلَمْتُ كَأَنَّكَ لَا تَسْمَعُ
ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن أنت لم تستحسنه لأتركه . فتبسم عبد الله وخرج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوت الذي أوله في الخبر :
جَدَّي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي
أوله¹ :

صوت

إِنَّ طَيْفَ الْخَيْالِ حِينَ الْمَا
جَدَّي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي
ليس بين الحياة والموت إلا
ولقد قلتُ مُخِيفاً لِرَعِيضٍ
هل ترى مثله من الناسِ شَخْصاً
هَاجَ لِي ذُكْرَةٌ وَأَحْدَثَ هَمًّا
لُحِبُّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
أَنْ يَرُدُّوا جِمَالَهُمْ فَتَرَمَّا²
هل ترى ذلك الغزالَ الْأَجَمَّا³
أَكْمَلَ النَّاسِ صُورَةً وَأَتَمَّا⁴

1 ديوان عمر : 393 .

2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .

3 الأجم : الذي ليس له قرنان .

4 الناس في ل : اليوم .

عَرَوْضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثقیل أَوَّلُ بالوسطی عن الهشامی . وفيه للغریض أيضاً ثقیل أَوَّلُ بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق .
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير قال : أنشد جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام قول عمر : [من الخفيف]
ليس بين الحياة والموت إلّا أن يَرُدُّوا جمالهم فُزَمًّا
فَطَرَبَ وارتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلُوا البينَ ، أفلا يُوكُونُ قَرِبةً ! أفلا يُودُّعون صديقاً !
أفلا يَشُدُّون رَحْلاً ؟ حتى جَرَّتْ دموعُهُ .
وحدثنا الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله . ومنها : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيةَ السلامِ عليكمُ قبلَ الرِّحِيلِ وقبلَ غَذَلِ الغُذُلِ
لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عَهْدِكُم يومُ الرِّحِيلِ فعلتُ ما لم أفعلْ¹
عروضه من الكامل . الشعر لجريز ، والغناء لابن سريج ثقیل أَوَّلُ بالسبابة في مجرى الوسطی عن ابن المكي ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغریض ثاني ثقیل بالوسطی عن ابن المكي أيضاً . ومما يُشكُّ فيه أنه لمعد أو لكَرْدَمِ ابنه في البيت الثاني والأوّل ثاني ثقیل . ولعريب في هذين البيتين لحنٌ من رواية ابن المعتز غير مجنس . ومنها : [من الطويل]

صوت

أَمْتَزَلْتِي سَلَمَى عَلَى الْقِدَمِ اسَلَمَا فَقَدْ هِجْتُمَا لِلشَّوْقِ قَلْباً مَتَّيماً
وَذَكَّرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَجِدَّةً وَصَلَّيْ حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّمَا
عروضه من الطويل . والشعر للأحوص ، والغناء لكَرْدَمِ ثاني ثقیل بالوسطی ، وقيل : إن هذا الثقیل الثاني لمحمد الرّفّ ، وإن فيه لحناً من الثقیل الأوّل لكَرْدَمِ . ومنها : [من الكامل]

صوت

عَرَفَ الدِّيارَ تَوْهَمًا فاعْتادَها من بَعْدِ ما شَمِلَ البلى أَبْلاَدَها
إِلّا رَوَاكِدَ كُلِّهِنَّ قَدِ اصْطَلَى حَمَرَاءُ أَكْثَرَ أَهْلِها إِيقادَها²
عروضه من الكامل . الشعر لعدي بن الرقاع العاملي ، والغناء لابن مُحَرِّز ثقیل أَوَّلُ مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لملك ثقیل أَوَّلُ بالبصر عن عمرو . وفيه لحنٌ لإبراهيم ،

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأنثى . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج ، وذكر حماد في كتاب ابن مُحَرِّز أنه مما يُنسب إلى ابن مِسْجَح [أو إلى ابن مُحَرِّز] . ومنها :

صوت

بِاللّهِ يَا ظَنِّي بَنِي الْحَارِثِ هَلْ مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ
لَا تَخْذَعْنِي بِالْمُنَى بِاطِلَالٍ وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَابِثِ

عروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسياط . وذكر الهشامي وبذل أن فيه لإبراهيم الموصلي لحناً آخر . وفيه خفيف رملٍ بالنِصر ذكر حبش أنه لإبراهيم بن المهدي ، وغيره ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

وهو الذي أوله في الخبر :

أَلَيْسَتْ بِالتِّي قَالَتْ	لَمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرَا
تَصَابِي الْقَلْبُ فَادَّكَرَا	هَوَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ظَهْرَا
لَزَيْنَبَ إِذْ تُجِدُّ لَنَا	صَفَاءَ لَمْ يَكُنْ كَدَرَا
أَلَيْسَتْ بِالتِّي قَالَتْ	لَمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرَا
أُسَيِّرِي بِالسَّلَامِ لَهُ	إِذَا هُوَ نَحُونَا نَظَرَا
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ	لَزَيْنَبَ نَوَلِي عُمَرَا
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً	وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمْرَا
أَهَذَا سِجْرُكَ النَّسْوَا	نَ قَدْ خَبَّرْتَنِي الْخَبْرَا
طَرِبْتَ وَرَدَ مَنْ تَهْوَى	جَمَالُ الْحَيِّ فَاثْبَكْرَا
فَقُلْ لِلزَّيْنَبِ يَتَّةٌ لَا	تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهْرَا ¹
بَطَرْتَ وَهَكَذَا الْإِنْسَا	نُ ذُو بَطَرٍ إِذَا طَفَرَا
فَأَيْنَ الْعَهْدُ وَالْمَيْثَا	قُ لَا تُخَيِّرُ بِنَا بَشَرَا

1 ديوان عمر : 194-195 وهي هنا أكمل ولعلها هنا ملفقة من قصائد متعددة إذا صح توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عروضه من الوافر . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وللعريض في السابع والثامن والأول لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وللمبعد في هذه الأبيات كلها حن عن يونس ودنانير ولم يُجنّسه ، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل . وفي السابع والثامن والتاسع رمل لدحمان ، ويقال إنه للزبير ابنه . ولمالك لحن أوله :

صوت¹

لقد أرسلت جاريتي وقلت لها خذي حذرك
وقولي في ملاطفة لزينب نولي عمرك
فهزت رأسها عجباً وقالت من بدا أمرك
أهذا سحر ك النساء ن قد خبرتني خبرك

ولحن مالك هذا خفيف ثقيل بالوسطى من رواية ابن المكي . وهكذا يروي الشعر ويجعل قوافيه كلها على الكاف . وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى الغريض . وذكر حبش أن فيه لمبعد لحناً من الرمل أوله الثالث من الأبيات الأول المذكورة .

رجع الخبر إلى سياقة أحاديث ابن سريج

[ابن سريج أحسن الناس غناء]

أخبرنا يحيى بن علي وو كيع وجحظة قالوا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : قال لي الفضل بن يحيى : سألت أباك ليلة وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غناء ، فقال لي : من النساء أم من الرجال ؟ قلت : من الرجال . قال : ابن مخرز . فقلت : فمن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق لي : ويقال أحسن الرجال غناء من تشبه بالنساء ، وأحسن النساء غناء من تشبه بالرجال . قال يحيى بن علي خاصة : ثم كان ابن سريج كأنه خلق من قلب كل واحد ، فهو يغني له بما يشتهي .

[ابن سريج ببعض أدعية مكة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأت على أبي عن الهيثم بن عدي قال : قال ابن

سريج : مررتُ ببعض أندية مكة وفيه جماعة ، فحَصِرْتُ فقلت : كيف أجوزُهم مع تعبِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم مَنْ لم يَعْرِفْنِي : وَمَنْ ابن سريج ؟ فقال : الذي يغني :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنْ مُطْلَحَا

قال ابن سريج : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قَوَيْتُ نَفْسِي وَاشْتَدَّتْ مُتْنِي ، ومررتُ بهم أخطِرُ في مُصِيبَاتِي . فَلَمَّا حَاضَتْهُمْ قَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَسَلَّمُوا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا لِأَحْدَانِهِمْ : امشُوا مع أَبِي يَحْيَى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حَدَّثَنِي عَمِّي بهذا الخبر فقال حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ المَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ سَرِيحٍ : دَعَانِي فِتْنَةٌ مِنْ بَنِي مُرَوَّانَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِمْ وَأَنَا فِي ثِيَابِ الْحِجَازِ الْغِلَظِ الْجَافِيَةِ ، وَهُمْ فِي الْقَوَاهِي وَالْوُشِيِّ يَرْفُلُونَ كَأَنَّهُمْ الدَّنَائِرُ الْمِرْقَلِيَّةُ ، فَغَنَيْتُهُمْ وَأَنَا مُحْتَقِرٌ لِنَفْسِي عِنْدَهُمْ لِحَنِّ لِي ، وَهُوَ :

صوت

أَبَالْفُرْعَ لَمْ تَطْعَنَ مَعَ الْحَيِّ زَيْنُ بِنَفْسِي مِنَ النَّأْيِ الْحَبِيبُ الْمُغِيبُ
بَوَجْهِكَ عَنْ مَسِّ التُّرَابِ مَضِنَّةٌ فَلَا تَبْعُدِي إِذْ كُلُّ حَيٍّ سَيُعْطَبُ

ولحن ابن سريج هذا رمل بالخنصر في مجرى البنصر . قال : فتضاءلوا في عَنِّي حَتَّى سَاوَيْتُهُمْ فِي نَفْسِي لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْظَامِ لِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

وَدَّعْ لُبَابَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قُلَالَةً أَنْ تَسْأَلَا
فَطَرَبُوا وَعَظَّمُونِي وَتَوَاضَعُوا لِي ، حَتَّى صِرْتُ فِي نَفْسِي بِمَنْزِلَتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَصَارُوا فِي عَيْنِي بِمَنْزِلَتِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنْ مُطْلَحَا

فَطَرَبُوا وَمَتَلُوا بَيْنَ يَدَيَّ وَرَمَوْا بِجُلْلِهِمْ كُلَّهَا عَلَيَّ حَتَّى غَطَوْنِي بِهَا ؛ فَمَثَلْتُ لِي نَفْسِي أَنَّهُا نَفْسُ الْخَلِيفَةِ وَأَنَّهُمْ لِي خَوْلٌ ؛ فَمَا رَفَعْتُ طَرْفِي إِلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ تِيهًا . وَقَدْ مَضَتْ نَسَبَةُ «وَدَّعْ لُبَابَةً» فِي أَخْبَارِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِ . وَأَمَّا :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ.....

[من الوافر]

فذكر نسبته :

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَ مُطْلَحَا
نَعَمْ وَلَوْ شِئْتَ بَيْنَهُمْ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سُنْحَا
أَجَزْنَ الْمَاءَ مِنْ رَكَكٍ وضوءُ الفَجْرِ قَدْ وَضَحَا¹
فَقُلْنَ مَقِيلُنَا قَزْنَ نُبَاكِرُ مَاءَهُ صُبْحَا
تَبِعْتُهُمْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْ حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
يُودِّعُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَكُلُّ بِالْهَوَى جُرْحَا
فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمْ فَعِثْرِي إِذْ غَدَوَا فَرِحَا

عروضه من الوافر . الشعر لأبي دَهَبٍ الْجُمَحِيِّ² والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بِالنِّصْرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . ولمعده فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالنِّصْرِ فِي
مَجْرَى الْوَسْطَى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلقٌ في مجرى النِّصْرِ عَنْ
إِسْحَاقَ . وفيه الغريض ثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ حَبَشٍ .

أمدح جرير ابن سريج |

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قَدِمَ جَرِيرٌ الْمَدِينَةَ أَوْ مَكَّةَ فَجَلَسَ مَعَ قَوْمٍ ،
فَجَعَلُوا يَعْزِفُونَ عَلَيْهِ غَنَاءَ رَجُلٍ رَجُلٍ مِنَ الْمَغْنِيِّينَ ، حَتَّى غَنَوْهُ لَابْنَ سَرِيجَ ، فَطَرِبَ وَقَالَ : هَذَا
أَحْسَنُ مَا أَسْمَعُموُنِي مِنَ الْغَنَاءِ كُلِّهِ . قالوا : وَكَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟ قَالَ : مَخْرَجُ كُلِّ مَا
أَسْمَعُموُنِي مِنَ الْغَنَاءِ مِنَ الرَّأْسِ ، وَمَخْرَجُ هَذَا مِنَ الصُّدْرِ .

أتحكيم الأفلح المخزومي في غناء قيتين |

أخبرني الحسن بن عليّ قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويِه قال حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ حَدَّثَنِي
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيِّ قَالَ : جَاءَ سِنْدَةُ الْخِيَّاطِ الْمَغْنِيَّ إِلَى الْأَفْلَحِ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ يَوْصَفُ
بِعَقْلٍ وَفَضْلٍ ، فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَمْضِي ؟ فَقَالَ : إِلَيْكَ قَصَدْتُ مِنْ مَجْلِسٍ
لِبَعْضِ الْقُرَشِيِّينَ أَقْبَلْتَ مُحَاكِماً إِلَيْكَ . قال : فِيمَاذَا ؟ قال : كُنْتُ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ وَحَضَرَتْ
مَجْلِسَهُ رَقَطَاءُ الْحَبْطِيِّينَ ، وَصَفْرَاءُ الْعَلَقَمِيِّينَ ، فَتَنَاوَلْنَا بَيْنَهُمَا رَمَلَ ابْنِ سَرِيجَ : [مِنَ الرَّمْلِ]

1 رَكَكٌ : مَوْضِعٌ بِجَبَلِ طِيءِ الْمَسْمِيِّ «سَلْمَى» .

2 سبق أن نسبته إلى عمر بن أبي ربيعة وانظر ديوانه ص 84 . وينسب أيضاً إلى جعفر بن الزبير وعبد الرحمن بن
أرطاة .

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَبْقَى سَاعَةً مع ما أَلْقَى إِذَا اللَّيْلُ حَضَرَ
 مِنْ يَذْقُ نَوْمًا وَيَهْدَأُ لَيْلَهُ فلقد بَدَّلْتُ بِالنَّوْمِ السَّهْرَ
 قُلْتُ مَهْلًا إِنَّهَا جَنِيَّةٌ إِنْ تُخَالِطُهَا تَفْزُ مِنْهَا بَشَرًا¹

فَفَتَنَاهُ جَمِيعًا ، وَاخْتَلَفْنَا فِي تَفْضِيلِهِمَا ، فَفَضَّلَ كُلُّ فَرِيقٍ مَنَا إِحْدَاهَا ، فَرَضِينَا جَمِيعًا بِحُكْمِكَ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمَا . قَالَ : فَوَجَمَ سَاعَةً ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْكُمُوا تَأَمَّلُوا سَاعَةً ثُمَّ حَكُمُوا ، فَإِذَا حَكَمَ الْحَكْمُ مَضَى حُكْمُهُ كَأَنَّمَا كَانَ ، فَفَضَّلَ مَنْ فَضَّلَهُ وَأَسْقَطَ مَنْ أَسْقَطَهُ ، إِذَا تَرَاضَى الْخَصْمَانِ بِهِ ، فَكِرَةُ الْأَفْلَحِ أَنْ يُرْضِيَ قَوْمًا وَيُسْخِطَ آخَرِينَ ، فَقَالَ لِسِنْدَةَ : صِفْهُمَا أَنْتَ لِي كَيْفَ كَانَتَا إِذْ غَتَّاهُ وَاشْرَحَ لِي مَذْهَبَهُمَا فِيهِ كَمَا سَمِعْتَ ، وَأَنَا أَحْكُمُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقَالَ سِنْدَةُ : أَمَا جَارِيَةُ الْحَبْطِيِّينَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَلُوكُ لَحْنَهُ كَمَا يَلُوكُ الْفَرَسُ الْعَتِيقُ لِحْجَاهُ ، ثُمَّ تُلْقِيهِ فِي هَامَةِ لَدْنِيَّةٍ ثُمَّ تُخْرِجُهُ مِنْ مَنْحَرٍ أَعْنَى² ، وَاللَّهُ مَا ابْتَدَأَتْهُ فَنَوَسَّطَتْهُ وَأَنَا أَعْقِلُ ، وَلَا فَرَعْتُ مِنْهُ فَأَفَقْتُ إِلَّا وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّي رَأَيْتُهُ فِي نَوْمِي . وَأَمَّا صَفَرَاءُ الْعَلَقَمِيِّينَ ، فَإِنَّهَا أَحْسَنُهُمَا خَلْقًا ، وَأَصَحُّهُمَا صَوْتًا ، وَالْيَتِيمُهَا تَتَنَّى ، وَاللَّهُ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ فَانْتَفَعَ بِنَفْسِهِ وَلَا دِينَهُ .

هَذَا مَا عِنْدِي ، فَاحْكُمْ أَنْتَ يَا أَخَا بَنِي مَخْزُومٍ . فَقَالَ : قَدْ حَكَمْتُ بَأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي الرَّأْسِ ، فَيَأْيَهُمَا نَظَرَتْ أَبْصَرَتْ ، وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عُيُودٍ بَنِ سَرِيجٍ خَلْفَ لِكَانَتَا . قَالَ : فَانْصَرَفُوا جَمِيعًا رَاضِينَ بِحُكْمِهِ .

[ثَاء جَرِيرِ الْمَدِينِيِّ عَلَى ابْنِ سَرِيجٍ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ جَرِيرًا الْمَدِينِيَّ عَنْ ابْنِ سَرِيجٍ ، فَقَالَ : أَتَذْكُرُهُ وَيَحْكُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَقُولُ : سَيِّدٌ مَنْ غَنَى وَوَاحِدٌ مَنْ تَرَنَّمَ !
 [ثَاء الشَّعْبِيِّ عَلَيْهِ]

قَالَ حَمَّادٌ وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هَارُونَ³ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زُهَيْرِ السَّعْدِيِّ الْكُوفِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرِو الْفُقَيْمِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّعْبِيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ فِي غُرْفَتِهِ ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غَنَاءٍ ، فَقُلْتُ : أَهَذَا فِي جِوَارِكٍ ؟ فَأَشْفَرُ بِي عَلَى مَنْزِلِهِ ، فَإِذَا بَغْلَامٌ كَأَنَّهُ فَلَقَهُ قَمْرٌ وَهُوَ يَتَغَنَّى . قَالَ إِسْحَاقُ : وَهَذَا الْغَنَاءُ لِابْنِ سَرِيجٍ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

وَقَمِيرٌ بَدَأَ ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرٍ مَنْ لَهُ قَالَتِ الْفَتَاتَانِ قَوْمًا

1 تَفْزُ فِي ل : تُصَبُّ .

2 ل : أَرْنَ .

3 ل : مِرْوَان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيًّا ، هذا ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المَدِينِيُّ قال : حدثني المشاميُّ الرُّبَعِيُّ عن إسحاق الموصليِّ قال : تغنى ابن سريج في شعرِ لعمَرَ بن أبي ربيعة وهو : [من الرجز]

صوت

خَانَكَ مَنْ تَهَوَّى فَلَا تَخُنْهُ وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ
وَأَسْلُكُ سَبِيلَ وَصْلِهِ وَصْنَهُ إِنْ كَانَ غَدَارًا فَلَا تَكُنْهُ
عَسَى تَبَارِيخُ تَجِيءُ مِنْهُ فِيرْجِعِ الْوَصْلُ وَلَمْ تَشْنُهُ

قال المَكْبُوتُ : قال ابن سريج : ما تَغَنَيْتُ بهذا الشعر قطُ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي أَحَلُّ مَحَلِّ الْخَلِيفَةِ .

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني : وجدت في هذا الشعرَ الحُتَيْنِ : أحدهما ثقيلٌ أَوَّلُ والآخر رَمَلٌ ، مجهولَين جميعاً ، فلا أدري أيُّهما لحنه .

[وصف ابن سريج للمغني الحسن]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْعَتَّابِيِّ : أَخْبَرَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ جَدِّهِ الْفَضْلِ عَنْ ابْنِ جَامِعٍ عَنْ سَيَاطِرِ عَنْ يُونُسَ الْكَاتِبِ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ سَرِيحَ عَنْ قَوْلِ النَّاسِ : فَلَانُ يُصِيبُ وَفَلَانُ يُخْطِئُ ، وَفَلَانُ يُحْسِنُ وَفَلَانُ يُسِيئُ ؛ فَقَالَ : الْمَصِيبُ الْحَسَنُ مِنَ الْمَغْنِيِّ هُوَ الَّذِي يُشْبِعُ الْأَلْحَانَ ، وَيَمْلَأُ الْأَنْفَاسَ ، وَيُعَدِّلُ الْأَوْزَانَ ، وَيُفَحِّمُ الْأَلْفَاظَ ، وَيَعْرِفُ الصُّوَابَ ، وَيُقِيمُ الْإِعْرَابَ ، وَيَسْتَوْفِي النَّعْمَ الطَّوَالَ ، وَيُحَسِّنُ مَقَاطِيعَ النَّعْمِ الْقِصَارِ ، وَيُصِيبُ أَجْنَاسَ الْإِيْقَاعِ ، وَيَخْتَلِسُ مَوَاقِعَ النَّبَرَاتِ ، وَيَسْتَوْفِي مَا يَشَاكِلُهَا فِي الضَّرْبِ مِنَ النَّفَرَاتِ . فَعَرَضْتُ مَا قَالَ عَلَى مَعْبِدٍ ، فَقَالَ : لَوْ جَاءَ فِي الْغَنَاءِ قَرَأَنٌ مَا جَاءَ إِلَّا هَكَذَا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنية]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ ظُبَيْةَ : أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِحَبَابَةَ يَوْمًا : أتعرفين أحداً هو أطربُ مِنِّي ؟ قَالَتْ . نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأشخص إليه مقيداً . وأعلم بحاله فأذن في إدخاله ، فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان ؛ فغتنه سلامة لحن الغريض في : [من المتقارب]

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

فَطَرِبَ وَتَحَرَّكَ فِي أَقْيَادِهِ . ثُمَّ غَنَّتْهُ حَبَابَةُ لَحْنِ ابْنِ سَرِيحَ الْمَجْرَدِ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَوَثَبَ وَجَعَلَ يَحْبِلُ فِي قَيْدِهِ وَيَقُولُ : هَذَا وَأَيْكُمَا مَا لَا تَعْدِلَانِي فِيهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الشَّمْعَةِ فَوَضَعَ لَحْيَتَهُ عَلَيْهَا فَاحْتَرَقَتْ ، وَجَعَلَ يَصِيحُ : الْحَرِيقَ الْحَرِيقَ يَا أَوْلَادَ الزُّنَا . فَضَحَكَ يَزِيدُ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْرَبَ النَّاسِ حَقًّا ، وَوَصَلَهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى بَلَدِهِ .

[إسماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيحَ كَانَ جَالِسًا ، فَمَرَّ بِهِ عَطَاءُ وَابْنُ جُرَيْجَ . فَحَلَفَ عَلَيْهِمَا بِالطَّلَاقِ أَنْ يُغْنِيَهُمَا ، عَلَى أَنْتَهُمَا إِنْ نَهِيَاهُ عَنِ الْغِنَاءِ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ تَرَكَهُ . فَوْقَهَا لَهُ وَغَنَاهُمَا :

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَابِلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا

فَغَنَّى عَلَى ابْنِ جُرَيْجَ ، وَقَامَ عَطَاءُ فَرَقَصَ . وَنَسَبَ هَذَا الصَّوْتُ وَخَبِرَهُ يُذَكِّرُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

[غناء ابن سريج عند موقف الحاج للاستماع]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيحَ كَانَ عِنْدَ بَسْتَانِ ابْنِ عَامِرٍ يَغْنِي :

لِمَنْ نَارٌ بِأَعْلَى الْخَيْدِ فَرْدُونَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو
أَرَقْتُ لَذِكْرٍ مَوْعِيهَا فَحَنٌّ لَذِكْرِهَا الْقَلْبُ
إِذَا مَا أَحْمَدْتُ أُلْقِي عَلَيْهَا الْمُنْدَلُ الرُّطْبُ

فَجَعَلَ الْحَاجُّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى جَاءَ إِنْسَانٌ مِنْ آخِرِ الْقَطْرَاتِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ قَطَعْتَ عَلَى الْحَاجِّ وَحَبَسْتَهُمْ ، وَالْوَقْتُ قَدْ ضَاقَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَقُمْ عَنْهُمْ ، فَقَامَ وَسَارَ النَّاسُ .

[ابن سريج ينال جائزة السابق في الغناء]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ : أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا حَجَّ سَبَقَ بَيْنَ الْمُغْنِينَ بِدَرَّةٍ . فَجَاءَ ابْنُ سَرِيحَ وَقَدْ أَعْلَقَ الْبَابَ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْحَاجِبُ ، فَأَمْسَكَ حَتَّى سَكَنُوا وَغَنَّى :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا ابْنُ سَرِيحَ ، قَالُوا : هُوَ هُوَ ، قَالَ : أَدْخَلُوهُ فَأَدْخَلَ فَأَمَرَ بِإِعَادَةِ الصَّوْتِ فَأَعَادَهُ ، فَقَالَ : خَذِ الْبَدْرَةَ ، وَأْمُرِ لِلْمَغْنِينَ بِأُخْرَى .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من الوافر]

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْسَ فِتْرٍ
أُرَاقِبُ فِي الْمَجَرَّةِ كُلَّ نَجْمٍ تَعْرَضُ لِلْمَجَرَّةِ كَيْفَ يَجْرِي
لَهُمْ لَا أزالُ لَهُ مُدِيمًا كَانَ الْقَلْبُ أَسْعَرَ حَرِّ جَمَرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرٍ

الشعر لعروة بن أذينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى . وفيه لأبي عباد² رمل بالوسطى ، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب³ الحرّون .

[تاريخ وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن مقمّة : دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا يحيى ؟ فقال : أصبحت والله كما قال الشاعر :

كَأَنِّي مِنْ تَذَكَّرَ مَا الْأَفْي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأُسْلِمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مقمّة : لما احتضر ابن سريج نظر إلى ابنته تبكي فبكي ، وقال : إن من أكبر همّي أنت ، وأخشى أن تضيعي بعدي . فقالت : لا تخف ؛ فما غنيت شيئاً إلا وأنا أغنيه . فقال : هاتي . فاندفعت تغني أصواتاً وهو مُصْغِرٌ إليها ، فقال : قد أصبت ما في نفسي ، وهوت على أمرك . ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجها إياها ؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحلها ؛ فهو الآن يُنسب إليه . قال إسحاق : فقال كثير بن كثير السهمي يرثيه : [من البسيط]

مَا لِلْهُوِّ بَعْدَ عُيَيْدٍ حِينَ يَخْبُرُهُ مَنْ كَانَ يَلْهُو بِهِ مِنْهُ بِمُطَلَّبٍ
لِلَّهِ قَبْرُ عُيَيْدٍ مَا تَضْمَنَ مِنْ لَذَاذَةِ الْعَيْشِ وَالْإِحْسَانِ وَالطَّرِبِ

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .

2 ل : لابن عباد .

3 ل : لحاجب .

لولا الغريضة ففیه من شمائله مَشَابِهٌ لم أكن فيها بذی أَرَبُ¹
قال إسحاق : وحدثني هشام بن المُرِّيَّة أن قادمًا قَدِمَ المدينة فسارَّ معبدًا بشيء ، فقال معبدٌ :
أصبحت أحسنَ الناسَ غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟
قالوا لا . قال : أعلمني أن عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناسَ غناءً وهو حيٌّ . وفي ابن
سريج يقول عمر بن أبي ربيعة :

صوت

قالت وعيناها تجودانها صُوجِبَتْ والله لك الرَّاعي
يا ابن سريج لا تُدْعُ سِرًّا قد كُنْتَ عِنْدِي غَيْرَ مَذْياع

غنى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيوب المَدِينِي : تُوَفِّي ابن سريج بالعلَّة التي أصابته من الجُذام بمكة ، في
خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكة ودُفِن في موضع بها يقال له
دَسَمٌ² .

[وقفه على قبر ابن سريج بدسم.]

أخبرني الجَرْمِي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال أخبرني هارون بن أبي بكر قال
حدثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال : إنا لبغناء دار عمرو بن عثمان
بالأبطح في صُبحِ خامسةٍ من الثَّمان ، يعني أيام الحج ، قال : كنت جالساً أيام الحج ، فما إن
دَرَيْتُ إلَّا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب
إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فالتسبَّتُ لهما عثمانياً . فنزلا وقالا : رجلان من أهلِكَ
لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تقضيهما قبل أن نُشْدهُ³ بأمر الحج . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً
يَقِفُنَا على قبرِ عبيد بن سريج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلَّة بني أبي قارة من
خزاعة بمكة ، وهم موالي عبيد ابن سريج ، فالتسبَّتُ لهما إنساناً يَصحبُهُما حتى يَقفَهُما على
قبره بدسم ، فوجدتُ ابن أبي دُبَاكِيلٍ فأنهضتُهُ معهما . فأخبرني بعد : أنَّه لما وَقَفَهُما على قبره
نزل أحدهما عن راحلته فحسَرَ عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن
مروان ، فعقرَ ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كليلٍ حَسَنٍ ويقول :

1 شمائله في ل : مشابهه .

2 دسم : موضع على مقربة من مكة .

3 نشده : نشغل .

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدْسَمٍ فَهَاجَنَا
وَذَكَّرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْجِبٌ
فَجَالَتْ بِأَرْجَاءِ الْجُفُونِ سَوَافِحٌ
مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَلِي الَّذِي يَتَعَقَّبُ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَذِّ سَاقُهَا
دَمٌّ بَعْدَ دَمْعٍ إِثْرُهُ يَتَصَيَّبُ
فَإِنْ تَسْعِدَا نَدْبُ عُبَيْدًا بَعُولَةً
وَقَلَّ لَهُ مَنَا الْبُكَاءِ وَالتَّحُوبُ

ثم نزل صاحبه ففقر ناقته ، وقال له القُرَشِيُّ : خُذْ فِي صَوْتِ أَبِي يَحْيَى ؛ فَانْدَفِعْ
بِتَغْنَى¹ :

أَسْعِدَانِي بَعْبَرَةَ أُسْرَابٍ
مِنْ دُمُوعِ كَثِيرَةِ التَّنْكَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي
مَوْلَهَا مَوْلَعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلَ بَيْتٍ تَتَايَعُوا لِلْمَنَايَا
مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا
مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
كَمْ بِذَاكَ الْحَجُونُ مِنْ أَهْلِ صِدْقٍ
وَكُهُولٍ أَعْقَبَةٍ وَشَبَابِ
سَكُونُوا الْجَزَعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مُوْ
سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صَفِيِّ السَّبَابِ
فَلِي الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ
صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَصْحَابِي

قال ابن أبي دُبَايْكِ : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثاً حتى غَشِيَ على صاحبه ، وأقبل
يُصلِح السَّرَجَ على بغلته وهو غير مُعَرَّجٍ عليه . فسألته مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من جُدَامِ .
قلت : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن الْمُتَشِير . قال : ولم يَزَلْ القُرَشِيُّ على حاله ساعةً ثم
أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعائب له : أَنْتَ أَبَدًا مَصُوبٌ²
على نفسك ! وَمَنْ كَلَّفَكَ ما تَرَى ؟ ثم قَرَّبَ إليه الفرسَ ، فلَمَّا غَلَاه استخرج الجذامي
من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدْحًا وإِدَاوَةً مَاءٍ ، فجعل في القَدْحِ تُرْبًا من تُرَابِ قَبْرِ ابنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ
عليه ماءً من الإِدَاوَةِ ، ثم قال : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ السَّلْوَةَ فَشَرِبَ ، ثم فعل هو مثل ذلك ،
ورَكِبَ على البَغْلِ وأَرْدَفَنِي . فخرجا والله ما يُعَرِّضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مَّا كُنَّا فِيهِ ، وَلَا أَرَى
في وجوههما شيئاً مَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ . فلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا أَبْطَحُ مَكَّةَ قَالَا : انْزِلْ يَا
خُرَاعِي فَنَزَلْتُ . وَأَوَامُ الْفَتَى إِلَى الْجَذَامِيِّ بِكَلَامٍ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ وَفِيهَا شَيْءٌ فَأَخَذْتُهُ ، فَإِذَا
هو عشرون ديناراً ، ومضيا . فانصرفْتُ إلى قبره ببعيرين ، فاحتملتُ عليهما أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ
اللتين عَقَرَاهُمَا فَبَعَثُهَا بِثَلَاثِينَ دِينَاراً .

1 الشعر لكثيرين كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الحيري من الأغاني .

2 ل : منصوب .

صوت من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة¹ :

[من الطويل]

أهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزَلَ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ
مَضَارِبُ أَوْتَادٍ وَأَشْعَثُ دَائِرُ مُقِيمٌ وَسُفَعٌ فِي الْمَحَلِّ جَوَائِمُ²

عَرَّضَهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لُنْصَيْبٍ ، والغناء في اللَّحْنِ المختار لابن محرز ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَرِ ، وله فِيهِ أَيْضاً هَزَجٌ بِالسَّيَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ، وذكر جَحْظَةَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ هُوَ الْمَخْتَارُ ، وَحَكَى عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْغِنَاءِ كُلُّهُ نَعْمَةً إِلَّا وَهِيَ فِي الثَّلَاثَةِ الْأَصْوَاتِ الْمَخْتَارَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا .

ومن قصيدة نُصَيْبٍ هَذِهِ مِمَّا يُعْنَى فِيهِ قَوْلُهُ :

[من الطويل]

لَقَدْ رَاعَيْتِي لِلْبَيْتِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ بَانَ جَاوَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَتْ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجَوْهُنَّ فَدَائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ يُونُسَ وَيَحْيَى الْمَكِّيَّ وَإِسْحَاقَ ، وَأَظْهَرَ مَعَ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَأَنَّ الْجَمِيعَ لِحْنٍ وَاحِدٍ ، وَلَكِنَّهُ تَفَرَّقَ لَصُعُوبَةِ اللَّحْنِ وَكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَجُعِلَا صَوْتَيْنِ .

1 شعر نُصَيْبٍ : 128 عن الأغاني .

2 أَشْعَثُ : صَفَةُ لِلْوَتْدِ ؛ وَسُفَعٌ صَفَةُ لِلْأَثْنَانِ .

[7] - ذكر نُصَيْبٍ وأخباره¹ [-108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رِباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعض العرب من بني كِنانة السُّكَّانِ بُوْدان² ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولأهه منهم ، وقيل : بل كاتب مَوَالِيه ، فأدَّى عنه مَكاتِبَتَه .

وقال ابن ذَابٍ : كان نُصَيْبٌ من قُضاعة ثم من بَلِيٍّ . وكانت أُمُّهُ سَوْداءُ فوقع عليها سَيْدُها فَجَلَبَتْ بَنُصَيْبَ ، فوثب عليه عَمُّهُ بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرَةَ . وكان شاعراً فَحَلًّا فَصِيحاً مُقَدِّماً في النسيب والمدح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عَفِيفاً ، وكان يقال : إنه لم يُنْسَبْ قطُّ إلا بامراته .

أخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزَّيْبِر بن بَكَّار قال : كتب إليَّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِخْجَن بن نُصَيْب بن رباح يذكر عن عَمَّتِهِ غَرْصَةَ بنتِ النُّصَيْبِ : أن النُّصَيْب كان ابن نَوَيْسِينَ سَبِيئِينَ كانا لِحِزاعة ، ثم اشترت سلامة أُمُّ نُصَيْب امرأةً من حِزاعة ضَمْرِيَّة حاملاً بالنصيب ، فأعتقت ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : كان نُصَيْبٌ من أهل وَدَّانَ عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أهلُ بيته . وكان أهلُ البادية يدعونهُ النُّصَيْبَ تفخيماً له ، ويروون شعره . وكان عَفِيفاً كبيرَ النَّفْسِ مُقَدِّماً عند الملوك ، يُجيد مَدِيحَهُمْ ومَراثِيَهُمْ .

أخبرني الحسين بن حمَّاد عن أبيه عن ابن الكلبي قال : كان نُصَيْبٌ من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أُمُّهُ أُمُّ سَوْداءَ ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عَمُّهُ أُنحُو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشح للمزباني : 296 ، تحقيق علي محمد الجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأُمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752-2757 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197-201 تحقيق إحسان عباس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386-390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعل المراد هو الذي بين مكَّة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عبيدة ، وأخبرنا الجرمي عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عبيدة قال حدثني رجلٌ من خُزاعة من أهل كُليّة ، وهي قرية كان فيها النّصيب وكثير ، قال : بلغني أنّ النّصيب قال : قلتُ الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتي مَشِيخةً من بني ضَمرة بن بكر بن عبد مئة ، وهم موالي النّصيب ، ومشِيخةً من خُزاعة ، فأنشدتهم القصيدة من شِعري ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعرُ ! فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنّي مُحسنٌ ، فأزعموا وأزعمتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأختي أمانة وكانت عاقلةً جَلدةً : أي أُخَيّة ، إنّي قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعَيّنكَ اللهُ عزّ وجلّ به وأمك ، ومن كان مرفوقاً من أهل قرابتي . قالت : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ! يا ابن أُمّ ، أتَجتمع عليك الخصلتان : السّود ، وأن تكون ضُحكةً للناس ! قال : قلتُ فاسمعي ، فأنشدتها فسمعتُ ، فقالت : بأيّ أنت ، أحسنتَ والله ، في هذا والله رجاءٌ عظيمٌ ، فاخرجْ على بركة الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قَدمتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم ، فخرجتُ إليه فقلتُ : أنشدته وأستشده وأعرض عليه شِعري . فأنشدته : فقال لي : ويلك ؟ أهذا شِعركَ الذي تَطْلُبُ به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلستَ في شيء ، إن استطعتُ أن تكتمَ هذا على نفسك فافعل . فانفصختُ عرقاً ، فخصّصني رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمعَ إنشادي وسمعَ ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقامتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شعركَ الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أصبتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرفَ محاسنَ الشعرِ ، فأَمْضِ لوجهك ولا يكبرنك . قال : فسَرّني قوله ، وعلمتُ أنّه قد صدّقني فيما قال ، فاعتزمتُ على المضيّ .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فَنَحِيتُ عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الثّارة سَهْلَ المَدخل ، يُؤدّن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أماسي بغلته . فلما رأيته قال : ألك حاجة ؟ قلتُ : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفيه ، وقد ازدريتُ فطردتُ من الباب ونَحِيتُ عن الوجوه . قال :

فأنشيدني ، فأنشدته . فأعجبه شعري ، فقال : ويحك ؛ أهذا شعرك ؟ فإياك أن تتحلج ؛ فإن
الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، فلا تفضحني ونفسي . فقلت : والله ما هو إلا
شعري . فقال : ويحك ، فقل أبياتاً تذكر فيها خوف مصر وفضلها على غيرها ، والقني بها
غداً . فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي² :

سرى الهمم تتييني إليك طلائعهُ
وبات وسادي ساعد قل لحمه
بمصر وبالخوف اعترتني روائعهُ
عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعهُ³

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي
تمشى به أفناء بكر ومدحج
فكل مسيل من تهامة طيب
أعني على برق أريك وميضه
إذا اكتحلت عينا مجب بضوئه
هنيئاً لألم البخري الروى به
وما زلت حتى قلت لي لخالع
ومانسح قوم أنت منهم مودتي

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعر ، احضر بالباب حتى أذكرك للأمير . قال : فجلست على الباب
ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي . فدخلت فسلمت على عبد العزيز ،
فصعد في بصره وصوب ، ثم قال : أنت شاعر ؟ وملك ! قلت : نعم ، أيها الأمير . قال :
فأنشيدني . فأنشدته ، فأعجبه شعري . وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خريم
الأسدي⁴ بالباب . قال : ائذن له ، فدخل فاطمأن . فقال له الأمير : يا أيمن بن خريم ، كم ترى
ثمن هذا العبد ؟ فظفر لي فقال : والله لنعم الغادي في أثر المخاض ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة
دينار . قال : فإن له شعراً وفصاحة . فقال لي أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت نعم . قال : قيمته
ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتحفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها الأمير ! ما لهذا

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .

2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينه ، وانظر ديوان نصيب : 103-104 .

3 الأشاجع : أصول الأصابع .

4 سترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشعر؟ أمثلُ هذا يقول الشعر أو يُحسين شعراً؟ فقال: أنشده يا نصيب، فأنشدته. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن؟ قال: شعر أسود. وهو أشعر أهل جلدته. قال: هو والله أشعر منك، قال: أمني أيها الأمير؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيها الأمير، إنك لمُلُولُ طَرف. قال: كذبت والله ما أنا كذلك؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرت عليك، تنازعني التَّحِيَّةُ وتَوَاكَلْنِي الطَّعَامُ وتَتَكَيَّءُ على وسائدي وفُرْشِي وبك ما بك؟ يعني وضحاً كان بأيمن؛ قال: ائذن لي [أن] أخرج إلى بشر بالعراق، واحملني على البريد. قال: قد أذنتُ لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر. فقال أيمن بن خريم:

ركبتُ من المَقَطَمِ في جُمَادَى إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقمَ بِبِشْرٍ عمود الحق إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث لأهل الزَّيغِ إسلاماً جديدا
كأن التاج تاج بني هرقل جلّوه لأعظم الأيام عيدا
على ديباج خدي وجه بشر إذا الألوان خالفت الخدودا
قال أيوب يعني بقوله:

إذا الألوان خالفت الخدودا

أنه عَرَضَ بكَلفٍ كان في وجه عبد العزيز .
وأعقبَ مِدحتي سرجاً مليحاً وأبيضَ جوزجائياً عَنوداً¹
وإنّا قد وجدنا أمَ بِشْرٍ كأم الأسدِ مذكّاراً ولودا
قال: فأعطاه بِشْرُ مائة ألف درهم.

[أول من نوه باسم نصيب ووصله بعد العزيز بن مروان]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: أول من نوه باسم نصيب وقدم به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فروة، قدم به عليه وهو وصيف حين بلغ وأول ما قال الشعر. قال: أصلح الله الأمير، جئتُك بوصيف نوبي يقول الشعر، وكان نصيب ابن نوبيّين، فأدخله عليه، فأعجبه شعره، وكان معه أيمن بن خريم الأسدي. فقال عبد العزيز: إذا دعوت بالغاء فأدخلوه علي في جبة صوفٍ مُحْتَرِماً بعقال، فإذا قلت قوموه فقوموه وأخرجوه وردّوه علي في جبة وشيٍ ورداء

1 يعني جملأ قوياً أبيض من منطقة جوزجان.

وشيء. فلما جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أدخل نصيب في جبة صوفٍ محتزماً بعتقال ، فقال : قوموا هذا الغلام . فقالوا : عشرة ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : ردوه ، فأخرجوه ثم ردوه في جبة وشيٍ ورداء وشيٍ . فقال : أنشدنا ، فأنشدهم . فقال : قوموه ، قالوا : ألف دينار . فقال أيمن : والله ما كان قط أقل في عيني منه الآن ، وإنه لنعم راعي المخاض . فقال له : فكيف شعره ؟ قال : هو أشعر أهل جلديته . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منك . قال : أميني أيها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنك للملؤل طريف . فقال له : والله ما أنا بملول وأنا أنازعك الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدك حيث أضعتها وتلتقي يدك مع يدي على مائدة ، كل ذلك أحتملك ، وكان بأيمن بياض ، فقال له أيمن : ائذن لي أن أخرج إلى بشرٍ . فأذن له فخرج ، وقال أبياته التي أولها :

رَكِبْتُ مِنَ الْمَقْطَمِ فِي جُمَادَى

وقد مضت الأبيات . قال : فلما جاز بعيد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاك بشراً . قال : أتجوزني ؟! قال : إي والله أجوزك إلى من قديم إليّ وطنبي . قال : فلم فارقت صاحبك ؟ قال : رأيتمكم يا بني مروان ، تتخذون للفتى من فتيانكم مؤدباً ، وشيخكم والله محتاج إلى خمسة مؤدبين . فسر ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقّد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعق النصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال : يقال : إن نصيباً أضلّ إبلاً له فخرج في بُغائِها فلم يُصبها ، وخاف مَوالِيه أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته ؛ فأخلف عليه ما ضلّ لمَوالِيه وابتاعه وأعتقه .

أخبرنا الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الهلالي ثم الدوسي قال : أراد النصيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبد لبني مُحَرز الضُمري ، فقالت أمه له : إنك ستُردّ ويأخذك ابن مُحَرز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقولها . حتى إذا كان بمكان ماء يُعرف بالددوّ ، فبينما هو راقد إذ هجم عليه ابن مُحَرز ؛ فقال حين رآه : [من الطويل]

إِنِّي لِأَخْشَى مِنْ قِلَاصِ ابْنِ مُحَرِّزٍ إِذَا وَخَذْتَ بِالْدَوِّ وَخَذَ النَّعَائِمُ

يُرْعَسْنَ بِطِيْنِ الْقَوْمِ أَيَّةَ رَوْعَةٍ ضَحِيحاً إِذَا اسْتَقْبَلَنَّهُ غَيْرُ نَائِمٍ

فأطلقوه ، فرجع فأتى أمه . فقالت : أخبرتك يا بُنيّ أنّه ليس عندك أن تُعجزَ القومَ . فإن كنت يا بُنيّ قد غلبتني أنك ذاهبٌ فخذ بنت الفلانة ؛ فإني رأيتها وطقتُ أفحوصاً¹ بيضات

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطَاةٍ فَلَمْ تَقْلِقْهُنَّ فَفَرَّكَبَهَا ، فَهِيَ الَّتِي بَلَغَتْهُ ابْنُ مَرْوَانَ .
 قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهُ بْنُ الزُّبَيْرِ : عِنْدَنَا أَنَّ الَّتِي أُعْتَقَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي حَنْبَلٍ .
 [أَوَّلُ اتِّصَالِهِ نَصِيبَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبُرَيْدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْخَلِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ بْنُ
 مُسْلِمٍ قَالَ حَدَّثَنَا كَلْبُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ حَدِيثًا (أَيَّ حَسَنَ الْحَدِيثِ) قَالَ : بَلَغَنِي
 أَنَّ نَصِيبًا كَانَ حَبَشِيًّا يَرْعَى إِبِلًا لِمَوَالِيهِ ، فَأُضِلَّ مِنْهَا بَعِيرًا ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ حَتَّى أَتَى الْفُسْطَاطَ ،
 وَبِهِ إِذْ ذَاكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ نَصِيبٌ : مَا بَعْدَ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ وَاحِدٌ أَعْتَمَدُهُ لِحَاجَتِي . فَأَتَى الْحَاجِبَ فَقَالَ : اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْأَمِيرِ ؛ فَإِنِّي قَدْ هَيَّأْتُ لَهُ
 مَدِيحًا . فَدَخَلَ الْحَاجِبَ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ رَجُلٌ أَسْوَدُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ بِمَدِيحٍ قَدْ
 هَيَّأَهُ لَكَ . فَظَنَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَنَّهُ مِمَّنْ يُهْزَأُ بِهِ وَيُضْحَكُ لَهُمْ ، فَقَالَ : مَرُّهُ بِالْحَضُورِ لِيَوْمِ حَاجَتِنَا إِلَيْهِ .
 فَغَدَا نَصِيبٌ وَرَاحَ إِلَى بَابِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَرَّهُ ، فَأَمَرَ
 بِالسَّرِيرِ فَأُبْرِزَ لِلنَّاسِ ، وَقَالَ : عَلَيَّ بِالْأَسْوَدِ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُضْحِكَ مِنْهُ النَّاسَ . فَدَخَلَ ، فَلَمَّا كَانَ
 حَيْثُ يُسْمَعُ كَلَامُهُ ، قَالَ :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ	وْغَيْرِهِمْ نَعَمٌ غَامِرَةٌ
فَبَابِكَ أَلَيْنُ أَبُوَابِهِمْ	وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكُلُّبِكَ آتَسُ بِالْمُعْتَفِينَ	مِنَ الْأُمِّ بِالْإِنْسَةِ الزَّائِرَةِ
وَكَفْكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِ	نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَةِ
فَمَنْكَ الْعَطَاءُ وَمَنِي الثَّنَاءُ	بِكُلِّ مُجَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

فَقَالَ : أَعْطُوهُ أَعْطُوهُ . فَقَالَ : إِنِّي مَمْلُوكٌ . فَدَعَا الْحَاجِبَ فَقَالَ : اخْرُجْ فَأَبْلُغْ فِي قِيَمَتِهِ ؛ فَدَعَا
 الْمُقَوِّمِينَ فَقَالَ : قَوِّمُوا غَلَامًا أَسْوَدَ لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ . قَالُوا : مِائَةُ دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ رَاعٍ لِلْإِبِلِ
 يُبْصِرُهَا وَيُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا . قَالُوا : حِينَئِذٍ مِائَتَا دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ يَبْرِي الْقِسِيَّ وَيُثَقِّفُهَا وَيَرْمِي
 النَّبْلَ وَيَرِيثُهَا . قَالُوا : أَرْبَعِمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ : إِنَّهُ رَاوِيَةٌ لِلشَّعْرِ بِصِيرٍ بِهِ . قَالُوا : سِتِّمِائَةَ دِينَارٍ . قَالَ :
 إِنَّهُ شَاعِرٌ لَا يُلْحَقُ حِدَقًا . قَالُوا : أَلْفُ دِينَارٍ . قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : ادْفَعُوهَا إِلَيْهِ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ
 الْأَمِيرَ ثُمَّنَ بَعِيرِي الَّذِي أَضَلَلْتُ . قَالَ : وَكَمْ ثَمَنُهُ ؟ قَالَ : خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ دِينَارًا . قَالَ ادْفَعُوهَا
 إِلَيْهِ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ؛ جَائِزَتِي لِنَفْسِي عَنْ مَدِيحِي إِيَّاكَ . قَالَ : اشْتَرِ نَفْسَكَ ثُمَّ عُدْ إِلَيْنَا .
 فَأَتَى الْكَوْفَةَ وَبِهَا بَشْرُ ابْنِ مَرْوَانَ ، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ فَاسْتَصْعَبَ الدُّخُولَ إِلَيْهِ . وَخَرَجَ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ

مَنْتَرَهَا فَعَارَضَهُ ، فَلَمَّا نَاكَبَهُ (أَي صَارَ حِذَاءَ مَنْكِبِهِ) نَادَاهُ¹ :
 يَا بَشْرُ يَا ابْنَ الْجَعْفَرِيَّةِ مَا خَلَقَ إِلَهُ يَدَيْكَ لِلْبُحْلِ
 جَاءَتْ بِهِ عُجْزٌ مُقَابِلَةٌ مَا هُنَّ مِنْ جَرَمٍ وَلَا عُكْلٍ
 قال : فَأَمَرُ لَهُ بِشْرَ بَعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . الْجَعْفَرِيَّةُ الَّتِي عَنَاهَا نُصِيبُ : أُمُّ بَشْرَ بْنِ مَرْوَانَ ،
 وَهِيَ قُطَيْبَةُ بِنْتُ بَشْرَ بْنِ عَامِرٍ مُلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ .
 [أُمُّ بَشْرَ بْنِ مَرْوَانَ]

أَخْبَرَنَا الْيَزِيدِيُّ عَنْ الْخَرَّازِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ وَعَامِرِ بْنِ حَفْصٍ
 وَغَيْرِهِمَا : أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ مَرَّ بِبَادِيَةِ بَنِي جَعْفَرٍ ، فَرَأَى قُطَيْبَةَ بِنْتَ بَشْرَ تَنْزِعَ بِذُلُوقٍ عَلَى
 إِبِلٍ لَهَا ، وَتَقُولُ :
 لَيْسَ بَنَا قَفَرٌ إِلَى التَّشْكِيِّ جَرَبَةٌ كُحْمَرِ الْأَبْكَ²
 لَا ضَرَعَ فِيهَا وَلَا مُذَكِّي³

ثُمَّ تَقُولُ :

عَامَانِ تَرْفِيقٌ وَعَامٌ تَمَمَّا لَمْ يَتْرِكْ لَحْمًا وَلَمْ يَتْرِكْ دِمَا
 وَلَمْ يَدْعُ فِي رَأْسِ عَظْمٍ مَكْدَمَا إِلَّا رَذَايَا وَرَجَالًا رُزْمًا⁴
 فَخَطَبَهَا مَرْوَانٌ فَتَزَوَّجَهَا ، فَوُلِدَتْ لَهُ بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ .
 أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَنْ
 إِسْحَاقَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ خَلِيلِ بْنِ عَجْلَانَ فِي خَيْرِ النَّصِيبِ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ وَإِسْحَاقُ سِوَاءٍ .
 [نُصِيبٌ يَقْسِمُ مَا يَصِيبُهُ فِي مَوَالِيهِ]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكَرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ الْعُتْبِيِّ قَالَ : دَعَا النَّصِيبُ مَوَالِيَهُ
 أَنْ يَسْتَلْحِقُوهُ فَأَبَى ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ أَكُونَ مَوْلَى لَانْقَاءَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ دَعِيًّا لَاحِقًا .
 وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَرِيدُونَ بِذَلِكَ مَالِي ، وَاللَّهِ لَا أَكْسِبُ شَيْئًا أَبَدًا إِلَّا كُنْتُ أَنَا وَأَنْتُمْ فِيهِ سِوَاءٍ
 كَأَحَدِكُمْ ، لَا أَسْتَأْثِرُ عَلَيْكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا . قَالَ : وَكَانَ كَذَلِكَ مَعَهُمْ حَتَّى مَاتَ ، إِذَا أَصَابَ
 شَيْئًا قَسَمَهُ فِيهِمْ ، فَكَانَ فِيهِمْ كَأَحَدِهِمْ .
 [نُصِيبُ وَالْفَرَزْدَقُ بِخُضْرَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ]

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا [الزُّبَيْرِيُّ ، وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ

1 ديوان نصيب : 120 .

2 الجربة : قطع من الحمير . الأبك : الحمير المتدافعة .

3 الضرع : الضعيف . المذكي : المسن .

4 مكدم : موضع للكدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أَبِي خَيْمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ [قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ قَالَ : دَخَلَ النُّصَيْبُ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعِنْدَهُ الْفَرَزْدَقُ ، فَاسْتَنْشَدَ الْفَرَزْدَقُ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ سَيُنْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ يَفْتَحِرُ¹ :
[من الطويل]

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَّوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تُلْفَهُمْ عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارٌ غَالِبِ
قَالَ : وَعِمَامَتُهُ عَلَى رَأْسِهِ مِثْلُ الْمُنْسَفِ ؛ فَعَاظَ سُلَيْمَانُ وَكَلَعَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ لِنُصَيْبٍ :
قُمْ فَأَنْشِدْ مَوْلَاكَ وَيْلَكَ ، فَقَامَ نُصَيْبٌ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ² :
[من الطويل]

أَقُولُ لِرَكَبٍ صَادِرِينَ لَقَيْتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ³
فَقِفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانٍ طَالِبُ
فَعَاجُؤُوا فَأَتَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَتَيْتُكَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وَقَالُوا عَهْدُنَا كُلَّ عَشِيَةٍ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَائِبُ حَوْلَهُ وَلَا تُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءُ الْكَوَائِبُ⁴
فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا نُصَيْبُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَلَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِالْفَرَزْدَقِ .
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ :
[من الوافر]

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

[النصيب وعبد العزيز بن مروان]

أَخْبَرَنَا الْحَرْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ عَنْ عَمِّهِ
مُوسَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : حَمَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ النُّصَيْبَ بِالْمَقْطَمِ ، مَقْطَمٌ مَصْرٌ ، عَلَى
بُخْتٍ قَدْ رَحَلَهُ بَغِيضٌ⁵ فَوْقَهُ ، وَالْبِسَاءُ مَقْطَعَاتٍ وَشَيْءٌ ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَنْشُدَ ؛ فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ
السُّودَانُ وَفَرَحُوا بِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَسَرَّرْتُكُمْ ؟ قَالُوا : إِي وَاللَّهِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَمَّا يَسْأَلُكُمْ مِنْ أَهْلِ
جِلْدَتِكُمْ أَكْثَرُ .

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر - بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .

2 ديوان نصيب : 59 .

3 قارب : ذاهب للورود .

4 المضيء في ل : المنير .

5 الغبيط : الرحل .

[نصيب وجريز]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العرفاء قال : مرَّ جريزٌ بنصيبٍ وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتك . قال : وجلدتك يا أبا حَزْرَةَ .
[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني أيوب بن عباية قال : بلغني أنَّ النُصَيْب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أُخلى له مجلسه واستنشدَه مَراثي بني أُمَيَّة ، فإذا أنشدَه بكى وبكى معه . فأنشدَه يوماً قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]
إذا استَبَقَ الناسُ العُلا سَبَقَتْهُمْ يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّتْ شِمَالُهَا
فقال له هشامٌ : يا أسودُ ، بلغتَ غايةَ المدح فسَلِّني . فقال : يدُك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحباه وكساه وأحسنَ جائزته .
[نصيب وإعناقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : أصاب نُصَيْبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكنمه ورجع إلى المدينة في هيئة بُدَّةٍ ، فقالوا : لم يُصَبِّ بمدحِه شيئاً . فمكث مُدَّةً ، ثم ساوم بأُمِّه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أُمَّ أُمِّه بضِعْفٍ ما ابتاع به أُمُّه فأعتقها . وجاءه ابن خالَةٍ له اسمه سُحَيْمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما معي والله شيءٌ ، ولكِنِّي إذا خرجتُ أخرجتُكَ معي ، لعلَّ الله أن يُعَيِّقَكَ . فلَمَّا أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سُحَيْمٍ يرعى إبله وأخرجَه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه . فمرَّ به يوماً وهو يَزِفُّن وَيَزِمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً ، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِتَصِلَ رَجَمِي وَتَقْضِي حَقِّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريدُه ، أُرْفِنُ وَأَزِمُرُ وَأَصْنَعُ ما شئت . فانصرف النُصَيْبُ وهو يقول² : [من الرجز]

إِنِّي أَرَانِي لِسُحَيْمٍ قَائِلاً	إِنْ سُحَيْمًا لَمْ يُشِينِي طَائِلاً
نَسِيتُ إِعْمَالِي لَكَ الرَّوَاحِلَا	وَضَرَبِي الْأَبْوَابَ فَيْكَ سَائِلاً !
عِنْدَ الْمُلُوكِ أُسْتَيْبُ النَّائِلَا	حَتَّى إِذَا آتَسْتُ عَتَقًا عَاجِلاً
وَيُتَنِّي مِنْكَ الْقَفَا وَالْكَاهِلَا	أَخْلَقًا شَكْسًا وَلَوْناً حَائِلاً

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتُ جائزةَ النُصَيْبِ عند عبد العزيز ، قال³ : [من الوافر]

1 صلت : جاءت مصلية أي تالية .

2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 63 .

وَأَنَّ وَرَاءَ ظَهْرِي يَا ابْنَ لَيْلَى
أُمَامَةً مِنْهُمْ وَلِمَأْقِيئِهَا
تَرَكْتُ بِلَادَهَا وَأَيَّتُ عَنْهَا
فَاتَّبَعْتُ بَعْضَنَا بَعْضًا فَلَسْنَا
أُنَاسًا يَنْظُرُونَ مَتَى أُوُوبُ
غَدَاةَ الْبَيْنِ فِي أَثَرِي غُرُوبُ
فَأَشْبَهُ مَا رَأَيْتُ بِهَا السُّلُوبُ
تُثْبِتُكَ لَكِنَّ اللَّهَ الْمُثِيبُ

فَعَجَّلَ جَائِزَتَهُ وَسَرَّحَهُ . قَالَ إِسْحَاقُ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ كُنَاسَةَ قَالَ : لَيْلَى أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَلْبِيَّةٌ . وَبَلَّغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَا أُعْطِي شَاعِرًا شَيْئًا حَتَّى يَذْكُرَهَا فِي مَدْحِي لِشَرَفِهَا ؛ فَكَانَ الشُّعْرَاءُ يَذْكُرُونَهَا بِاسْمِهَا فِي أَشْعَارِهِمْ .

[شرف نصيب لشعره]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّادَةَ قَالَ : وَقَفَتْ سَوْدَاءُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى نُصَيْبٍ وَهُوَ يُنْشِدُ النَّاسَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبِي أَنْتَ يَا ابْنَ عَمِّ وَأُمِّي ! مَا أَنْتَ وَاللَّهِ عَلَيَّ بِخَزْيٍ . فَضَحِكَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَمَنْ يُخْزِيكَ مِنْ بَنِي عَمِّكَ أَكْثَرَ مِمَّنْ يَزِينُكَ .

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قَالَ إِسْحَاقُ وَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّادَةَ وَغَيْرُهُ أَنَّ ابْنَ نُصَيْبٍ خَطَبَ بَعْدَ وَفَاةِ سَيِّدِهِ الَّذِي أَعْتَقَهُ بِنْتًا لَهُ مِنْ أَخِيهِ ، فَأُجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَعُرِفَ أَبَاهُ . فَقَالَ لَهُ : اجْمَعْ وَجُوهَ الْحَيِّ لِهَذَا الْحَالِ فَجَمَعَهُمْ . فَلَمَّا حَضَرُوا أَقْبَلَ نُصَيْبٌ عَلَى أَخِي سَيِّدِهِ فَقَالَ : أَزَوَّجْتُ ابْنِي هَذَا مِنْ ابْنَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَقَالَ لِعَبِيدِهِ لَهُ سَوْدُ : خَلُّوا بِرَجُلٍ ابْنِي هَذَا فَجُرُّوهُ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا ، فَفَعَلُوا وَضَرِبُوهُ ضَرْبًا مَبْرَحًا . وَقَالَ لِأَخِي سَيِّدِهِ : لَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَذَاكَ لِأَلْحَقْتُكَ بِهِ . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى شَابٍّ مِنْ أَشْرَافِ الْحَيِّ ، فَقَالَ : زَوِّجْ هَذَا ابْنَ أَخِيكَ وَعَلَيَّ مَا يُصْلِحُهُمَا فِي مَالِي ، فَفَعَلَ .

[نصيب ومناذمة عبد الملك بن مروان]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ عَنْ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ : دَخَلَ نُصَيْبٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَغَدَّى مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِيْمَا نَتَنَادِمُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : تُوَمُّنُنِي ؟ فَفَعَلَ . فَقَالَ : لَوْ بِي حَائِلٌ ، وَشُعْرِي مُفْلَقٌ ، وَخِلَقَتِي مَشْوُوهٌ ، وَلَمْ أَبْلُغْ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِكْرَامِكَ إِيَّائِي بِشَرَفِ أَبٍ أَوْ أُمٍّ أَوْ عَشِيرَةٍ ، وَأَمَّا بَلَّغْتَهُ بِعَقْلِي وَلِسَانِي . فَانْشُدْكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا بَلَغْتَ بِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنْكَ ، فَأَعْفَاهُ .

[سب تسميته بهذا الاسم]

أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْأَسَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ النَّطَّاحِ قَالَ بَلَغَنِي عَنْ خَلَادِ بْنِ مُرَّةٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَرْزَدٍ قَالَ : لَقِيتُ النُّصَيْبَ يَوْمًا بِيَابِ هِشَامٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مِجْحَنٍ ، لِمَ سُمِّيتَ نَصَيْبًا ، أَلْقَوْلُكَ فِي شَعْرِكَ عَائِنَهَا النُّصَيْبُ ؟ فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي وُلِدْتُ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ وَدَّانَ ، فَقَالَ سَيِّدِي : إِيْتُونَا بِمَوْلَدِنَا هَذَا لِنَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ : إِنَّهُ لِمُنْصَبٌ

الخلق ؛ فُسِمَتِ النَّصِيبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .
[فصاحته وتخلصه إلى جبد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسدي قال :
قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصري : لئن وليت العراق لأستكبين نصيباً لفصاحته
وتخلصه إلى جبد الكلام .
[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه]

أخبرني الأسدي قال حدثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزهرري قال :
حدثني نصيب قال : دخلت على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنشدني قولك : [من الطويل]
إذا لم يكن بين الخليلين ردةً سوى ذكر شيء قد مضى درس الذكر
فقلت : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهذلي ، ولكني الذي أقول : [من الطويل]
وقفتُ بسدي دوران أنشدُ نأقتي وما إن بها لي من قُلوص ولا بكرٍ
فقال لي عبد العزيز : لك جائزة على صدق حديثك ، وجائزة على شعرك ؛ فأعطاني على
صدق حديثي ألف دينار ، وعلى شعري ألف دينار .
[أوصاف نصيب الحمسية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيت
النصيب وكان أسود خفيف العارضين ناتيء الحنجرة .
أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني إبراهيم بن يزيد السعدي عن
جدته جمال بنت عون بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيت رجلاً أسود مع امرأة
بيضاء ، فجعلت أعجب من سواده وبياضها ، فدنوت منه وقلت : من أنت ؟ قال : أنا الذي
أقول : [من الطويل]

ألا ليت شعري ما الذي تُحدثين بي غداً غربة النأي المفرق والبعيد
لدى أم بكرٍ حين تقترب النوى بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرموني عند الألى هم لنا العدا فتشمتهم بي أم تدوم على العهد
قال : فصاحت : بل والله تدوم على العهد . فسألت عنهما فقيل : هذا نصيب ، وهذه أم بكر .
[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال حدثني أبو اليقظان
عن جويرية بن أسماء قال : أتى النصيب عبد الله بن جعفر فحمّله وأعطاه وكساه . فقال له
قائل : يا أبا جعفر ، أعطيت هذا العبد الأسود هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسود إن
ثناءه لأبيض ، وإن شعره لعربي ، ولقد استحقّ بما قال أكثر مما نال . وما ذاك ، إنما هي

رواحِلُ تُنْصَى ، وثيابٌ تَبْلَى ، ودرَاهِمُ تُفْنَى ، وثَناءٌ يَبْقَى ، ومدائحُ تُرَوَى !
أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائني قال قال أبو الأسود : امتدح نُصَيْبٌ
عبد الله بن جعفر وذكر مثله .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حَدَّثَنَا الْخَرَّازُ عن المدائني قال : قيل لَنُصَيْبٍ : إنَّ هاهنا نِسْوَ
يُردن أن ينظرنَ إليك ويسمعن منك شِعْرَكَ . قال : وما يَصْنَعْنَ بي ! يَرَيْنَ جِلْدَةً سوداء وشِعْرًا
أبيض ، ولكن ليسمعن شِعْري من وراء سِتْرِ .

[تغني منقذ الهلاكي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال :
أتاني مُنْقَذُ الْهَلَاكِ لَيْلاً ، فضرب عليّ الباب . فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : مُنْقَذُ الْهَلَاكِ .
فخرجتُ إليه فرعاً . فقال : الْبُشْرَى . فقلت : وأيّ بُشْرَى أَتَيْتَ بك في هذا الليل ؟ فقال :
خَيْرٌ ، أتاني أهلي بِدَجَاجَةٍ مَشْوِيَةٍ بين رغيفين فتعشَّيتُ بها ، ثم أَتَوْنِي بِقَيْنَةٍ من نبيذٍ قد التقى
طرفاها صفاء ورُقَّةً ، فجعلتُ أَشْرِبُ وأترنم بقول نُصَيْبٍ :

بَرِيبَ الْمَمِّ قَبْلَ أَنْ يَطْعَنَ الرِّكْبُ

ففكَّرتُ في إنسانٍ يفهم حُسْنه يَعْرِفُ فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأتيْتُكَ مُخْبِراً بذلك .
فقلت : ما جاء بك إلَّا هذا ؟ فقال : أَوَلَا يَكْفِي ؟ ثم انصرف .
[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال مَسْلَمَةُ لَنُصَيْبٍ : أنت لا تُحْسِنُ
المِجَافَ . فقال : بَلَى والله ، أتراني لا أُحْسِنُ أن أجعل مكان عافاك الله أَخْزَاكَ الله ؟! قال : فَإِنَّ
فلاناً قد مدحتَه فحَرَمَكَ فَاهْجُهْ ، قال : لا والله ما ينبغي أن أهْجُوهُ ، وإنما ينبغي أن أهْجُو
نفسِي حين مدحتَه . فقال مَسْلَمَةُ : هذا والله أَشدُّ من الهِجاءِ .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن ابن عُبَايَةَ عن الضَّحَّاكِ الْهَزَامِيِّ قال : دخل
نُصَيْبٌ مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ
أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومنبره ، فقال : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، ائْذَنْ
لِي أَنْ أَتَشْدِكَ من مراثي عبد العزيز . فقال : لا تفعل فتَحْزَنُنِي ، ولكن أنشدني قولك . « قفا
أُخَوِّي » ، فَإِنَّ شَيْطَانَكَ كان لك فيها ناصحاً حين لَقْنَكَ إِيَّاهَا . فأنشده : [من الوافر]

صوت

فَمَا أُخَوِّيَ إِنْ الدَّارَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ بَعْدَكُمْ تَكُونُ
لِيَالِي تَعْلَمَانِ وَالْ لَيْلَى قَطِينُ الدَّارِ فَاحْتَمِلِ الْقَطِينُ
فُعُوجًا فَانْظُرَا أَتَيْنِ عَمَّا سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تَبِينُ
فُظْلًا وَاقْفَيْنِ وَظِلَّ دَمْعِي عَلَى خَدَيَّ تَجُودُ بِهِ الْجُفُونُ¹
فَلَوْلَا إِذْ رَأَيْتَ الْيَاسَ مِنْهَا بَدَا أَنْ كِدْتَ تَرَشُّقُ الْعَيُونُ ،
بَرِحْتَ فَلَمْ يَلْمُكَ النَّاسُ فِيهَا وَلَمْ تَغْلُقْ كَمَا غَلِقَ الرَّهِينُ

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ويونس .

[قصّة نصيب مع عجوز بالحففة]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان نصيب ينزل على عجوز بالحففة إذا قديم من الشام ، وكان لها بُنيّة صفراء وكان يستحليها ، فإذا قديم وهب لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقدم عليهما قدمة وبات بهما ، فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلاً فركضها برجله ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلما أصبح نصيب رأى أثر معتزكهما ومعتسلهما . فلما أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتها : بأبي أنت ، عادتكَ . فقال لها² :

أَرَأَيْكَ طَمُوحَ الْعَيْنِ مَيَّالَةَ الْهَوَى لِهَذَا وَهَذَا مِنْكَ وَدُّ مُلَاطِفُ
فَإِنْ تَحْمِلِي رَدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَحَيِّي فَرْدُ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَادِفُ
وَلَمْ يُعْطَهَا شَيْئًا وَرَحَلَ .

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيوب : وكانت بمكَل امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبدة بن عبد الله بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مُطِيع ونُصِيب . فلما رحلوا وهب لها القُرَشِيَّان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها : اختاري إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطيك إذا قَدِمْتُ ، وإن شئت قلتُ فيكِ أحياناً تنفعك . قالت : بَلِ الشَّعْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ . فقال³ :

1 الجفون في ل : الشؤون .
2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .
3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلَا حَسِيٍّ قَبْلَ الْبَيْنِ أَمْ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ غَدًا بِقَرِيبٍ
لَنْ لَمْ يَكُنْ حُبِّيكَ حُبًّا صَدَّقْتَهُ فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَىٰ يَا وَتَيْحَ كُلِّ غَرِيبٍ
فشهرها بذلك ، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيوب : ودخل النَّصِيبُ على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وليَّ الخلافة . فقال له : إيه يا أسود ، أنت الذي تُشَهِّرُ النساءَ بنسيبك ! فقال : إني قد تركتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، وعاهدتُ الله عزَّ وجلَّ ألا أقولَ نسيباً ، وشهد له بذلك مَنْ حضر وأثنوا عليه خيراً . فقال : أما إذ كان الأمرُ هكذا فسلَّ حاجتك . فقال : بُنِيتُ لي نفَضْتُ عليهنَّ سَودِي فكسَدُنَّ ، أُرْعَبُ بهنَّ عن السُّودانِ ويرغبُ عنهنَّ البِيضَانُ . قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : تَفَرِّضُ لهنَّ ، ففعل . قال : ونفقةً لطريقي . فأعطاه حِلِيَّةَ سَيْفِهِ وكساه ثوبيه ، وكانا يُساويان ثلاثين درهماً .

[اجتماع النَّصِيبِ والكميت وذِي الرِّمَّةِ]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شُبَّة عن إسحاق الموصلي عن ابن كُنَاسة قال : اجتمع النَّصِيبُ والكميت وذو الرِّمَّة ، فأنشدهما الكُميتُ قوله :

هل أنتَ عن طلبِ الأثْفَاعِ مُنْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها :

أَمْ هَلْ طَعَائِسُنَ بِالْعِلَاءِ نَافِعَةٌ وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْأُنْسُ وَالشَّنْبُ
فعقد نصيبٌ واحدةً . فقال له الكُميتُ : ماذا تُحْصِي ؟ قال : خَطَأُكَ ، बादتُ في القول ، ما الْأُنْسُ من الشَّنْبِ ؟ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

لَمُبَاءٍ فِي شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاثِ وَفِي أَنْبَابِهَا شَنْبُ¹
ثم أنشدهما قوله :

أَبَتْ هَذِهِ النَّفْسُ إِلَّا أَذْكَارَا

حتى بلغ إلى قوله :

إِذَا مَا الْمَجَارِسُ غَنِيَتْهَا تُجَاوِزِينَ بِالْفَلَوَاتِ الْوِبَارَا²
فقال له النَّصِيبُ : والوبار لا تسكن الفلوات . ثم أنشد حتى بلغ منها :

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .

2 المجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كَانَ الْعُطَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَا حِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَارًا¹
فَقَالَ النَّصِيبُ : مَا هَجَّتْ أَسْلَمُ غِفَارًا قَطُّ ؛ فَاكْسِرَ الْكُمَيْتَ وَأَمْسِكْ .
[نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي : أَنَّ نَصِيبًا مَدَحَ
عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فأمر له بعشر قلائص ، وكتب بها إلى رجلين من
الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملك إلا رزقي ، وإني لأكره أن أبسط يدي في أموال
هؤلاء القوم . فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مكتوماً . فقرأه وقال : قد أمر
لك بثمان قلائص ، ودفعاً ذلك إليه . ثم غزل ووُلِّي مكانه رجلٌ من بني نصر بن حوازن ،
فأمر بأن يُتَبَّعَ ما أعطى ابن الضحاك ويُرتَجَعَ ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر
بمطالبتها بها . فقال : والله ما دفع إلي إلا ثمان قلائص . فقال : والله ما تخرج من الدار
حتى تؤدِّي عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرج حتى قبض ذلك منه .

فلما قديم على هشام سمر عنده ليلة وتذاكروا النصري ، فأنشده قوله فيه² : [من البسيط]
أَرْدَى وَتَنَزَّعَ مِنْ أَحْشَائِي الْكِيدُ
عَشْرَ فَأَيَّ كِتَابٍ بَعْدَنَا وَجَدُوا
مِنْهَا فَعَنْدَهُمَا الْفَقْدُ الَّذِي فَقَدُوا
فِي غَيْرِ نَائِرَةٍ دَنَاءً لَهُ صَعْدُ³
أَمْ كَيْفَ أَقْتُلُ لَا عَقْلٌ وَلَا قُوْدُ
قَالَ : فَقَالَ هِشَامُ : لَا جَرَمَ وَاللَّهِ ، لَا يَعْمَلُ لِي النَّصْرِيُّ عَمَلًا أَبَدًا ؛ فَكُتِبَ بَعَزْلُهُ عَنِ الْمَدِينَةِ .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بكار إجازةً عن هارون بن
عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفر⁴ قال : قَدِمَ عَلَيْنَا النَّصِيبُ فَجَلَسَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ وَأَوْمَأَ
إِلَى مَجْلِسِ حِذَاءِهِ ، فَاسْتَنْشَدَنَا ، فأنشدنا قوله⁵ : [من الطويل]
أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكَرَّ ضَرِيَّةٍ سَقَتَكَ الْعَوَادِي مِنْ عُقَابٍ وَمِنْ وَكْرِ⁶

1 العظامط : صوت غليان القدر .

2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .

3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقة .

4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .

5 انظر ديوانه 93-94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .

6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمَرَّ اللَّيَالِي مَا مَرَّرَنَ وَلَا أَرَى
وَقَفْتُ بِذِي دُورَانَ أَنْشُدْ نَاقَتِي
وَمَا أَنْشُدُ الرُّعْيَانَ إِلَّا تَعَلُّةً
أَمَا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عِبْدَهُ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْجَفْرِ جَبًّا وَأَهْلِهِ
مُرُورَ اللَّيَالِي مُنْسِيَاتِي ابْنَةَ النَّضْرِ
وَمَا لِي لَدَيْهَا مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرٍ¹
بَوَاضِحَةِ الْأَنْثَابِ طَبِيبَةَ النَّشْرِ
وَعَلَّمَ أَيَّامَ الْمَنَاسِكِ وَالنَّخْرِ
لَيَالٍ أَقَامَتْهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحرَّمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ السَّعْدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ سَلِيمَانَ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَسْرُوحٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِنُصَيْبٍ أَنْشُدْنِي ؛ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا² :

وَمُضْمَرِ الْكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ بِهِ
وَذِي رَوَادِفَ لَا يُلْفَى إِلَّا زَارُهَا
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا نُصَيْبُ ، مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : بِنْتُ عَمِّ لِي نُؤَيْبَةُ ، لَوْ رَأَيْتَهَا مَا شَرِبْتَ مِنْ يَدِهَا الْمَاءَ . فَقَالَ لَهُ : لَوْ غَيْرَ هَذَا قُلْتَ لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاكَ .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ اشْتَرَى نُصَيْبًا وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ فَأَعْتَقَهُمْ ، وَكَانَ نُصَيْبٌ يَرْحَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مُسْتَمِيحًا³ ، فَيَجِيزُهُ وَيُحَسِّنُ صِلَتَهُ . فَقَالَ فِيهِ نُصَيْبُ⁴ :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلٍ
فَتَى لَا يَرْزَأُ الْخُلَانَ إِلَّا
وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنَ مَا يَقُولُ
مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزُوهُ الْخَلِيلُ
فَبَشَّرَ أَهْلَ مَصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ
مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مَصْرَ نَيْلُ

[نصيب وشاعر هجاء]

أخبرني هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ الْخُرَازِمِيِّ أَبُو دُلْفٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : كَانَ نُصَيْبٌ يُكْنَى أَبَا الْحَجَنَاءِ ، فَهَجَاهُ شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ فَقَالَ :

- 1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .
- 2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .
- 3 مستميحاً : طالباً العطاء .
- 4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأَيْتُ أَبَا الْجَحْنَاءِ فِي النَّاسِ حَائِراً وَلَوْ أَنَّ أَيْبَى الْجَحْنَاءِ لَوْنُ الْبَهَائِمِ
 تَرَاهُ عَلَى مَا لَاحَهُ مِنْ سَوَادِهِ وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَهُ وَجْهُ ظَالِمٍ
 فَقِيلَ لِلنَّصِيبِ : أَلَا تُجِيبُهُ فَقَالَ : لَا ، وَلَوْ كُنْتُ هَاجِئاً لِأَحَدٍ لِأَجَبْتُهُ ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَوْصَانِي
 بِهَذَا الشَّعْرِ إِلَى خَيْرٍ ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَقُولَهُ فِي شَرٍّ ، وَمَا وَصَفَنِي إِلَّا بِالسَّوَادِ وَقَدْ
 صَدَقَ . أَفَلَا أَنْشِدْكُمْ مَا وَصَفْتُ بِهِ نَفْسِي ؟ قَالُوا بَلَى . فَأَنْشَدَهُمْ نُوْلَهُ¹ : [من الكامل]

لَيْسَ السَّوَادُ بِنَاقِصِي مَا دَامَ لِي هَذَا اللِّسَانُ إِلَى فَوَائِدِ ثَابِتٍ
 مَنْ كَانَ تَرْفَعُهُ مَنَابِتُ أَصْلِهِ فَيَبُوتُ أَشْعَارِي جُعْلُنْ مَنَابِتِي
 كَمْ بَيْنَ أَسْوَدٍ نَاطِقٍ بِبَيَانِهِ مَاضِي الْجَنَانِ وَبَيْنَ أَيْضَ صَامِتٍ
 إِنِّي لَيُخَسِّدُنِي الرَّفِيعُ بِنَاوُهُ مِنْ فَضْلِ ذَاكَ وَلَيْسَ بِي مِنْ شَامِتٍ
 وَهُيُورَى مَكَانَ «مَنْ فَضْلُ ذَاكَ» ، «فَضْلُ الْبَيَانِ» وَهُوَ أَجُود .

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى
 الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ قَاتِلُ النَّصِيبِ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ، مَا لَكَ
 وَلِلشَّعْرِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُكَ عَبْدٌ فَمَا وُلِدْتُ إِلَّا وَأَنَا حُرٌّ ، وَلَكِنْ أَهْلِي ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي . وَأَمَّا
 السَّوَادُ فَأَنَا الَّذِي أَقُولُ² :

وَأِنْ أَكُ حَالِكاً لَوْنِي فَإِنِّي لِعَقْلٍ غَيْرِ ذِي سَقَطٍ وَعَاءٍ
 وَمَا نَزَلْتُ بِي الْحَاجَاتُ إِلَّا وَفِي عَرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الْحَيَاءِ

[شعر النصيب في جارية طلبت منه أن يشيب بها]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثْتُ عَنْ السَّدُوسِيِّ قَالَ : وَقَفَ
 نَصِيبٌ عَلَى أَيْبَاتٍ فَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بَلْبَنٍ أَوْ مَاءٍ فَسَقَتْهُ ، وَقَالَتْ : شَبِّبَ
 بِي . فَقَالَ : وَمَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : هِنْدٌ . وَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ وَقَالَ : مَا اسْمُ هَذَا الْعَلَمِ ؟
 قَالَتْ : قَنَا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ³ :

أُحِبُّ قَنَا مِنْ حُبِّ هِنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي أَقْرَباً زَادَهُ اللَّهُ أَمُّ بَعْدَا
 أَلَا إِنَّ بِالْقِيَعَانِ مِنْ بَطْنِ ذِي قَنَا لَنَا حَاجَةٌ مَالَتْ إِلَيْهِ بَنَا عَمْدَا
 أُرْوِنِي قَنَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَإِنِّي أُحِبُّ قَنَا إِنِّي رَأَيْتُ بِهِ هِنْدَا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .

2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 84-85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخطبت هذه الجارية من أجلها ، وأصاب بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأبت ثم تزوجه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُرَاعِي قال حَدَّثَنَا عِيسَى بن إِسْمَاعِيل بن نَبِيه قال حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن سَلَام قال : دخل نصيبٌ على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حَدَّثَنِي يا نَصِيبُ ببعض ما مرَّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، عُلِّقَتْ جارية حمراء ، فمكثتُ زماناً ثَمَنِيَنِ بِالْأَبَاطِيل ، فلمَّا أُلْحِقَتْ عليها قالت : إليك عني ؛ فوالله لكأنك من طَوَارِقِ الليل . فقلت لها : وأنت والله لكأنك من طَوَارِقِ النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاطني قولها ، فقلت لها : هل تدرين ما الظُّرف ؟ إِمَّا الظُّرْفُ الْعَقْلُ . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أملك . فأرسلتُ إليها هذه الأبيات¹ :

فإنَّكُ حَالِكًا فَاِلْسُكُ أَحْوَى وما لِسَوَادٍ جِلْدِي من دَوَاءٍ
ولي كَرَمٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ نَاءٍ كَبُعْدِ الْأَرْضِ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ
ومثَّلِي فِي رَجَالِكُمْ قَلِيلٌ ومثلكُ لَيْسَ يُعْدَمُ فِي النِّسَاءِ
فإنَّ تَرْضِي فَرْدِي قَوْلَ رَاضٍ وإن تَأْبَى فَنَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ
قال : فلمَّا قرأتُ الشَّعْرَ قالت : المَالُ والشَّعْرُ يَأْتِيَانِ عَلَى غَيْرِهِمَا ؛ فَتَزَوَّجْتَنِي .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قال : أنشدنا الأصمعيُّ لِنَصِيبٍ وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قَاتَلَ اللَّهُ نَصِيبًا ما أشعره² ! : [من الطويل]

فإنَّ يَكُ من لَوْنِي السَّوَادُ فَإِنِّي لَكَالمِسْلُ لَا يَرَوِي من المِسْلُ ذَاتُقَهْ
وما ضَرَّ أَثَوَابِي سَوَادِي وَتَحْتَهَا لِيَأْسُ من الْعَلْيَاءِ بِيضٌ بَنَاتُقَهْ
إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الْوَدِّ مِثْلَ ما بذلتُ لَهُ فاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهْ

[نصيب وجري]

أخبرني الفضل بن الحُبَاب أبو خليفة قال حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن سَلَام عن خَلَف : أنَّ نَصِيبًا أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف ترى يا أبا حَزْرَةَ . فقال له : أنت أشعرُ أهلِ جِلْدَتِكَ .

[نصيب والوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحُرْمِيُّ بن أَبِي الْعَلَاء قال حَدَّثَنَا الزَّيْبِر بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل عن

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .

2 ديوان نصيب : 110-111 وفيه تخريج كثير والبيت الأوَّل مختلف عما هنا .

عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال : قال نصيب لعبد الرحمن بن أذهر : أتشدت الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا محجن ، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له : وددت والله يا ابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك .
[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيْدة قال : قال لي محمد بن عبد ربه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زياً . فسألت عنه ، فقيل : هذا نصيب ، فذنوت منه فحذنته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جميل إمامنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحِجَال ، وكثير أبكانا على الدَّمن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت . فقلت له : إن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو . فضحك ثم قال : أفراهم يقولون : إني لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا . فقال : أَمَا ترائي أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخراك الله ؟ قال قلت بلى . قال : فإني رأيت الناس رجُلَيْن : إما رجلاً لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوه فأظلمه ، وإما رجلاً سألته فمَنعني فنفسي كانت أحق بالهجاء ؛ إذ سؤلت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه .
[نصيب وكثير والأحوص في مجلس]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عُبَيْدة الله كاتب المهدي قال : وجدت في كتاب أبي بخطه : حدثني أبو يوسف التَّجِيبِي قال حدثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال : حدثني النصيب أبو محجن أنه خرج هو وكثير والأحوص غِبَّ يومٍ أمطرت فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمَّع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ، وليسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتبهون ، حتى رفع لهم سوادٌ عظيم فأموه حتى أتوه ، فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيبوهن من أول وهلة ، فقالوا : لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا . فحلفنهم أن يرجعوا إليهن ، ففعلوا وأتوهن ، فسألنهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة برَّرة على فُرْش لها ، فرحبت وحيَّت ، وإذا كراسيٌ موضوعة ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كل إنسانٍ على كرسي . فقالت : إن أحببتم أن ندعو بصبي لنا فنصِّبَه ونعرك أذنه فعلنا ، وإن شئتم بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء . فأومأت

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إِلَّا كَلَا ولا حتى جاءت جاريةً جميلةً قد سُرَّتْ بمُطَرَفٍ ، فأَمْسَكوه عليها حتى ذهبَ بَهْرُهَا¹ ، ثم كُشِفَ عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمالِ مولاتِها ، فرحبتُ بهم وحيثُهم ، فقالت لها مولاتُها : خُذِي ، وَيَحْك ، من قول النُصَيْبِ عافى الله أبا مُحجَّن² :

أَلا هل من البَيْنِ المُفَرَّقِ من بُدٍّ وهل مثلُ أَيَّامٍ بِمُنْقَطَعِ السَّعْدِ³
تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوْلَكَ ، والمُنَى على عَهْدِ عَادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي
فَغَنَّتْهُ ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قطَّ بأحلى لفظٍ وأشجى صوت . ثم قالت لها :
خُذِي أيضاً من قول أبي مُحجَّن عافى الله أبا مُحجَّن⁴ :

أَرْقَ الْمُحِبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ لِطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرْدُهُ
وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرْقُ لِي كَبِدُهُ
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي وَلَا بَلَدِي فَكَوْنَ حِينًا جِيرَةً ، بَلَدُهُ
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةِ يَجِدُهُ
إِلَّا ابْنُ عَجَلَانَ الَّذِي تَبَلَّتْ هِنْدٌ فَفَاتَ بِنَفْسِهِ كَمَدُهُ⁵

قال : فجاءت به أحسنَ من الأوَّل ، فكادت أَطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : وَيَحْك ، خُذِي
من قول أبي مُحجَّن عافى الله أبا مُحجَّن⁶ :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمَتَّعْتُ طَوْلَهُ وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مُتَمَتِّعٌ
نَعَمْ إِنَّ ذَا شَجْوٍ مَتَى يَلْقَ شَجْوَهُ وَلَوْ نَائِمًا مُسْتَعْتَبٌ أَوْ مُودَعٌ
لَهُ حَاجَةٌ قَدْ طَالَمَا قَدْ أَسْرَهَا مِنَ النَّاسِ فِي صَدْرِ بِهَا يَتَصَدَّعُ
تَحْمَلُهَا طُولَ الزَّمَانِ لَعَلَّهَا يَكُونُ لَهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مَتَرَعٌ
وَقَدْ قُرَعْتُ فِي أُمِّ عَمْرٍو لِي الْعَصَا قَدِيمًا كَمَا كَانَتْ لِلَّذِي الْحِلْمُ تُقَرَّعُ⁷

1 ذهب بهرها : سكن روعها .

2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .

3 السعد : موضع قريب من المدينة .

4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .

5 فات بنفسه : ذهب بها .

6 ديوان نصيب : 101 .

7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خذي أيضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن¹ :

يا أيُّها الركبُ إنِّي غيرُ تابعِكمُ حتى تُلِمُّوا وأنتمُ بي مُلِمُّونا
فَمَا أَرَى مِثْلَكُمْ رَكْباً كَشَكْلِكُمْ يَدْعُوهُمْ ذُو هَوًى إِلَّا يَوعُجُونَ
أَمْ خَبَرُونِي عَنْ دَائِي بَعْلِكُمْ وَأَعْلَمُ النَّاسَ بِالدَّاءِ الْأَطْبُونَا

قال نَصِيب : فوالله لقد زهيتُ بما سمعتُ زهواً خَلِيلٌ إِلَيَّ أَنْتِي مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْ الْخِلَافَةَ لِي .
ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بَنِيَّةُ ! هَاتِ الطَّعَامَ يَا غِلَامُ ! فَوَيْلُ الْأَحْوصِ وَكَثِيرٌ وَقَالَا : وَاللَّهِ لَا نَطْعُمُ
لِلْطَّعَامِ وَلَا نَجْلِسُ لَكَ فِي مَجْلَسٍ ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ عِشْرَتَنَا وَاسْتَخَفَفْتَ بَنَا ، وَقَدِمْتَ شَعْرَ هَذَا
عَلَى أَشْعَارِنَا ، وَاسْتَمَعْتَ الْغَنَاءَ فِيهِ ، وَإِنْ فِي أَشْعَارِنَا لَمَّا يَفْضَلُ شِعْرُهُ ، وَفِيهَا مِنَ الْغَنَاءِ مَا هُوَ
أَحْسَنُ مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : عَلَى مَعْرِفَةٍ كُلُّ مَا كَانَ مِنِّي ، فَأَيُّ شَعْرٍ كَأَفْضَلُ مِنْ شَعْرِهِ ؟ أَقُولُكَ يَا
أَحْوصُ :

يَقَرُّ بَعَيْنِي مَا يَقَرُّ بَعِينَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
أَوْ قَوْلُكَ يَا كَثِيرٌ فِي عَرَّةٍ :
وَمَا حَسِبْتُ ضَمْرِيَّةً جُدُويَّةً سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّ لَهَا بَعْلًا²

أَمْ قَوْلُكَ فِيهَا :

إِذَا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَبِكَهَا فَإِنْ عَطَّاسُهَا طَرَفُ السَّفَادِ

قال : ففخرجا مُغْضَبَيْنِ وَاحْتَسَبَيْنِ ، فَتَغَدَّيْتُ عِنْدَهَا ، وَأَمَرْتُ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ وَحُلَّتَيْنِ
وَطِيبٍ ، ثُمَّ دَفَعَتْ إِلَيَّ مَائَتِي دِينَارٍ وَقَالَتْ : ادْفَعِيهَا إِلَى صَاحِبَيْكَ ؛ فَإِنْ قَبِلَاهَا وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ .
فَأَتَيْتُهُمَا مَنَازِلَهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا الْقِصَّةَ . فَأَمَّا الْأَحْوصُ فَقَبِلَهَا ، وَأَمَّا كَثِيرٌ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَقَالَ : لَعَنَ
اللَّهُ صَاحِبَتَكَ وَجَائِزَتَهَا وَلَعَنَكَ مَعَهَا ، فَأَخَذْتُهَا وَانْصَرَفْتُ . فَسَأَلْتُ النَّصِيبَ : مِمَّنِ الْمَرْأَةُ ؟
فَقَالَ : مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَلَا أَذْكُرُ اسْمَهَا مَا حَيَّيْتُ لِأَحَدٍ .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان]

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال : وقع
الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد

1 ديوان نصيب : 137-138 عن الأغاني .

2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكناني .

يقال لها «سُكْرُ». فقديم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدْرِك . فقال : أوّه ، ما أراني راجعاً إلى الفُسْطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نصيب يرثيه¹ :

أصِبتُ يومَ الصعيدِ من سُكْرٍ مصيبةٌ ليس لي بها قِيلُ
تاللهِ أنسى مصيبتِي أبداً ما أستمعني حينَها الإيلُ
ولا التَّيَكِّي عليه أعولُه كلُّ المصيباتِ بعده جَلُّ
لم يعلمِ النَّعْشُ ما عليه من الـ عُرْفِ ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنَّوه في ضريحهم حينَ انتهى من خليلِكَ الأملُ
غنى في هذه الأبيات ابن سريج ، ولحنه رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر الهشامي أن له فيه لحناً من المزج ، وذكر ابن بائة أن الرَّمْلَ لابن الهريز² :

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن مُصعب الزبيرى عن شبيخة من أهل الحجاز : أن نصيباً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أنشدني بعض ما رثيت به أخي ؛ فأنشده قوله³ :

عرفتُ وجرِبتُ الأمورَ فما أرى كاضٍ تَلَاهُ الغابرُ المتأخَّرُ
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نِعْمَتِي يَمُرُّونَ أسلافاً أمامي وأغبرُ
فإن أبكيه أُعْذِرُ وإن أغلبَ الأسى بصيرِ فمِثْلِي عندما اشتدَّ يَصِيرُ
وكانت رِكابِي كلما شئتُ تَنْتَحِي إِلَيْكَ فَتَقْضِي نَحْبَهَا وهي ضَمُرُ
تَرى الوَرْدَ يُسْرًا والثَّوَاءَ غَنِيمةً لَدَيْكَ وَتُثْنِي بِالرِّضَا حينَ تَصْدُرُ
فقد عَرِيتُ بعدَ ابنِ لَيْلى فإنما ذُرَاهَا لمن لاقَتْ من الناسِ مَنْظَرُ
ولسو كان حيّاً لم يَزَلْ بذُفُوفِهَا مَرَادٌ لِعَرَبانِ الطريقِ وَمَنْقَرُ⁴
فإن كُنَّ قد نَلْنَ ابنَ لَيْلى فإنه هو المصطفى من أهله المتخَيَّرُ
فلما سمع عبد الملك قوله :

[من الطويل]

فإن أبكيه أُعْذِرُ وإن أغلبَ الأسى بصيرِ فمِثْلِي عندما اشتدَّ يَصِيرُ

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .

2 هو إسماعيل بن الهريز ، وكان مولى لآل الزبير .

3 ديوان نصيب : 87-88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .

4 الدف : الجنب ، والضمير في دفعوها يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

قال له : ويلك ! أنا كنتُ أحقُّ بهذه الصفة في أخي منك ؛ فهلاً وصفتني بها ؛ وجعل يبكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يعقوب محمد بن كناسة قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصري : لو وليت العراق لاستكتبْتُ نصيباً . قلت : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام ، ألم تسمع قوله¹ : [من الطويل]

فلا النفسُ ملَّتْها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطَّرفُ عنها فترجعُ
رأتها فما ترتدُّ عنها سامةً ترى بدلاً منها به النفسُ تقنعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي ذهبل لصاحبنا ابن الأزرقي حيث يقول :

إن تغدُ من مَقَلِّي نَخْلانَ مُرتَجِلاً يَرَحُلُ من اليمين المعروف والجود²

قال : ففضيب نصيب ونزع عمامته وبرك عليها ، وقال : لكن تأتوننا برجال مثل ابن الأزرقي نأتكم بمثل مديح أبي ذهبل أو أحسن ؛ إن المدح والله إنما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعجبوا من إقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم³ . [نصيب وأم بكر الخراعية]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهرري : أن نصيباً كان ربماً قديماً من الشام فيطرح في حجر أم بكر الخراعية أربعمئة دينار ، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كف عن ذلك .

[نصيب يعرف أنه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفي عن أبيه قال : رأيتُ النصيب بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء وجيرة⁴ ، فجعل يُشيدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إن الوادي مسبعة ، فمن أهل المجلس ؟

1 ديوان نصيب : 102 .

2 المستقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .

3 بعد هذا في (ل) خبر مر من قبل .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمين .

قالوا : ثَقِيفٌ ؛ فَعَرَفَ أَنَّا نُبْعِضُ ابْنَ هِشَامٍ وَنُبْعِضُنَا ، فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ أَبْعَدُ ابْنِ لَيْلَى أَمْتَدَحِ ابْنَ جَيْدَاءِ ! فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْمَجْلِسِ : يَا أَبَا مِحْجَنَ ، أَتَطْلُبُ الْقَرِيضَ أحياناً فَيَعْسُرُ عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : إِي وَاللَّهِ لَرُبَّمَا فَعَلْتُ ، فَأَمَرُ بِرَاحِلَتِي فَيُبَشِّدُ بِهَا رَحْلِي ، ثُمَّ أُسِيرُ فِي الشَّعَابِ الْخَالِيَةِ ، وَأَقِفُ فِي الرَّبَاعِ الْمُقَوِّيةِ ، فَيُطْرَبُنِي ذَلِكَ وَيُفْتَحُ لِي الشَّعْرُ . وَاللَّهِ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ مَا قُلْتُ بَيْتاً قَطُّ تَسْتَحْيِي الْفَتَاةَ الْحَيَّةَ مِنْ إِنْشَادِهِ فِي سِتْرِ أَيْبِهَا . قَالَ إِسْحَاقُ قَالَ عِثْمَانُ بْنُ حَفْصٍ فَوَصَفَهُ أَبِي وَقَالَ : كَأَنِّي أَرَاهُ صَدْعاً خَفِيفَ الْعَارِضِينَ نَاتِيَةَ الْحَنْجَرَةِ .

[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كُثَّاسة قال : أنشد نصيب قوله :

وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
فَسَمِعَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أُمِّ ، قُلْ غَاقٌ فَإِنَّكَ تَطِيرُ . يَعْنِي أَنَّهُ غُرَابٌ أَسْوَدُ .
أخبرني الجرهمي قال حدثنا الزبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أسد قريش قال : قال ابن أبي عتيق لنصيب : إِنِّي خَارِجٌ ، أَفْتَرُسُ إِلَى سَعْدَى بِشْيءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، بَيْتِي شَعْرٌ .
قَالَ : قُلْ ؛ فَقَالَ :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ²
قَالَ : فَأَنشَدَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ سَعْدَى الْبَيْتَيْنِ ، فَتَنَفَّسَتْ تَنَفُّسَةً شَدِيدَةً . فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ :
أَوَّةُ ! أَجَبْتَهُ وَاللَّهِ بِأَجُودَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَلَوْ سَمِعَكَ خَلِيلُكَ لَنَعَقَ وَطَارَ إِلَيْكَ .

[نصيب والحكم بن المطلب]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هَفَّانَ عَنْ إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ الْمُسَيَّبِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو النَّجْمِ : أَتَيْتُ الْحَكَمَ بْنَ الْمُطَّلَبِ فَمَدَحْتُهُ ، وَخَرَجَ إِلَى السَّعَايَةِ³ فَخَرَجْنَا مَعَهُ وَمَعَهُ عِدَّةٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ . فَبَيْنَا هُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا وَقَفْتُ ، إِذَا بِرَاكِبٍ يُوضِعُ فِي السَّرَابِ⁴ وَإِذَا هُوَ نَصِيبٌ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ فَأَمَرَ بِإِزَالِهِ ، فَمَكَثَ أَيَّامًا حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ صَبِيَّةً صِغَارًا وَعِيَالًا ضِعَافًا . فَقَالَ لَهُ : ادْخُلِ الْخَطِيرَةَ فَخُذْ مِنْهَا سَبْعِينَ قَرِيضَةً⁵ . فَقَالَ لَهُ :

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .

2 سنا في ل : لها .

3 السعاية : جمع الزكاة .

4 في رواية : يوضع في السير .

5 القرية : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعني ابن لي أخاف أن يثلمها¹ علي . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحرثي بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن الضحَّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لنُصَيْب : هَرَمَ شعرك . قال : لا والله ما هَرَمَ ، ولكن العطاء هَرَمَ ، ومن يُعطني مثل ما أعطاني الحكم بن المطلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صدقات المدينة ، فلما رأيته قلت² :

أبا مَروانَ لستَ بخارجيٍّ وليس قديمُ مجدِكَ بانتحالٍ³
أغرُّ إذا الرِّواقُ انجابَ عنه بدا مثلُ الهلالِ على المِثالِ
تَراءه العيونُ كما تَراءى عَشِيَّةُ فطَهرِها وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنة ومائة لَفَحَةٍ ، وقال : ارفع فراشي ؛ فرفعته فأخذتُ من تحته مائتي دينارٍ .

[نُصَيْب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة]

أخبرني عيسى بن الحسين الورَّاق قال حدثنا الزبير قال حدثني أسعدُ بن عبد الله المري⁴ عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال : والله إني لَمَعَ أبي عُبَيْدة بن عبد الله بن زمة في جِواء⁵ له ، إذ جاءه كُثَيِّرٌ فحياه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كُثَيِّرٌ ؛ وجاء رجلٌ فسَلَّم فرَدَدنا عليه السلام واستدنيناه ، فإذا نُصَيْب في بَرَّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كُثَيِّرٌ يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيْدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كُثَيِّرٌ على نُصَيْب فقال : والله يا أبا مِحْجَن ، إن أثر الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكِبَرِ قليلَ الحياء . فقال له نُصَيْب : لكنَّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخَرٍ غيرَ جميل . لقد رجعتَ وإنك لرائدُ النقص⁶ ، كثيرُ الحماقة . فقال كُثَيِّرٌ : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لمولائِكَ :

[من الوافر]

1 يثلمها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .

2 ديوان نُصَيْب : 119 عن الأغاني .

3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .

4 ل : المزني .

5 الجِواء : مجموعة من بيوت الشعر .

6 ل : التقصير .

إِذَا أُمْسَيْتُ بَطْنُ مَجَاحٍ دُونِي وَعَمَقُ دُونَ عَزَّةَ فَالْبَقِيعُ¹
فليس بلائمي أحدٌ يُصَلِّي إِذَا أَخَذْتُ مَجَارِيهَا الدِّمُوعُ

فقال له نصيب : أنا والله أشعرُ منك حيث أقول لأبنة عمك² : [من الطويل]

خَلِيلِي إِنْ حَلَّتْ كُلِّيَّةٌ فَالرُّبَى فذَا أُمَجَّ فَالشَّعْبُ ذَا الْمَاءِ وَالْحَمَضُ³
فَأَصْبَحَ مِنْ حَوْرَانَ رَحْلِي بِمَنْزِلٍ يُعِيدُهُ مِنْ دُونِهَا نَازِحُ الْأَرْضِ⁴
وَأَيَّاسُتَمَا أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَخَوْضًا لِي السَّمُ الْمُصْرَحُ بِالْمَحْضِ⁵
فَفِي ذَاكَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ سَلَامَةٌ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى غَمَضٍ

قال : فاقْتَحَمَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ ، وَثَبَتَ لَهُ النُّصَيْبُ . فَلَمَّا نَالَهُ رَجُلَاهُ رَمَحَهُ نَصِيبٌ بِسَاقِهِ⁶
رَمَحَةً طَاحَ مِنْهَا بَعِيداً عَنْهُ ، فَمَا زَالَ رَاقِداً حَتَّى أَبْقَظَنَاهُ عَشِيئاً لَرُمِي الْجِمَارِ .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النحويّ عن أنيس بن ربيعة الأسلميّ أنّه قال : غَدَوْتُ يَوْماً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ وَهُوَ مُحْتَلٌّ بِالرَّحْبَةِ⁷ ، فَأَلْقَيْتُ عَنْهُ جَمَاعَةً مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا ، فَأَنَاءَ آتٍ فَقَالَ لَهُ : ذَاكَ النَّصِيبُ مِنْذُ ثَلَاثٍ بِالْفَرَسِ⁸ مِنْ مَلَلٍ مُتَلَدِّدٍ كَأَنَّهُ وَاللَّهِ فِي أَثَرِ قَوْمٍ طَاعِنِينَ . فَهَضَّ أَبُو عُبَيْدَةَ وَنَهَضْنَا مَعَهُ ، فَإِذَا نَصِيبٌ عَلَى الْمَنْحَرِ مِنْ صَفَرٍ⁹ . فَلَمَّا عَايَنَّا وَعَرَفْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ هَبَطَ ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَبَعَ قَوْماً سَائِرِينَ وَأَنَّهُ وَجَدَ آثَارَهُمْ وَمَحَلَّهُمْ بِالْفَرَسِ فَاسْتَوَلَّهُ ذَلِكَ . فَضَحِكَ بِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَوْمُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّمَا يُهْتَرُ¹⁰ إِذَا عَشِقَ مَنْ اتَّسَبَ عُذْرِيّاً ، فَأَمَّا أَنْتَ فَمَا لَكَ وَلِهَذَا ؟! فَاسْتَحْيَا وَسَكَنَ . وَسَأَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : هَلْ قَلَّتْ فِي مَقَامِكَ شِعْراً ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَنْشَدَ¹¹ :

1 مجاح : بعد مدلجة للذهاب من مكّة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .

2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .

3 ذو أمج : من أعمال المدينة .

4 رحلي في ل : أهلي .

5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .

6 ل : برجله .

7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه سمّي المكان .

8 الفرس : اسم واد .

9 صفر : جبل قرب ملل .

10 يهتر : يذهب عقله .

11 ديوان نصيب : 98-99 عن الأغاني .

لَعَمْرِي لئن أُمْسَيْتَ بِالْفَرْشِ مُقْصِداً نَوَيْكَ عُبُودَ وَعُدْنَةَ أَوْ صَفراً¹
فَفَرَعَ صَباً أَوْ تَيْمَمَ مُصْعِداً لِرَبْعٍ قَدِيمٍ الْعَهْدِ يَتَكَبَّرُ الْأَثَرَ²
دَعَا أَهْلَهُ بِالشَّامِ بَرَقَ فَأَوْجَفُوا وَلَمْ أَرْ مَتْبوعاً أَضَرَ مِنَ الْمَطَرِ
لَسْتُ بِلَدُنْ قَلْباً وَعَيْناً سِوَاهُمَا وَإِلَّا أَتَى قَصِداً حُشَاثَتَكَ الْقَدَرِ
خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا أَوْ رَأَيْتُمَا هَلْ اشْتَقَ مَضْرُورٌ إِلَى مَنْ بِهِ أَضَرَ
نَعَمْ رُبَّمَا كَانَ الشَّقَاءُ مُتَّيْحاً يُعْطَى عَلَى سَمْعِ ابْنِ آدَمَ وَالْبَصَرِ³

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكساه وحمله ، وانصرف وهو يقول⁴ :

أصابَ دواءَ عِلَّتِكَ الطَّيِّبُ وخاضَ لك السُّلُوَ ابنُ الرَّيِّبِ
وَأَبْصَرَ مِنْ رُفَاكَ مُنْفَثَاتٍ ودأوكَ كانَ أُعْرِفَ بالطَّيِّبِ

[نصيب وي زيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عن الْأَصْمَعِيِّ قال : دخل نُصَيْبٌ على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يومَ ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها ، فطرب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنت يا نُصَيْبُ ! سَلَّني ما شئتَ . فقال : يَدُكَ يا أمير المؤمنين بِالْعَطَاءِ ابْسُطْ من لساني بالمسألة ؛ فأمر به فملىءَ فمُهْ جَوْهراً ، فلم يزل به غَنِيّاً حتى مات .

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحَرَمِيُّ بنُ أَبِي الْعَلَاءِ قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قال حَدَّثَنَا أَبُو غَزِيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة ، فأنشده قوله : [من البسيط]
يا ابنَ الْهَيْشَامَيْنِ لَا بَيْتَ كَبَيْتَهُمَا إِذَا تَسَامَتَ إِلَى أَحْسَابِهَا مَضْرُ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحْجَنٍ إلى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحليها . فقام إليها نُصَيْبٌ متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عَطِيَّةً أَهْناً من هذه ولا أَكْرَمَ ولا أَعْجَلَ ولا أَجْزَلَ . فسمعهم نُصَيْبٌ فأقبل عليهم وقال : والله إنكم قلما صاحبتم الكرام ؛ وما راحلةٌ وَرَحْلٌ حتى ترفعوهما فوق قَدْرِهِمَا !

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .

2 ففرع صبا : ذهب منحدرأ . يتكبر الأثر : يقصه ويتبعه .

3 متيحا : مقدرأ .

4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحرّميّ وعيسى بن الحسين قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال : استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخِلافةَ نُصَيْباً أَلَا يَكُونُ جَاءَهُ وَإِفْدَاءً عَلَيْهِ مَادِحاً لَهُ وَوَجَدَ عَلَيْهِ . وَكَانَ نُصَيْبٌ مَرِيضاً ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ حِينَ بَرَأَ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْمَرَضِ وَعَلَى رَاحِلَتِهِ أَثَرُ النَّصَبِ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من الطويل]

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قَرِيضُ لَبِيئِهِ وَأَهْدَتْ لَهُ بُدْنًا عَلَيْهَا الْقَلَائِدُ
لَنْ كُنْتُ طَالَتْ غَيْبَتِي عَنْكَ إِنِّي بَمَبْلَغِ حَوْلِي فِي رِضَاكَ لَجَاهِدُ
وَلَكُنْتُ قَدْ طَالَ سَقَمِي وَأَكْثَرْتُ عَلَى الْعَهَادِ الْمُشْفَقَاتِ الْعَوَائِدُ²
صَرِيْعُ فِرَاشٍ لَا يَزِلُّنَ يَقْلَنَ لِي بِنُصْحٍ وَإِشْفَاقٍ مَتَى أَنْتَ قَاعِدُ
فَلَمَّا زَجَرْتُ الْعَيْسَ أَسْرَتُ بِحَاجَتِي إِلَيْكَ وَذَلْتُ لِلْسَانَ الْقَصَائِدُ
وَإِنِّي فَلَا تَسْتَبْطِنِي بِمَوَدَّتِي وَنُصْحِي وَإِشْفَاقِي إِلَيْكَ لَعَامِدُ
فَلَا تُقْصِنِي حَتَّى أَكُونَ بِصَرْعَةٍ فَيَبِاسَ ذُو قُرْبَى وَيَشْمَتَ حَاسِدُ³
أُنْلِنِي وَقُرْبَنِي فَإِنِّي بِالْغِ رِضَاكَ بَعْفُو مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدُ
أَبْتُ نَائِماً أَمَّا فَوَائِدِي فَهَمُّهُ قَلِيلٌ وَأَمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبَارِدُ
وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إِذَا مَا لَقَيْتَكُمْ لَيَانٌ وَمَعْرُوفٌ وَلِلْخَيْرِ قَائِدُ⁴
إِلَيْكَ رَحَلْتُ الْعَيْسَ حَتَّى كَانَتْهَا قِسِي السُّرَى ذُبَالاً بَرَتْهَا الطَّرَائِدُ
وَحَتَّى هَوَادِيهَا دِقَاقٌ وَشَكُوهَا صَرِيْفٌ وَبَاقِي النَّقْيِ مِنْهَا شَرَائِدُ⁵
وَحَتَّى وَنَتْ ذَاتُ الْمِرَاحِ فَادْعَنْتُ إِلَيْكَ وَكَلَّ الرَّاسِمَاتُ الْحَوَائِدُ⁶

قال : فرق له هشام وبكى ، وقال له : وَجَّكَ يَا نُصَيْبُ ! لَقَدْ أَضْرَرْنَا بِكَ وَبِرَوَاجِلِكَ .
وَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُ وَاحْتَفَلَ بِهِ .

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحرّميّ عن الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبَّادَةَ قَالَ : قَدِمَ نُصَيْبٌ عَلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ

1 ديوان نصيب : 76-77 عن الأغاني .

2 العهد هنا : الدموع وأصل معناها الأمطار .

3 الصرعة هنا : الموت .

4 اللبان : النعمة والترفيه .

5 هواديهـا : أعناقها . وشكوها : شكاوها . صريف : احتكاك أسنانها ؛ النقي : مخ العظام . شرائد : بقايا .

6 ذات المراح : الناقة المشيطة ؛ الراسمات : اللواتي يمشين الرسم ؛ والحوافد : المسرعات .

النَّصْرِيّ وهو أمير المدينة بقرضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلّمة لم يَحْتَلِمُوا ، فردّهم النَّصْرِيّ . فكلّمه نُصَيْبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطِيع أن اسكتْ وكُفِّ واخرجْ ؛ فإنّي كافيك . فلما خرج إبراهيم لقيّه نُصَيْبٌ ، فقال له : أشرتَ إليّ فكرهتُ أن أغضيبك ، فما كرهتُ لي من مراجعته والصّلاية له ومن ورائي المستعيب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيّ حديدٌ غلّق ، وخشيتُ إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يَمْضِي عليه ويلجّ فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرجَ قبل أن يَلجّ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمْضِي عليه ويلجّ فيه ؛ فتنتظرُ لتصادفَ منه طيبَ نفس فتكلّمه ونرِفدكُ عنده . فقال نُصَيْبٌ :

يَوْمَانِ يَوْمٌ لِرِزْقِي فَسَلِّ وَيَوْمُهُ الْآخِرُ سَمَحْتُ فَضْلًا¹
أنا ، جُعِلتُ فِدَاكَ ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فأشيرَ إليّ حتى أكلّمه . قال : ودخل إليه نُصَيْبٌ عَشِيَّاتٍ ، كلٌّ ذلك يُشيرُ إليه ابنُ مُطِيعٍ ألا يكلمه ، حتى صادفَ عَشِيَّةً من العَشِيَّاتِ منه طيبَ نفس ، فأشار إليه أن كلمه . فكلّمه نُصَيْبٌ فأصابَ مَخْتَلَه بكلامه ، ثم قال : إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه أيّها الأمير وأجزه ، ثم قال² :

أهاجَ البِكا رُبْعٌ بِأَسْفَلِ ذِي السِّدْرِ	عَفَاهُ اخْتِلَافُ الْعَصْرِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرِ ³
نَعَمْ فَتَنَانِي الْوَجْدُ فَاسْتَقْتُ لِلَّذِي	ذَكَرْتُ وَلَيْسَ الشُّوقُ إِلَّا مَعَ الذِّكْرِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْمَوْضِعِينَ لِرَبِّهِمْ	وَحُرْمَةٍ مَا بَيْنَ الْمَقَامِ إِلَى الْحَجْرِ
لَنْ حَاجَتِي يَوْمًا قَضَيْتَ وَرِشْتَنِي	بِنَفْحَةٍ عُرِفَ مِنْ يَدِكَ أبا بَشِيرٍ ⁴
لَتَعْتَرِفَنَّ الدَّهْرُ مِنِّي مَوَدَّةً	وَنُصْحًا عَلَى نُصْحٍ وَشُكْرًا عَلَى شُكْرٍ
سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْمَرْنِ أَرْضًا عَمَرَتْهَا	بِرِيٍّ وَأَسْقَاهَا بِلَادَ بِنِي نَصْرِ
بُوجْهِكَ فَاسْتَعْمِلْتَ مَا دُمْتَ خَائِفًا	لِرَبِّكَ تَقْضِي رَاشِدًا آخِرَ الدَّهْرِ
لَتُنْقِذَ أَصْحَابِي وَتَسْتُرَ عَوْرَةً	بَدَتْ لَكَ مِنْ صَحْبِي فَإِنَّكَ ذُو سِتْرِ
فَمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التَّسِي	سَأَلْتُ فَأَعْطَانِي لِقَوْمِي مِنْ فَقْرِ

1 الفصل : الرذل .

2 ديوان نصيب : 95-96 عن الأغاني .

3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .

4 لن حاجتي يوماً في ل : لن أنت حاجاتي .

وقد خرجت منه إليك فلا تكن بموضع بيضات الأنوق من الوكر¹

قال : فقال عثمان بن حيان المُرِّي وهو عنده ، وكان قد جاءه بالقود من ابن حزم : قد احتلم الآن القوم أيها الأمير ، واستوجبوا الفرض . ورفده ابن مطيع فأحسن ، واشتد عليه أن شره ابن حيان في رفته وتشيعه . وقال النصري لابن مطيع وابن حيان : صدقتما قد احتملوا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يا فلان ، لكاتب من كتابه ، ففرض له .
[نصيب يحدث أنه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن علي الشكريري قال حدثني الرياشي عن العتبي قال : دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عشقت قط ؟ قال : نعم ، أمة لبني مدلج . قال : فكنت تصنع ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها مني ، فكنت أقنع أن أراها في الطريق وأشير إليها بعيني أو حاجبي ، وفيها أقول² :

وقفت لها كيما تمرر لعنني أخالسها التسليم إن لم تسلم
ولما رأتني والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشتري جميع حياة العاشقين بديرهم
فقال عبد العزيز : ويحك ، فما فعلت ؟ قال : بيعت فأولدها سيدها . قال : فهل في نفسك منها شيء ؟ قال : نعم ، عقابيل أحزان .

[حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي : أن إبلاً لنصيب أجذبت³ وحالت³ ، وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم . قال : فأخبرني أبي وعمي أنه وقد على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعلني الله فداءك ، إني حملت ديناً في إبل ابتعتها مجذبات حيال ، وقد قلت فيها شعراً . قال : أنشده ، فأنشده⁴ :

فلما حملت الدِّينَ فيها وأصبحت حيوياً مُسِنَاتِ الهوى كذت أندم
على حين أن راث الربيع ولم يكن لها بصعيد من زهامة مقضم⁵

1 بيضات الأنوق ، لا تنال ، ولذلك يضرب المثل بعزتها .

2 ديوان نصيب 131-132 عن الأغاني وغيره .

3 حالت : لم تحمل .

4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .

5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيةٌ للأَسْلَمِيِّ وما دَنَا لِفُحْشٍ ولا تَدْنُو إِلَى الْفُحْشِ أَسْلَمٌ

فقال له عبد العزيز : فما دُنَيْكَ ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم .
فلَمَّا رَجَعَ أَتَشَدَّ الْأَسْلَمِيَّ الشَّعْرَ فَتَرَكَ مَا لَهُ عَلَيْهِ ، وقال : الثمانية الآلاف لك .

[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قال حَدَّثَنِي الْمُوصِلِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ قال :
أَتَى نَصِيبَ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لَيْلاً . فبينما هو كذلك إِذْ طَلَعَ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ فَجَلَسْنَ قَرِيباً
وَجَعَلْنَ يَتَحَدَّثْنَ وَيَتَذَكَّرْنَ الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءَ ، وَإِذَا هُنَّ مِنْ أَفْصَحِ النِّسَاءِ وَأَدْبَهْنَ . فقالت
إِحْدَاهُنَّ : قَاتَلَ اللَّهُ جَمِيعاً حَيْثُ يَقُولُ :

وَبَيْنَ الصُّفَا وَالْمُرَوَّتِينَ ذَكَرْتُكُمْ بِمُخْتَلَفٍ مَا بَيْنَ سَاعٍ وَمَوْجِفٍ
وعند طَوَافِي قَدْ ذَكَرْتُكَ ذُكْرَةً هِيَ الْمَوْتُ بَلْ كَادَتْ عَلَى الْمَوْتِ تَضَعِفُ

فقالت الأُخْرَى : بَلْ قَاتَلَ اللَّهُ كَثِيرَ غَزَّةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

طَلَعْنَ عَلَيْنَا بَيْنَ مَرْوَةَ وَالصُّفَا يَمُرْنَ عَلَى الْبَطْحَاءِ مَوْرَ السَّحَابِ
فَكَيْدَنْ لَعَمْرُ اللَّهِ يُحْدِثُنَّ فِتْنَةً لُمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَائِبٍ

فقالت الأُخْرَى : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزَّانِيَةِ نَصِيباً حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا أُمُّ عَلَى لَيْلَى وَلَوْ أُسْتَطِيعُهَا وَحُرْمَةٍ مَا بَيْنَ الْبَيْتَةِ وَالسُّتْرِ
لَمِلْتُ عَلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مَيْلَةً وَلَوْ كَانَ فِي يَوْمِ التَّحَالُقِ وَالنَّحْرِ

فَقَامَ نَصِيبٌ إِلَيْهِنَّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ ، فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فقال لَهُنَّ : إِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَتَحَادَثْنَ
شَيْئاً عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ . فقلن : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال : اسْمَعْنَ أَوَّلاً . فقلن : هَاتِ . فَأَنْشَدَهُنَّ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

وَيَوْمَ ذِي سَلَمٍ شَاقَّتْكَ نَائِحَةٌ وَرُقَاءٌ فِي فَنٍّ وَالرَّجُ تَضْطَرِبُ

فقلن له : نَسَأُكَ بِاللَّهِ وَحَقَّ هَذِهِ الْبَيْتَةُ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَنَا ابْنُ الْمَظْلُومَةِ الْمَقْدُوفَةِ بِغَيْرِ جُرْمٍ
«نُصِيبُ» . فَمَنْ إِلَيْهِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَرَحِّبْ بِهِ ، واعتذرت إليه القائلة ، وقالت : وَاللَّهِ مَا أُرَدْتُ
سَوْءاً ، وَإِنَّمَا حَمَلْنِي الْإِسْتِحْسَانَ لِقَوْلِكَ عَلَى مَا سَمِعْتُ . فضحك وجلس إليهن ، فحادثهنَّ إِلَى
أَنْ انْصَرَفْنَ .

[8] - أخبار ابن مُحَرِّز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسْلِم بن مُحَرِّز فيما رَوَى ابْنُ الْمُكَلَّبِي ، وَيُكْنَى أَبَا الْخَطَّابِ ، مَوْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ . وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : اسْمُهُ سَلَمٌ . قَالَ وَيُقَالُ : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ سَدَنَةِ الْكَعْبَةِ ، أَصْلُهُ مِنَ الْفُرْسِ ، وَكَانَ أَصْفَرَ أَجْنَأً طَوِيلًا .

وَأَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي أَخِي هَارُونُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمَاجِشُونِ قَالَ : اسْمُ ابْنِ مُحَرِّزٍ سَلَمٌ ، وَهُوَ مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ . وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ مَرَّةً وَمَكَّةَ مَرَّةً ، فَإِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ يَتَعَلَّمُ الضَّرْبَ مِنْ عَزَّةِ الْمَيْلَاءِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ فَيَقِيمُ بِهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ يَشْخَصُ إِلَى فَارَسٍ فَتَعَلَّمَ أَلْحَانَ الْفُرْسِ وَأَخَذَ غَنَاءَهُمْ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى الشَّامِ فَتَعَلَّمَ أَلْحَانَ الرُّومِ وَأَخَذَ غَنَاءَهُمْ ، فَأَسْقَطَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُسْتَحْسَنُ مِنْ نَعَمِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَخَذَ مُحَاسِنَهَا فَمَزَجَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَالْفَّ مِنْهَا الْأَغَانِي الَّتِي صَنَعَهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، فَأَتَى بِمَا لَمْ يُسَمِعْ مِثْلَهُ . وَكَانَ يُقَالُ لَهُ صَنَاجُ الْعَرَبِ .

[ابن محرز أول من غنى الرمل]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ ، قَالَ أَبِي : أَوَّلُ مَنْ غَنَى الرَّمْلَ ابْنُ مُحَرِّزٍ وَمَا غَنَّى قَبْلَهُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَلَا بِالْفَارَسِيَّةِ ؟ قَالَ : وَلَا بِالْفَارَسِيَّةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ غَنَّى رَمَلًا بِالْفَارَسِيَّةِ سَلَمُكَ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، اسْتَحْسَنَ لَحْنًا مِنَ أَلْحَانِ ابْنِ مُحَرِّزٍ ، فَتَقَلَّ لَحْنُهُ إِلَى الْفَارَسِيَّةِ وَغَنَّى فِيهِ .

[اخمولى ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَقَالَ إِسْحَاقُ : كَانَ ابْنُ مُحَرِّزٍ قَلِيلَ الْمَلَابَسَةِ لِلنَّاسِ ، فَأَحْمَلَ ذَلِكَ ذِكْرَهُ فَمَا يُذَكَّرُ مِنْهُ إِلَّا غَنَاؤُهُ ، وَأَخَذَتْ أَكْثَرَ غَنَائِهِ جَارِيَةً كَانَتْ لَصَدِيقٍ لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانَتْ تَأَلَّفُهُ ، فَأَخَذَهُ النَّاسُ عَنْهَا . وَمَاتَ بَدَاءً كَانَ بِهِ . وَسَقَطَ إِلَى فَارَسٍ فَأَخَذَ غَنَاءَ الْفُرْسِ ، وَإِلَى الشَّامِ فَأَخَذَ غَنَاءَ الرُّومِ ، فَتَخَيَّرَ مِنْ نَعْمَتِهِمْ مَا تَغْنَى بِهِ غَنَاءَهُ . وَكَانَ يَقْدَمُ بِمَا يُصْبِيهِ فَيَدْفَعُهُ إِلَى صَدِيقِهِ ذَاكَ فَيُنْفِقُهُ كَيْفَ شَاءَ ، لَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِذَا كَادَ أَنْ يَنْفَدَ جَهَّزَهُ وَأَصْلَحَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِذَا شِئْتَ فَارْحَلْ ، فَيَرْحَلُ ثُمَّ يَعُودُ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .

[أجنأ : محدودب الظهر]

[ابن محرز أول من غنى بزواج من الشعر]

قال : وهو أول من غنى بزواج من الشعر ، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداء به . وكان يقول : الأفراد لا تيمُّ بها الألمان . وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح . قال إسحاق : وكانت العلة التي مات بها الجذام ، فلم يُعاشِر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيوب قال إسحاق : قدِم ابن مُحَرِّز يريد العراق ، فلما نزل القادسيَّة لقيه حنين ، فقال له : كم مَنَّتْكَ نفسك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . قال : فهذه خمسمائة دينارٍ فخذها وانصرف واحلف ألا تعود .

[علو كعبه في صفة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَنْ أَحْسَنُ الناسُ غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذلك ؟ قال : إن شئتُ فَسَرْتُ ، وإن شئتُ أَجَمَلْتُ . قلت : أجمل . قال : كأنه خُلِقَ من كلِّ قلب ؛ فهو يَعْنِي لكلِّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكِيت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقُّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أَحْسَنُ الناسُ غناءً ؟ فقال : أَمِينَ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابن مُحَرِّز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سُرَيْج ، ثم ابن مُحَرِّز ، ثم معبد ، ثم الغريص ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد : قرأتُ على أبي حَدَّثَنَا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَّار قال حَدَّثَنِي أَخِي هَارُون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسن الناس غناءً ، فمرَّ بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نَضْلَةَ بن صفوان بن أمية بن مُحَرَّر الكِنَانِي حَلِيف قريش ، فسألتُه أن يجلس لها ولصاحب لها ، ففعل وقال : أَغْنِيكَنَّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أَغْنِيَهُ عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أمير مَكَّة ؟ قلن نعم . فغَنَّاهُنَّ :

[من الكامل]

صوت

فَوَدِدْتُ إِذْ شَحَطُوا وَشَطَّتْ دَارُهُمْ وَعَدَّتْهُمْ عَنَّا عَوَادٍ تَشَعَّلُ
أَنَا نَطَاعُ وَأَنْ تَنْقَلِ أَرْضُنَا أَوْ أَنْ أَرْضَهُمْ إِلَيْنَا تَنْقَلُ

لِتُرَدَّ مِنْ كَتَبِ إِلَيْكَ رَسَائِلِي بِجَوَابِهَا وَيَعُودَ ذَاكَ الْمُرْسَلُ¹
عَرَّوْضَهُ مِنَ الْكَامِلِ الْغَنَاءِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ خَفِيفُ رَمَلٍ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ، ذَكَرَ
عَمْرُو بْنُ بَاثَةَ أَنَّهُ لَابِنُ مُحَرِّزٍ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَابِنُ سُرَيْجٍ .

[ابن محرز وحنين الجعري]

وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ فِي خَبَرِهِ : بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ مُحَرِّزٍ لَمَّا شَخَّصَ يَرِيدَ الْعِرَاقَ لَقِيَهُ حُنَيْنٌ
فَقَالَ لَهُ : غَنَّنِي صَوْتًا مِنْ غَنَائِكَ . فَغَنَّاهُ :

[من المتقارب]

صوت

وَحُسْنُ الزُّبْرِجِدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ زَانَ الْعُقُودِ²
يُقَصِّلُ يَاقُوتُهُ دُرَّهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْمُتَقَارِبِ الشَّعْرَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : وَالْغَنَاءُ لَابِنِ مُحَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ
فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ حُنَيْنٌ حِينَئِذٍ : كَمْ أَمَلْتَ مِنَ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا وَانْصَرَفْ . وَلَمَّا شَاعَ مَا فَعَلَ لَامَهُ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ دَخَلَ الْعِرَاقَ لَمَّا كَانَ لِي مَعَهُ فِيهِ خَبْرٌ آكَلَهُ ، وَلَا طَرِحْتُ وَسَقَطْتُ إِلَى آخِرِ
الدَّهْرِ . وَهَذَا الصَّوْتُ أَعْنِي :

[من المتقارب]

وَحُسْنُ الزُّبْرِجِدِ فِي نَظْمِهِ

مِنْ صُدُورِ أَغَانِي ابْنِ مُحَرِّزٍ وَأَوَائِلِهَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَذْهَبِهِ فِيهِ وَلَا يَتَشَبَّهُ بِهِ أَحَدٌ . وَمَا يُغْنِي فِيهِ
مِنْ قَصِيدَةٍ نُصِيبُ النَّيَّ أَوَّلَهَا :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ

صوت

[من الطويل]

لَقَدْ رَاعَنِي لِلْبَيْنِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنِ بَانٍ جَاوَيْتَهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَئِينَ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجَوُهُنَّ فَدَائِمُ

الْغَنَاءُ لَابِنِ سُرَيْجٍ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَعَمْرُو وَابْنِ الْمَكِيِّ ، وَهُوَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ ، وَهُوَ مِنْ
جَيْدِ الْأَلْحَانِ وَحَسَنِ الْأَغَانِي ، وَهُوَ تَمَّ عَارِضُ ابْنِ سُرَيْجٍ فِيهِ ابْنُ مُحَرِّزٍ وَانْتَصَفَ مِنْهُ .

1 المرسل في ل : الدخيل (وهو الذي يدانحل الآخر ويعرف سره) .

2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت¹

[من الوافر]

إلى جِيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيَحْزُنَهَا فَلَا صُجْبَ الرَّسُولُ
كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَيْجٍ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُولُ
الشَّعْرُ لِلْعَرَجِيِّ ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ولحنه المختار مآخوري بالوسطى ، وهو من
خفيف الثَّقِيلِ الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالسَّبَابَةِ في مجرى
الْبَنْصَرِ ، وذكر عمرو بن بانه أَنَّ الْمَآخُورِيَّ لَابْنَ سُرَيْجٍ .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] - أخبار العرجي ونسبه¹

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس² . وقد شُرح هذا النسب في نسب أبي قطيفة . وأمُّ عفان وجميع بني أبي العاصي أمته بنت عبد العزى بن حُرثان بن عوف بن عُبَيْد بن غُوَيْج بن عَدِي بن كعب . وأمُّ عثمان أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء أم حَكِيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأمه وأبيه ولدا في بطن واحد . وأمُّ عمرو بن عثمان أم أبان بنت جندب الدؤسبة .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء والطوسي قالَا حَدَّثَنَا الزبير بن بكار قال حَدَّثَنِي علي بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حَدَّثَنِي مُحَرَّر بن جعفر عن أبيه عن جدّه قال : قَدِمَ جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمة الدؤسبة المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطاب ، ثم مضى إلى الشام وخلف ابنته أم أبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كفلاً فزوجه بها ولو بشرّاك نعلّه ، وإلا فأُتسبكها حتى تلحقها بدار قومها بالسراة³ . فكانت عند عمر ، واستشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباهاً ويدعوها ابنته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلم الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها ، فقال : من له في الجميلة الحسبية بنت جندب بن عمرو بن حُمَمة ، وليعلم امرؤ من هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعمرك الله ، كم سقتَ إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوجتكها ، فعملّه ؛ فإنها معدّة . قال : ونزل عن المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذ عمر في رذنه⁴ فدخل به عليها ، فقال : يا بُنَيّة ، مُدِّي حِجْرَكَ ، ففتحت حجرتها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنَيّة ، قولي اللهم بارك لي فيه . فقالت : اللهم بارك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مهْرُكَ . فنفتحت⁵ به وقالت : وأسواتاه ! فقال : احتسبي منه لنفسك ووسعي من لأهلك ، وقال لحفصة : يا ابنتاه ، أصلحي من شأنها

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478-480 ؛ ونسب قريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي للبكري : 422 ؛ والوفائي بالوفيات للصفدي : 17 ؛ 384-388 تحقيق دوروتا كرافولسكي . وتهذيب التهذيب : 5 ؛ 338-339 وخزانة الأدب : 1 ؛ 98-99 ؛ ومقدمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المخاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفتحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغيري بَدَنها¹ واصْبُغي ثوبها ، ففعلت . ثم أرسل بها مع نسوة إلى عثمان . فقال عمر لما فارقته : إنها أمانة في عنقي أخشى أن تضيع بيني وبين عثمان ، فليَحَقَّهَنَّ فُضْرِبَ على عثمان بابه ، ثم قال : خذْ أهْلَكَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِمْ . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقَاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجة . فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدُّوسِيَّةِ مُقَاماً ما كنتَ تقيمه عند النساء . فقال : أما إنه ما بقيتْ خَصْلَةٌ كنتُ أحبُّ أن تكون في امرأةٍ إلَّا صادفتُها فيها ما خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنني رجل قد دخلت في السن ، وحاجتي في النساء الولدُ ، وأحسبُها حديثاً لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسَّمت . فلمَّا خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنني لمن نسوة ما دخلت امرأةً منهنَّ على سيِّدٍ قطُّ فرأت حمراء² حتى تَلِدَ سيِّدٌ من هو منه : قال : فما رأيت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان . وأمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أمُّ وليد . وأمُّ العرجيِّ أمنة بنت عمر بن عثمان ؟ وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمِّ ولد .

[سب تلفيه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكار قال حدَّثني عَمِّي : أنه إنمَّا لُقِّبَ العرجيُّ لأنَّه كان يسكن عُرْجَ الطائف . وقيل : بل سُمِّيَ بذلك لما كان له ومال عليه بالعرج . وكان من شعراء قريش ، ومن شُهر بالغزل منها ، ونحنا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد . وكان مشغوفاً باللهو والصيْد حريصاً عليهما قليل المحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجيِّدائ التي شَبَّ بها هي أمُّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان ينسبُ بها ليفضح ابنها لا لِحَبَّةٍ كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إبَّاه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مزيد إجازةً عن حماد بن إسحاق فذكر أن حماداً حدَّثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه : أن العرجيَّ كان أزرق كَوْسَجاً³ ناتئ الحنجرة ، وكان صاحب غزل وفُتُوَّة ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فقليل له العرجيُّ ونُسِبَ إلى ماله . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاءٌ حسنٌ ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عُتْبَةُ بن إبراهيم اللّهيّ : أن العرجيَّ فيما بلغه باع أموالاً عظماً

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .

2 حمراء : كناية عن دم الخيض .

3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله ، وكان قد اتخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يوقدان ، فإذا نام واحد قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا ، يقول : لعل طارقاً يطرق .

[العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب ، وأخبرنا الحرّمي عن الزبير عن عمّه مصعب وعن محمد بن الضحّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعض ، وأخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال : كانت حبشية من مولات مكة ظريفة صارت إلى المدينة ، فلما أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جزعها وجعلت تبكي وتقول : من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهاها ووصف نساها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها ؟ فقيل لها : خفّضي عليك ؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يُضَيّع حرّمه .

[العرجي وكلاية مولاة عبد الله بن القاسم العلي]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك¹ اللهي : أن مولاة لثقيف يقال لها كلاية كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العلي² ، وكان يلغها تشييب العرجي بالنساء وذكره لمن في شعره ، وكانت كلاية تكثر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهنّ في شعره ؛ ولعمري ما لقي أحداً فيه خير ، ولئن لقيته لأسودن وجهه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العلي نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة ، والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف . فبلغ العرجي أنه خرج إلى مكة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلاية وكان خلفها في أهله ، فصاحت به : إليك ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال³ :

[من البسيط]

1 قد تقدّم أنه الحسن بن عتبة اللهي .

2 نسبة إلى العيلات .

3 هي أول قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُورٌ بَعَثَنَ رَسُولًا فِي مُلَاطَفَةٍ
إِلَيَّ أَنْ إِيْتَنَا هَذَا إِذَا غَفَلْتُ
فَجِئْتُ أُمَشِّي عَلَى هَوْلِ أُجْشِمِهِ
إِذَا تَخَوَّفْتُ مِنْ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ
أُمَشِّي كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ يَمَانِيَّةٍ
فِي خِلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ مُشْرِبَةٍ
خَلَّتْ سَبِيلِي كَمَا خَلَّيْتُ ذَا عُدْرٍ
وَهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَالٍ وَلَيْسَ لَهُ
حَتَّى جَلَسْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مَكْتَبِمًا
أُبْدِينَ لِي أَعْيُنًا نُجَلًّا كَمَا نَظَرْتُ
قَالَتْ كَلَابَةٌ مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ لَهَا
أَنَا امْرُؤٌ جَدُّ بِي حَبِّ فَأَحْرَضَنِي
لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ
وَأَنعَمِي نِعْمَةً تُجْزَى بِأَحْسَنِهَا
سَتَرُ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ
هَذِي يَجِئْنِي رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ
قَالَتْ رَضِيَتْ وَلَكِنْ جِئْتُ فِي قَمَرٍ

تَقَفَّا إِذَا غَفَلَ النَّسَاءُ الْوَهْمُ¹
أَحْرَاسُنَا وَانْفَضَّحْنَا إِنْ هُمْ عَلِمُوا
تَجَشَّسُ الْمَرْءَ هَوْلًا فِي الْهَوَى كَرَمُ
قَدْ جَفَّ فَاْمَضَّ بِشَيْءٍ قُدْرَ الْقَلَمِ²
غُصْنَا مِنَ الْبَانِ رَطْبًا طَلَّةَ الدِّمِّ³
تَعْفُو بِهَدَايِهَا مَا أَثَرْتُ قَدَمُ⁴
إِذَا رَأَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ يَنْتَجِمُ
عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشَاهَا وَلَا نَدَمُ⁵
وَطَالِبُ الْحَاجِّ نَحْتَ اللَّيْلِ مُكْتَبِمُ
أَدَمَ هِجَانًا أَنَاهَا مُصْعَبُ قَطْمِ⁶
أَنَا الَّذِي أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعَمُوا
حَتَّى بَلَّيْتُ وَحَتَّى شَقَّنِي السَّقَمُ
مِنْ بُغْضِنَا أَطْعَمُوا لَحْمِي إِذَا طَعَمُوا⁷
فَطَلَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعَمُ
أَنْ يُحَدِّثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أَثَمُوا
فَارَضَنِي بِهَا وَلَآنْفَرُ الْكَاشِحَ الرَّعْمُ
هَلَّا تَلَبَّثْتُ حَتَّى تَدْخُلَ الظُّلُمُ

1 ثقفا : فهما حاذقا ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساءة في ل : استيقظ ، والنساءة : الكثير النسيان .

2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .

3 الدميم في ل : الرهم .

4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوثة . تعفو : تطمس . ما أثرت قدم في الديوان : ما تدب القدم ، والمراد أنَّ أهدابها تطمس آثار الأقدام .

5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .

6 أبدين في الديوان : سدن . المصعب : الفحل . القطم : المشتهي للضراب .

7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فَبِتْ أَشَقَى بِأَكْوَاسٍ أَعْلُ بِهَا مِنْ بَارِدٍ طَابَ مِنْهَا الطَّعْمُ وَالنَّسَمُ¹
 حَتَّى بَدَا سَاطِعٌ لِلْفَجْرِ نَحْسُهُ سَنَا حَرِيقٍ بَلِيلٍ حِينَ يَضْطَرُّمُ
 كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْمُنْسُوبِ قَدْ حُسِرَتْ عَنْهُ الْجَلَالُ تَلَالَا وَهُوَ يَلْتَجِمُ²
 وَدَعْتَهُنَّ وَلَا شَيْءَ يُرَاجِعُنِي إِلَّا الْبَنَانُ وَالْأَعْيُنُ السُّجُمُ
 إِذَا أَرَدَنْ كَلَامِي عَنْهُ اعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِ عَبْرَاتُ فَنَاشَتِي الْكَلِمُ
 تَكَادُ إِذْ رُمْنَ نَهْضًا لِلْقِيَامِ مَعِي أَعْجَازُهُنَّ مِنَ الْأَنْصَافِ تَنْقَصِمُ

قال : فسمع ابن القاسم العجلي بالشعر يُعْنَى به ، وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يُغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدّة ألحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من لإيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع ما كَلَّمْتَهَا مِنْ مَالِهِ . قال : فلما سمع العجلي بالشعر يُعْنَى به أخرج كلابة³ وأنهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غِرَارَتِي بَعْرٍ ، فأحلفها بمكة بين الرُّكْنِ والمقام أن العرجي كَذَبَ فيما قاله . فحلفت سبعين يمينا ، فَرَضِي عَنْهَا وَرَدَّهَا . فكان بعد ذلك إذا سمع قول العرجي :

فَطَلَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعْمُ

قال : كَذَبَ والله ما مسّه ذلك قط . وقال إسحاق : وقد قيل : إنَّ صاحبَ هذه القصيدة [والقصة] أبو جراب³ العجلي ، وإنَّ كلابة كانت أمةً لِسَعْدَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ ، وكان العرجي قد خطبها وسُمِّيت به ، ثم خطبها يزيد بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوّجته ، فقال العرجي هذا الشعر فيها . غنّى في قوله :

أَمْشِي كَمَا حَرَكْتُ رِيحَ يَمَانِيَّةٍ

علي بن هشام هزجا مطلقا بالبصرة ، وفيه للمسعود هزج آخر طنبوري ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوَانَهُمُ

رَمَلٌ لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسْطَى . وفي « قالت كُلابة » والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحن من خفيف الرَّمَل . ولنبية في « أنا امرؤ جدلي » وما بعده . هزج بالوُسْطَى ، ولدحمان في « حُورٌ بَعَثَنَ » وما بعده ، هزج بالوُسْطَى ،

1 طاب في ل : لذ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتى فطاب الطعم والنسم .

2 الفرس في الديوان : الأزهر .

3 ل : جراب .

وروى عنه الهشامي فيه ثقبلاً أول . ولأبي عيسى ابن المتوكل في «وأنعمي نعمة» وبيتين بعده ، ثقبيل أول .

وأخبرني بخبر العرجي وكلاية هذه الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب ، وأخبرني به وكيع عن أبي أيوب المديني عن مصعب وذكر نحواً مما ذكره إسحاق ؛ وزعماً أن كلاية كانت قيمة لأبي جراب العبلي وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس .

[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكران شعراً للعرجي]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجي¹ : [من الخفيف]

أين ما قلت مت قبلك أينما	أين تصديق ما وعدت إلينا
فلقد خفت منك أن تصرمي الحبد	لأن تجمعي مع الصرم بينا
ما تقولين في فتى هام إذ ها	م بمن لا ينال جهلاً وحنينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلاً	لا تحيفي ولا يحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهوداً	أو يميناً فأحضري شاهديننا
خلتي لو قدرت منك على ما	قلت لي في الخلاء حين التقينا
ما تخرجت من دمي علم الد	ه ولو كنت قد شهدت حنيننا

قال فقال أيوب لأشعب : ما تظن أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه في شعب من شعاب العرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شغل فقطعها عن مواعده . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كسير وعوير ، وكل غير خير² : فيد أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدل الحكم ؟ قال : حصين بن غرير الحميري . قال : فما حكم به ؟ قال : أدت إليه حقه وسقطت المؤونة عنه . قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ؛ قال : سل علامة عن علمه .

[شعر العرجي في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهي قال : قال العرجي في امرأة من بني حبيب (بطن من بني نصر بن معاوية) يقال لها عاتكة ، وكانت زوجة

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .

2 هذا مثل .

طَرَجَ بن إسماعيل الثَّقَفِي :

[من الكامل]

يا دارَ عاتِكَة التي بالأزهر
أو فَوْقَه بقفا الكَثِيبِ الأحمر¹
لم ألقَ أهلكِ بعدَ عامٍ لقيتهم
يا ليتَ أنْ لِقَاءَهم لم يُقدِّر

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابنِ مشعَبَ حاضرٍ
في سامِرٍ عَطِرٍ وليلي مُقَمِّرٍ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلَا حِفَا هَرَوِيَّةً
بالزَّعْفَرانِ صِبَاغِهَا وَالْعَصْفُرِ
فَتَلَا زَمًا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً
أَخَذَ الْغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعْصِرِ

الأزهر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مشعب الذي عناه مغنٍّ من أهل مكة كان في زمن ابن سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناء ، ومات في تلك الأيام ، فأدخلَ الناسُ غناؤه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبه من لا يعلم إلى ابن مُحَرِّزٍ ، يعني : [من الكامل]

بِفَنَاءِ بَيْتِكَ وَابْنِ مَشْعَبٍ حَاضِرٍ

[من المنسرح]

قال : وهو الذي غنى :

أَقْفَرَ مَن يَحُلُهُ السِّنْدُ
فَالْمُنْحَنَى فَالْعَقِيقُ فَالْجُمُودُ
وَيُحْيِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا
أَحْذَرُ مِنْ فُرْقَةِ الْحَبِيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب غداله]

أخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حدَّثني ابن مُخَارِق قال : وأعدَّ العرجيُّ هَوًى له شِعْباً من شِعَابِ عَرَجِ الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . ففجأت على أُنَانٍ لها معها جارية لها ، وجاء العرجيُّ على حِمَارٍ معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمارُ على الأُنَانِ . فقال العرجيُّ : هذا يومٌ قد غاب غَدَالُهُ .

[ثراء العرجي]

أخبرني عَمِّي قال حدَّثنا الكُرَانيُّ قال حدَّثنا النَّضْرُ بن عمرو عن ابن داحَةَ قال : كان العرجيُّ يَسْتَقِي على إبله في شَمَلَتَيْنِ ، ثم يغتسل ويلبس حُلَّتَيْنِ بخمسمائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

يَوْمًا لأَصْحَابِي وَيَوْمًا لِلْمَالِ مِدْرَعَةً يَوْمًا وَيَوْمًا سِرْبَالُ

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أن العرجي كان غازیاً فأصابته الناس مجاعة ، فقال للتجار : أعطوا الناس وعلي ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويُطعم الناس حتى أخصبوا¹ ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار ، فألزمها العرجي نفسه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيت المال أحق بهذا ، ف قضى التجار ذلك المال من بيت المال . [العرجي وأم الأوقص المخزومي]

أخبرني الحرزمي قال حدثنا الزبير عن عمه ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره : أن العرجي خرج إلى جنّات الطائف متنزّها ، فمرّ ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآها رمّت نفسها وتسترت منه ، وهي امرأة من بني تميم ، فبصر بها في نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدّل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكر له ومعه وطبا لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي ، أمعلك لبن ؟ قال نعم ، ومال إليهن وجلس يتأمل أم الأوقص ، وتوالت من معها إلى الوطيين ، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشترين من اللبن . فقالت له امرأة منهن : أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض ؟ أضع منك شيء ؟ قال : نعم قلبي . فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته ، فقالت : العرجي بن عمر ورب الكعبة ؟ ووثبت وسترها نساؤها وقلن : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك . فمضى منصرفاً ، وقال في ذلك² : [من الوافر]

أقول لصاحبي ومثل ما بي	شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما	تأوبه مؤرقة الهموم
لحيني والبلاء لقيت ظهراً	بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأيت عينا منها	أسيل الخد في خلق عميم
وعيني جودر حرق وتغراً	كلون الأقحوان وجيد ريم ³
حنا أترابها دوني عليها	حسو العائدات على السقيم

1 أخصبوا في ل : أخصي .

2 ديوان العرجي : 97-100 .

3 خرق : مفزع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقول له ابنُ عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فنظلم منه : والله لو كنتُ أنا عبدُ الله بن عمر العرجي لكنتُ قد أسرفت علي . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزومي وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزومي ليلة بعدما رقد السامر فأشرفتُ عليه . فقال : سهرتُ وذكّرتُ أخاً لي أستمعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي¹ :

باتا بأنعم ليلة حتى بدا صُبحٌ تلوح كالأغرّ الأشقرِّ

فتلازما عند الفراق صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ

فقال : أعدّه عليّ ، فأعدّته . فقال : أحسنَ والله ! امرأته طالقُ إن نطقَ بحرفٍ غيره حتّى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا إليه وقّف بنا وهو منصرفٍ من ماله يريد المدينة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة . فقال : إنا لله ! وأيّ كهلٍ أصيبتُ منه قريشٌ ! ثم مضينا ، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالا له على بغلة له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلّة فيها قيد البغلة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عند الفراق صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ قلتُ : آتفاً . فلما أراد المضي قلتُ : أفندعه هكذا ؟ والله ما آمنُ أن يتهوّر في بعض آبار العقيق ؛ قال : صدقت ، يا غلام ، قيدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه يُري أنّه يفهم عنه قصّته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمله على بغلتي وألحقه بأهله . فلما كان بحيث علمتُ أنّه قد فاتته أخبرته بخبره ، فقال : قبّحك الله ماجناً ؛ فضحّت شيخاً من قريش وغرّرتني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عروة بن عبد الله بن

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال : أنشد ابن جُندبِ الهذليّ ابن أبي عتيق قول العرجي¹ :

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها
فقلت يقول الناسُ في سِتِّ عشرةٍ
فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ
بعادلةٍ الإثنينِ عندي وبالحرى
لخادمها قومي أسألني لي عن الوترِ
فلا تعجلي منه فإنك في أجرٍ
ولا ليلةٌ الأضحى ولا ليلةُ الفطرِ
يكونُ سواءَ منهما ليلةُ القدرِ
فقال ابن أبي عتيق : أشهدكم أنها حرّةٌ من مالي إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب .

[شعر العرجي في زوجته أم عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : تزوّج العرجي أم عثمان بنت بُكير بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأمها سُكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها² :

إن عثمانَ والزُّبيرَ أحلاً
إنها بنتُ كلِّ أبيضٍ قرمٍ
دارها باليفاعِ إذ ولّداها
نال في المجد من قصي ذراها
سكّن الناسُ بالظواهرِ منها
وتبوأ لنفسه بطحاهها
قال إسحاق : ولما تزوّج الرشيدُ زوجته العُثمانية أعجب بها . فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العلي]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدّثت أنّ أبا عديّ العبليّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جِلْدان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجي وهو نازل هناك بوادي يقال له العَرَجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : ويحك ؛ ما يحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن وُرْدان مولى معاوية ، وهما يأكلان القسبَ والجُلجلان³ . ثم بعث إليه بخبز ولبن ، وبعث لرواحله بحمض ، وقدم إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .

2 ديوانه : 52 . وأوّل القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .

3 القسب : التمر اليابس ؛ الجُلجلان : السمسم .

الْقَتَّ¹ وَالشَّعِيرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ :

[من الطويل]

مَنَازِلَهُمُ وَالرَّكْبَ يَحْفَوْنَ بِالرَّكْبِ
وَأَثَرَتَهُمُ بِالْجُلْجُلَانِ وَالْقَسْبِ
وَأَوَثَرَ عَبَّادُ بْنُ وَرْدَانَ بِالْقَضْبِ

أَبَا عَمْرٍ لَمْ تُنْزِلِ الرِّكْبَ إِذْ أُتُوا
رَفَعْتَ لِثَامَ النَّاسِ فَوْقَ كَرَامِهِمْ
فَأَمَّا بَعِيرَانَا فَبِالْحُمُصِ غُذِّيَا

فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْعَرْجِيُّ² :

[من الطويل]

لَهُ لِحْيَةٌ طَالَتْ عَلَى حَمَقِ الْقَلْبِ
إِذَا نُصِيتَ لَمْ تَكْسِبِ الْحَمْدَ بِالنَّصْبِ
وَهَلْ فَوْقَ قُرْصٍ مِنْ قَرَى صَاحِبِ السَّغْبِ

أَتَانَا فَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
كَرَابِيَةٌ يَبْطَارُ بِأَعْلَى حَدِيدَةٍ
أَتَانَا عَلَى سَغْبٍ يُعَرِّضُ بِالْقَرَى

قَالَ : فَارْتَعَلَ أَبُو عَلِيٍّ مُغْضَبًا وَقَالَ : مَرَحْتُ مَعَهُ فَهَجَانِي ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ فِي

[من الطويل]

الْعَرْجِيُّ :

وَعَارَضَهَا عَرَجُ الْجَبَانَةِ وَالْخَصْبِ³
جَدِيبٍ وَشَيْخٍ يَبْسُ مُسْتَعْرِضُ الرَّكْبِ
إِلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وَقُرْصُ شَعِيرٍ مِثْلَ كِرْكِرَةِ السَّقْبِ⁴
فَلَسْتُ إِلَيْهِ بِالْفَقِيرِ وَلَا صَحْبِي
وَأَثَرْنَا لِلْكُومِ فِي الْيَوْمِ ذِي السَّغْبِ
وَأَكَلُ فَهَرٍ لِلْخَبِيثِ مِنَ الْكَسْبِ
وَمِرْطًا فَبَسَ الشَّيْخُ يَرْفُلُ فِي الْإِتْبِ⁵
وَبِالضَّرْوِ وَالسُّودَاءِ وَالْمَائِعِ الرُّطْبِ⁶
فَقَدْ كَانَ عَثْمَانُ بَرِيئًا مِنَ الْوِشْبِ⁷

سَرَتْ نَاقَتِي حَتَّى إِذَا مَلَتْ السُّرَى
طَوَّاهَا الْكَرَى بَعْدَ السُّرَى بِمُعْرَسٍ
وَهَمَّتْ بِتَعْرِيسٍ فَحَلَّتْ قِيُودَهَا
تَمَطَّى قَلِيلًا ثُمَّ جَاءَ بِصَرْبَةٍ
فَقُلْتُ لَهُ أُرْدُدْ قِرَاكَ مَدْمَمًا
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرًا عِنْدَ بَيْتِهِ
لَقَدْ عَلِمْتَ فَهَرٌ بِأَنْتَكَ شَرُّهَا
وَتَلَيْسَ لِلْجَارَاتِ إِتْبَاءٌ وَمُتَزَرًّا
يُدْحِخَنَّ بِالْعُودِ الْيَلْنَجُوجَ مَرَّةً
فَإِنْ قُلْتَ عَثْمَانُ بْنُ عَقَّانَ وَالِدِي

1 القَتَّ : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .

2 ديوان العرجي : 175-176 ، عن الأغاني .

3 ل : الخيانة .

4 صربية : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ، والسقْب : ولد الناقة .

5 الإِتْب : ثوب لا جيب له ولا كَمَيْن .

6 يُدْحِخَنَّ ل : ل : يبخر . الضرو : شجر طيب الريح . والسوداء : الحية السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .

7 الوشْب والوشب بمعنى .

وقَدِمَا يَجِيءُ الْحَيُّ بِالنَّسْلِ مَبْتَأُ وَيَأْتِي كَرِيمُ النَّاسِ بِالْوَكْلِ الثَّلْبِ¹
 لَهُ لِحْيَةٌ قَدْ مَزَّقَتْ فَكَأَنَّمَا مَقَمُهُ حَشَّاشٌ مُحَالِفَةُ الْعُشْبِ²
 فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعُرْجِيُّ أَتَى عَمَّهُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَلِيِّ فَشَقَّ قَمِيصَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكَاهُ
 إِلَيْهِ . فَبَعَثَ إِلَى أَبِي عَدِيٍّ فَنَهَاها عَنْهُ وَقَالَ : لَنْ عُدْتَ لَا كَلَمَتِكَ أَبَدًا ، فَكَفَّ عَنْهُ .
 [كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار :
 رجل من أهل مكة وكان هيباً أديباً قال : كان للعرجي حائطٌ يقال له العُرجُ في وسط بلاد بني
 نصر بن معاوية ، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها ، فكانت تضرب به
 ويضرب بأهلها ويشكونه ويشكوهم . وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم ، فكان ربما
 يرى مائة سهم من الرُمان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفة³ من إبل بني نصر ،
 فيفعل ذلك .
 [حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدثني ابن غُرَيْرٍ قال : لما حُبِسَ العرجي وضرب وأقيم على البُلُسِ⁴
 قال : [من الطويل]

مَعِيَ ابْنُ غُرَيْرٍ وَإِقْفَا فِي عِبَاءَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُ بَنِي نَصْرِ
 فَقَالَ فَنِي مِنْ بَنِي نَصْرِ يُجِيبُهُ ، وَكَانَ حَاضِرًا لَضَرْبِهِ وَإِقَامَتِهِ : [من الطويل]
 أَجَلٌ قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ فِيكَ عُيُونُنَا فَبَسَّ الْفَتَى وَالْجَارُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِلْعُرْجِيِّ : جِئْتُكَ أَخْطُبُ إِلَيْكَ مَوَدَّتَكَ . قَالَ : بَلْ
 خَذَهَا زَنًا ؛ فَإِنَّهَا أَحْلَى وَالذَّاءُ !
 [تمثل امرأة بشر العرجي عند لومها على الرفث في الحج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمَّعٍ عَنِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمٍ
 قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ : خَرَجْتُ حَاجًّا ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَمِيلَةً تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ أَرَفَنْتُ فِيهِ ،
 فَأَدْنَيْتُ نَاقَتِي مِنْهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَةً ! أَمَا تَخَافِينَ اللَّهَ ؟ فَسَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ يَبْهَرِ
 الشَّمْسِ حُسْنًا ، ثُمَّ قَالَتْ : تَأْمَلُ يَا عَمُّ ؛ فَإِنِّي مِمَّنْ عَنَا الْعُرْجِيُّ بِقَوْلِهِ⁵ : [من الطويل]

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .

2 العشب في ل : القشب .

3 الناقة الخلفة : الحامل .

4 البلس : المسوح تعبا بالنين .

5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأدنت على الخدين بُرداً مُهلها
 من اللاء لم يحجبجن يَبغين حِسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا

قال فقلت لها : فإنني أسأل الله ألا يُعَذَّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضاء العراق لقال لها : أعزبي فَبَحِكَ اللهُ ؛ ولكنه ظرفُ عُبَاد أهل الحجاز . وقد رويت هذه الحكاية عن أبي حازم الأعرج وهو سلمة بن دينار ، وقد روى أبو حازم عن أبي هريرة وسهل بن سعد وغيرهما ، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب . والحكاية عنه في هذا المعنى أصحُّ منها عن عبد الله العُمري ، حدَّثنا بهذا وكيع . والغناء في هذه الأبيات لقرار المكِّي ثاني ثقيل . وفيه خفيف ثقيل لمعبد ، وفيها لعبد الله بن العباس الربيعي ثقيل أول ، ويقال إن خفيف الثقيل لابن سُريح ، ويقال للربيع .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العباس : دعائي المتوكل ، فلما جلست مجلس المدامة قال لي : يا عبد الله ، تَغَنَّ فغَنَيْتُهُ في شعرٍ مدحته به ؛ فقال : أين هذا من غنائك في : [من الطويل]

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أَقْفَرُ مَنْ يَحُلُّه سَرَفُ

[هجاء العرجي محمد بن هشام وتشبيهه بأمه]

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن صَنَعْتَ حينئذٍ كانت وأنا شابٌ عاشقٌ ؛ فإن استطعت ردَّ شبابي وعشقي صنعتُ مثل تلك الصنعة . فقال هيهات ، وقد لَعَمْرِي صدقت ، ووصلني . والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العرجي يقولها في جِداء أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان يهجوهِ ويشبِّه بأمه وبامراته ، وكان محمد تَيَّهاً شديد الكبير جباراً ، فلم يزل يتطلَّب عليه العللَ حتى حبسه وقيده بعد أن ضربه بالسَّوط وأقامه على البُئس للناس . واختلف الرواة في السبب الذي أعتلَّ به عليه ؛ وقد ذكرت ذلك في رواياتهم .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبَي قالا حدَّثنا عمر بن شبَّة ، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرميَّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكار قال حدَّثني عمِّي مصعب ومحمد بن الضحَّاك الخزاعي عن الضحَّاك ابن عثمان ، وذكره

حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا :
كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلمّا وليّ الخلافة ولّاه مَكَّةَ ، وكتب إليه أن يحجّ
بالتاس ، فهجاه العرجي بأشعار كثيرة .

منها قوله فيه :

كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُوفُ
إِلَى جَيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُخْبِرَهَا فَلَا صَحْبَ الرَّسُولُ
ويروى : «ليحزّنها» وهكذا يغنى .

ومنها قوله¹ :

أَلَا قُلْ لِمَنْ أُمْسَى بِمَكَّةَ قَاطِنًا وَمِنْ جَاءَ مِنْ عَمَقٍ وَنَقَبِ الْمُشَلَّلِ²
دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ فَمَا حَجُّ هَذَا الْعَامِ بِالْمُتَقَبَّلِ
وَكَيْفَ يُزَكِّي حَجُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ لَدَى تَجْمِيرِهِ غَيْرُ دُلْدُلِ³
يَظَلُّ يُرَائِي بِالصِّيَامِ نَهَارَهُ وَيَلْبَسُ فِي الظُّلُمَاءِ سِمَاطِي قَرْنَفَلِ
فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزبير في خبره عن عمّه ومحمد بن الضحّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيّوب بن
عبّاية : كان العرجي يشبّب بأُمّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها
جَيْدَاءُ⁴ :

[من السريع]

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
إِنِّي أَتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةً إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْجِ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ مَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مَنِي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجِجِ
أَيْسُرُ مَا نَالَ مُحِبُّ لَدَى يَبْنَ حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجِ

1 ديوان العرجي : 189 (عن الأغاني) .

2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .

3 الدلدل : شبيهة بالقنفذ .

4 ديوان العرجي : 17-20 .

نَقَضَ إِلَيْكُمْ حَاجَةً أَوْ نَقَلَ هَلْ لِي مِمَّا بِي مِنْ مَخْرُجٍ
قال إسحاق في خبره : فحدثني حمزة بن عتبة اللّهي قال : أنشد عطاء بن أبي رباح قول
العرجي :

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجُجْ
فقال : الخير والله كله بمنى وأهله حجّت أو لم تخجّ . قال : ولقي ابن سريج عطاء وهو
راكب بمنى على بغلته ، فقال له : سألتك بالله إلّا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً . قال :
ويحك ؛ دعني فإنني عجل . قال : امرأته طالق لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأمسكن بلجام
بغلتيك ثم لا أفارقها ولو قطعت يدي حتى أغنيك وأرفع صوتي لأأسره . قال : هات
وعجل ؛ فغناه :

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجُجْ
فقال : الخير كله والله بمنى ، لا سيما وقد غيبتها الله عن مشاعره ، خلّ سبيل البغلة .
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر
قال حدثني حمزة بن عتبة اللّهي عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنت مع عطاء بن
أبي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجي :

إِنِّي أَتَيْتُ لِي بِمَانِيَّةٍ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنَهْجٍ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَخْجُجْ

فقال عطاء : خير كثير بمنى إذ غيبتها الله عن مشاعره .

[تشبيهه بجمرة المخزومية زوجة محمد بن هنام]

قال : وقال في زوجته جبرة المخزومية (يعني زوجة محمد بن هشام) ¹ :

صوت
عُوجِي عَلَيَّ فَسَلَّمِي جَبْرُ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَتَمُّ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ
الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يَتَّبِعُهُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ
قال حماد بن إسحاق في خبره : حدثني ابن أبي الحُوَيْرِثِ الثَّقَفِيُّ عن ابن عمّ لعمارة بن

حمزة قال حدثنا سليمان¹ الخشَّاب عن داود المكي قال : كنّا في حلقة ابن جُريج وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّة من العراقيين ، إذ مرّ به ابنُ تيزن المغني وقد ائتزّر بمززر على صدره ، وهي إزرة الشُّطَار عندنا ، فدعاه ابن جُريج فقال له : أحبُّ أن تُسمِعني . قال : إنني مستعجلٌ ، فألح عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غنَّك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ونحك ، ما أعجلك إلى اليمين ! غنّني الصوت الذي غناه ابن سُريج في اليوم الثاني من أيام منى على جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فقطع طريق الذهاب والجائي حت تكسّرت الحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرُ

فقال له ابن جُريج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ونحك ، أعده . قال : من الثلاثة فأني قد حلقتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنت ؛ فأعده من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثُقلاء عندك لأطلتُ معك حتى تَقْضِي وَطْرَكَ . فالتفت ابن جُريج إلى أصحابه فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ، فقالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرّره . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطغان محمد بن هشام حبس العرجي حتى مات.]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمّه جَدَاء [بنت عفيف] : أَنْتِ غَضَضْتِ مِنِّي بَأْتِكَ أُمِّي ، وَأَهْلَكْتِنِي وَقَتْلْتِنِي . فنقول له : ونحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمِّي من قريش ما وَلِيَّي الخِلافةَ غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأَقْسَمَ : لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

[أروايات أخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجي.]

وذكر إسحاق في خبره عن أيوب بن عَبَّابة ووافقه عمر بن شُبَّة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجي لاحى مولى كان لأبيه فأمصّه العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأمهلته حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مَوَالِيهِ وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كئافاً ، ثم أمر عبيده أن يَنْكِحُوا أمراته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعدت أمراته على العرجي محمد بن هشام فحبسه .

وذكر الزبير في خبره عن الضحّاك بن عثمان : أنّ العرجي كان وكلّ بحُرْمِه مَوْلَى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يُخالفُ إليهنّ ، فلم يزل يرصّده حتى وجده يحدث بعضهنّ ، فقتله وأحرقه بالنار . فاستعذت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام ، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيراً لما ولّاه هشام الحجّ فأحفظه . فلما وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمّه وغيره أنّ أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتمّ مولاه هذا ، وأنّه طال شتمه إيّاه . فلما أكثر ردّ المولى عليه ، فاختلف من ذلك ، فقال لأشعب : اشهد على ما سمعت . قال أشعب : وعلام أشهد ؟ قد شتمته ألفاً وستمك واحدة ، والله لو أنّ أمك أم الكتاب ، وأمّه حمالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجي]

قال الزبير وحديثي حمزة بن عتبة اللّهيّ قال : لما أخذ محمد بن هشام المخزوميّ العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميريّ ، فجلدهما ، وصبّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلس في الخناطين¹ بمكة ؛ فجعل العرجي يُنشد : [من الوافر]

سينصرني الخليفة بعد ربّي ويغضب حين يُخبر عن مساقبي
عليّ عباةٌ بلقاءٍ ليست مع البلوى تُغيّب نصفَ ساقي
وتغضب لي بأجمعها قضى قطّين البيت والدُمث الرّاقبي

ثم يصيح : يا غرير أجباد ، يا غرير أجباد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخلّطاً . وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها² : [من الوافر]

وكم من كاعب حوراء بكر ألوف السّرّ واضحة التّراقي
بكت جرّعا وقد سمرت كُبول وجامعةٌ يشدُّ بها خناقبي³
على دهماً مُشرفاً سَموق ثناها القمّح مرّلقه المراقي⁴
عليّ عباةٌ بلقاءٍ ليست مع البلوى تُغيّب نصفَ ساقي

1 الخناطون : باعة الخنطة ، وقوله في الخناطين يعني السوق الخاصة بهم .

2 ديوان العرجي : 135-137 .

3 الجامعة : الغلّ .

4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كَأَنَّ عَلَى الْخُدُودِ وَهْنَ شَعْتُ سِجَالُ الْمَاءِ يُبْعَثُ فِي السَّوَاقِي
فَقُلْتُ تَجَلُّدًا وَحَلَفْتُ صَبْرًا أَبَالِي الْيَوْمَ مَا دَفَعْتُ مَاقِي
سَيَنْصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبِرُ عَنْ مَسَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَعِهَا قُصَيٌّ قَطْرَيْنِ الْبَيْتِ وَالْدُمُثُ الرِّقَاقِي
بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ إِذَا تَنَحَّيَ لِإِمَامِ النَّاسِ فِي الشَّعْبِ الْعِمَاقِي

قال : فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غُرَيْرِ فصاح به : يا غُرَيْرُ أجياد ، يا غُرَيْرُ أجياد ، يعني بني مَخَزُومَ ، وكانت منازلهم في أجيادَ ، فغيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأَبْطَحِ .
وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مرَّ بالعُرْجِيِّ وهو واقفٌ على البُلَسِ ومعه ابن غُرَيْرِ وقد جُلدا وحُلِقا وصُبَّ الزيت على رؤوسهما وألبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعُرْجِيِّ ، وكان فأفاء ، فوقف عليه فأراد أن يتوجع لما ناله ويدعوه ، فلجَّجَ لما كان في لسانه كما يفعلُ الفأفَاءُ . فقال له ابن غُرَيْرِ : عني ، لاخرجت من فيك أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذا لا برحت منه أبداً .

قال : ومَرَّ به صبيان يلْقُطُونَ النَّوَى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غُرَيْرِ وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْنِ أَشْأَمَ مِنِّي ومنك ! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يومٍ على كل واحدٍ منهم مئة نوى ؛ فقد تركوا لِقْطَهم للنوى ، وقد وقفوا ينظرون إليَّ وإليك وينصرفون بغير شيء فيضربون ، فيكون شؤمنا قد لحقهم .

قال : وقال العُرْجِيُّ في حبه : [من الوافر]

صوت

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَنَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةِ وَسِدَادِ ثَغْرِ
وَصَبِرَ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْمَنَايَا وَقَدْ شُرِعَتْ أَسْنَتُهَا بَنَحْرِي
أَجْرَرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ فَيَا لَلَّهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرُو

[أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّافُ قال حَدَّثَنَا قَعْنَبُ بن المَحْرَزِ البَاهِلِيُّ عن الأَصْمَعِيِّ قال : كان لأبي حنيفة جَارٌ بالكوفة يغني ، فكان إذا انصرف وقد سَكِرَ يُغَنِّي في غرفته ، ويسمع أبو حنيفة غناؤه فيعجبُه . وكان كثيراً ما يغني : [من الوافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ
فَلَقِيَهُ الْعَسَسُ لَيْلَةً فَأَخَذُوهُ وَحَبَسَ . ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدا
فأخبر ؛ فدعا بسواده وطويلته فلبسهما ، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له : إن لي جاراً
أخذه عَسَسُكَ البارحة فحبس ، وما علمتُ منه إلا خيراً . فقال عيسى : سلّموا إلى أبي حنيفة
كلّ من أخذه الْعَسَسُ البارحة ، فأطلقوا جميعاً . فلمّا خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له
سراً : أَلَسْتَ كُنْتَ تَغْنِي يَا فَتَى كُلَّ لَيْلَةٍ :

[من الوافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيُّها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرّمت ، أحسن الله جزاءك .
قال : فعُدْ إلى ما كنْتَ تَغْنِيه ؛ فإنِّي كنْتُ آتِسُ به ، ولم أرْ به بأساً . قال : أفعُلُ .
[عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجي «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لما حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكثِرُ التَّمَثُّلَ بقول
العرجي :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا عندنا آثر من نفسه .
[حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاسٍ بالبصرة يكنّس كنيّفاً ويغنيّ : [من الوافر]

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ

فقلت له : أمّا سِدَادُ الْكَنِيْفِ فَأَنْتَ مَلِيٌّ بِهِ . وَأَمَّا الثُّغْرُ فَلَا عِلْمَ لِي بِكَ كَيْفَ أَنْتَ فِيهِ ، وَكُنْتُ
حديث السنّ فأردتُ العبثَ به ، فَأَعْرَضَ عَنِّي مَلِيّاً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَأَنْشَدَ مَتَمَثِّلاً : [من الطويل]

وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي سِيَّ إِنِ اهْتَنُهَا وَحَقَّقْ لَمْ تَكْرُمْ عَلَيَّ أَحَدٍ بَعْدِي

قال فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهوانِ شيءٌ أَكْثَرُ ممّا بذلتها له ، فبأيّ شيءٍ أَكْرَمْتَهَا ؟
فقال : بلى ، والله إنّ من الهوانِ لشيئاً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى
أمثالك من الناس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس . قال محمد بن مزيد : فحدّثني حمادُ قال قال
لي أبي : اختصّر الأصمعيّ ، فيما أرى ، الجواب ، وسرّ أقبجه على نفسه ، وإلّا فكنّاس
كَيْفَ قائمٌ يَكْنُسُه ويعبثُ به هذا العبثُ ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيبُ بمثله
الأحنفُ بن قيس لو كانت المخاطبةُ له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضْطَغِباً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام ، فلماً وَلِيَ الخلافة قَبِضَ عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشْخِصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسَّيَاط . فقال له محمد : أسألك بالقرابة . قال : وأيّ قرابة بيني وبينك ؟ وهل أنت إلا من أشجع ؟ قال : فأسألك بصهر عبد الملك . قال : لم تحفظه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُضْرَبَ قرشي بالسَّيَاط إلا في حَدٍّ . قال : ففي حَدٍّ أَضْرَبُكَ وَقَوْدٍ ، أنت أول من سنَّ ذلك على العرجي ، وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان ، فما رَغَيْتَ حقَّ جدِّه ولا نسبه بهشام ، ولا ذكرت حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا ولي ثأره ، اضرب يا غلام ؛ فضربهما ضرباً مبرحاً ، وأثقل بالحديد ، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالد القسري ، ونفسك نفسك إن عاش أحدُهم . فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيماً حتى لم يبق فيهم موضع للضرب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها . ولما اشتدت عليهما الحال ، تحامَلْ إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالد القسري معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر :

قد راح نحو العراق مشخبله
يركبها صاغراً بلا قتب
فقل لدعجاء إن مررت بها
قد جعل الله بعد غلبيكم
لست إلى هاشم ولا أسد
لكنما أشجع أبوك سل الـ

قصاره السَّجْنُ بعده الخشبة¹
ولا خطامٍ وحوله جلبة
لن يُعْجِزَ الله هاربٌ طلبه
لنا عليكم يا ذلُّ الغلبة
ولا إلى نوفل ولا الحجة
كلبي لا ما يزوق الكذبة

[الرشيد وإسحاق حين غناه بيت العرجي]

قال إسحاق في خبره : غنيت الرشيد يوماً في غرض الغناء :
أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريمة سيدا نغر
فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجي ؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن

1 مشخلة : أداة تتخذ من الليف والخرز أمثال الخلي ، وقد تسمى الجارية مسخلة بما عليها من الخلي أو الخرز .
والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظُ كلّما مرَّ منه شيءٌ . فأتبعتهُ بحديثٍ مَقَتَلَ ابْنِي هِشَامَ ، فجعلَ وجههُ يُسْفِرُ
وغيظُهُ يَسْكُنُ . فلمّا انقضى الحديثُ ، قال لي : « يا إسحاق ! والله لولا ما حدّثتني به من
فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أمثال بني مخزومٍ إلّا قتلتهُ بالعرجي .
والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه :

[من الطويل]

صوت

إذا ما طَوَّلكِ الدهرُ يا أُمّ مالكٍ فشانَ المنايا القاضياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتَقْضي وحُبُّكِ ما يَرْدَادُ إلّا تَمَادِيا
خليلي إن دارتْ على أُمّ مالكٍ صرُوفُ الليالي فابغيا لي ناعيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعْجَلٍ ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقائيا
الشعر للمجنون ، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحداذية وهو جاهلي .
والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حبّش وابن المكيّ أن فيه لإسحاق لحناً آخرَ من
الثقيل بالخنصر والبصّر .

الفهرس

- مقدمة التحقيق : أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني 5
- I - أبو الفرج 5
- 1 - توطئة موجزة 5
- 2 - متى ولد علي بن الحسين ؟ 5
- 3 - النسبة إلى أصفهان 6
- 4 - تشيع أبي الفرج 6
- 5 - المرحلة البغدادية 6
- 6 - وفاة أبي الفرج 8
- II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني 9
- 1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه 9
- 2 - كتب في الأنساب 10
- 3 - مؤلفات في مجالات أخرى 10
- 4 - دواوين جمعها 10
- 5 - كتاب الأغاني الكبير 10
- المصادر والمراجع 16
- المراجع الحديثة 16
- مقدمة المؤلف 23
- [1] - ذكر المائة الصوت المختارة 27
- [2] - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة [. 30
- [3] - خبر أبي قطيفة ونسبه 31
- [4] - ذكر معبد وبعض أخباره 46
- [5] - ذكر خير عمر بن أبي ربيعة ونسبه 62
- [6] - أخبار ابن سريج ونسبه 167
- [7] - ذكر نصيب وأخباره [-108هـ] 214
- [8] - أخبار ابن مَحْرز ونسبه 245
- [9] - أخبار العرجي ونسبه 249

